الشيخ محمد متولي الشعراوي



في تربية الانسان المسلم

دار العودة . بيروت

في تربية الانسان المسلم

الامام الشيخ
محمد متولي الشعراوي

في تربية الانسان المسلم

١٩٨٦

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر

تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥.

تلكس AWDA 23682 LE

ص. ب ١٤٦٢٨٤

الاستمتاع بالحياة على طريق الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربى واستعين بك ·
وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد
وبعد ·
ان الحياة فى الدنيا بالنسبة للانسان هى حياة قصيرة ·
زمانها محدد الأمد ·
ومهما تمتع الانسان وتنعم بما فى الوجود من خيرات ونعيم ·· ومهما حقق الانسان من لذة وانتصار ومجد فان الانسان يعانى من فزع دائم بسبب مسألتين ؛

● المسألة الأولى التى يفزع الانسان بسببها هى الخوف من الموت فيترك متاع الدنيا ونعيمها ·
● المسألة الثانية التى يفزع الانسان بسببها هى أن تزول عنه النعمة أثناء الحياة نفسها ·

لذلك فالانسان يبحث عن حياة تؤمن له خيرات الحياة ولا تزول فيها نعم الحياة ·
ولأن الانسان كما أراده الله هو سيد على جميع أجناس الكون ·
ولأن الانسان مخلوق من صانع الوجود ··
لذلك فتأمين الانسان بحياة لا يفوت فيها النعمة ولا تفوته فيها النعمة ·· هذا التأمين يستدعى التأمل فى سؤال هو ؛
ـ كيف تم خلق الانسان ؟
أن الانسان لا يعرف كيف تم خلقه ·
وليس من المعقول أن يعرف بعقله كيف خلق · لأن عملية الخلق حدثت

للانسان قبل أن توجد للانسان أداة معرفة أو ادراك بالحياة .

والخلق بالنسبة للانسان هو « غيب » لا يعلمه الانسان .

لقد فوجىء الانسان بوجوده فى الكون .

وكان على الانسان مهمة شاقة هى أن يعرف ما يلى :

- كيف خلق ؟
- لماذا خلق ؟
- من خلقه بيديه ؟

وكانت رحلة الانسان لمعرفة اجابات هذه الأسئلة هى أجابات ناقصة .. علمها ناقص وخيالها ضال ومضلل .

وحتى يتفرغ الانسان لمهام سيادته على جميع أجناس الكون فان الله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يكن يعلمه .

وحين يعرض الله سبحانه وتعالى قضية الخلق فى كتابه الكريم « القرآن » .. فان الحق سبحانه وتعالى يعلمنا حقيقة أساسية عن قصة خلق الانسان .. هذه الحقيقة هى أن الانسان لا يستطيع أن يأخذ حقيقة بدء الخلق من أحد آخر سوى الله .

وأسلوب عرض الخالق العظيم لهذه الحقيقة يؤكد لنا أن الخلق أنفسهم حاولوا من قبل أن يتعرفوا على أسلوب خلقهم عن طريق آخر غير طريق الله فوقعوا فى « وقاحة البحث » وارتبكوا فى « حماقات » تناولهم لهذه المسألة . ذلك أن التخمين فى هذه المسألة لم يصل بالانسان الى أية حقيقة .

ولذلك لم يترك الله سبحانه وتعالى هذه القضية دون أن يدلنا عليها فى كتابه

العزيز « القرآن الكريم » . هذا القرآن الذى جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب .. وهو الكتاب المهيمن على كل الحقائق .

ولنا أن نلاحظ أن كلمة « مهيمن » التى يصف الله بها القرآن الكريم فإن معنى ذلك أن الكتب السماوية السابقة على القرآن قد يتناولها التحريف ..

ان الحق سبحانه وتعالى لم يكتف بأن يصف القرآن الكريم بأنه « مصدقا بين يديه » من الكتب السماوية .. لأن هذا الوصف قابل لأن يتسع خيال الضلال بأن القرآن قد أصابه التحريف ..

ان الحق سبحانه وتعالى وصف القرآن بأنه مصدق لما بين يديه ومهيمن وتعالى على كل ما سبق من كتب سماوية وكان ذلك الوصف هو حكم واضح على أن ما تختلف فيه الكتب السماوية السابقة على القرآن فان الحكم والفيصل فى الاختلاف هو ما جاء فى القرآن والآية الواضحة الحاسمة فى سورة المائدة تقول :

« وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »

« سورة المائدة الآية ٤٨ »

ومعنى هذه الآية بشكل حاسم « اننا أنزلنا اليك يا محمد الكتاب الكامل وهو القرآن وهو يحمل الحق فى كل أنبائه وأحكامه وموافقا ومصدقا لما سبقه من الكتب السماوية وشاهدا عليها بالصحة وحكم فيما بينها من اختلاف لأن الله حمى القرآن من التحريف وحفظه من التغيير . فاحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليك ولا تتبع فى حكمك شهواتهم ورغباتهم فتنحرف عما جاءك من الله من حق .

ولقد خلق الله لكل أمة من الناس منهاجا لبيان الحق وطريقا واضحا فى الدين ولو شاء الله لجعل كل الناس جماعة واحدة لا تختلف فيما بينها ولكن الله جعل الناس تختلف ليختبرهم فيما انزله من الشرائع وليتبين المطيع من العاصى وعلى الانسان أن يسارع الى الخير لأن مرجع كل انسان الى الله وحده ليخبرنا جميعا فى النهاية بما كنا نختلف فيه ويجازى كل منا على عمله .

وهكذا نرى الأمر فى منتهى اليسر العقلى .

ان الكتب السماوية التى نزلت على الرسل قبل سيدنا محمد كانت كتبا تحمل المناهج فقط . وأى رسول قبل سيدنا محمد كان يحمل المنهج الالهى ليبلغه الى الناس بلغة وكلمات من عنده .. مثلما فعل سيدنا محمد عندما ابلغنا بعض المنهج السماوى بواسطة الأحاديث النبوية الشريفة .

هكذا فعل موسى عليه السلام .. بلغ الناس ما جاء من منهج الله ..

لكن احبار بنى اسرائيل حرفوا التوراة وقالوا عن التحريف انه كلام الله ..

وهكذا فعل عيسى عليه السلام .. بلغ الناس بالمنهج الالهى وتلقف الحواريون كلمات عيسى لينقلوها بلغتهم الى البشر .. وما فهموه من المنهج السماوى كان عرضة للفهم على قدر طاقتهم ولهذا وصل المنهج السماوى ناقصا .

وهكذا نرى أن النقص فى الكتب السماوية السابقة على القرآن هو نقص النص غير الموثق من الله .

ان المعانى هى التى جاءت الينا من خلال أفواه وعقول بشر ولهذا فان هذه المناهج السماوية كانت تحمل التكليف الى الرسول ليبلغها الى من حوله .. ثم هى أيضا تحمل التكليف لمن عرف المنهج من الرسول أن يبلغه الى الآخرين .

وما دامت المهمة هى تكليف فقط .. فالتكليف فى حد ذاته معرض لأن يطاع وعرضة لأن يعصى .

وهكذا رأينا أن الذين حملوا التكليف بالمنهج السماوى عن الرسل الذين قبل سيدنا محمد .

رأيناهم يعصون الله وينسون من منهج الله اجزاء .

ويكتمون بعض ما لم ينسوه

وما لم يكتموه حرفوا فيه

وياليتهم وقفوا عند هذا الحد .

لكنهم لم يقفوا .. بل أضافوا من عندهم أشياء وقالوا هى من عند الله .

ولهذا نزلت الآية الكريمة فى سورة البقرة :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله .. ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم .. وويل لهم مما يكسبون »

« سورة البقرة الآية ٧٩ »

وهكذا نعرف أن النص الالهى من الكتب السماوية السابقة على القرآن هو نص

لم يصلنا بدقة كما أراد الله . انها نصوص غير موثقة .. كانت تحمل المنهج السماوى عندما وصلت الى أى رسول ولكن الأتباع حرفوا النصوص .

ولهذا أراد الله فى نصوص القرآن أن تكون منهجا ومعجزة ولم يعد مسموحا للبشر أن يتدخلوا لا فى المنهج ولا فى المعجزة .

ليس للبشر أن ينسوا شيئا أو يكتموا شيئا أو يحرفوا شيئا أو أن يزيدوا شيئا .

هذا هو حكم الله فى القرآن يأتينا بالآيات الفاصلات فى سورة الحاقة .

« فلا أقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه خاجزين . وإنه لتذكرة للمتقين . وانا لنعلم أن منكم مكذبين . وانه لحسرة على الكافرين . وانه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم »

« الحاقة من الآية ٣٨ ــ ٥٢ »

ذلك هو القرآن يحسم قضية أنه منهج ومعجزة . ان الله يقسم بما يبصره الانسان وبما لا يبصره .. ان القرآن من الله خالق الدنيا جاء على لسان رسول رفيع المكانة . ليس قول شاعر ولا كاهن .. فقد سبق ان جاء المنهج للبشر كمنهج فقط على ألسنة الرسل ولكنه تعرض للإنساء فى ذاكرة الانسان .

فهذا هو القرآن تنزيل محفوظ من رب العالمين الذى تعهد البشرية بأن يخلق فيها قبسا من نوره ليهذب من اخلاق الانسان ويحسن تربية الانسان لنفسه . لكن لو ادعى أحد على الله كلمات لم يقلها فليس هناك ما يمنع من أن ينال عقاب الله وليس هناك من البشر مهما بلغت قوته من هو بعيد عن عقاب الله .

والقرآن منهج ومعجزة . منهج ينير طريق الذين يمتثلون لأوامر الله ويجتنبون ما أمر باجتنابه . ولكن هناك من ينكر ذلك رغم ان القرآن حق ثابت .

هكذا نرى أن الله انزل نصا واضحا كمعجزة وكمنهج ولا دخل فيه لأحد من البشر . لذلك سيبقى القرآن الى آخر الزمان . فالكتب السابقة على القرآن كلف الله أهلها أن يحافظوا عليها ولكنهم لم يحافظوا عليها . تعرض تكليف الله للطاعة

أحيانا وللعصيان أحيانا . لذلك لم يأمن البشر على معجزة محمد عليه السلام « القرآن » . ونزل القرآن كمنهج ومعجزة .

تأمل كلمات الله فى سورة المائدة :

« انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون »

« المائدة الآية ٤٤ »

الرحمن الحق جلت قدرته يروي لنا قصة قوم موسي الذين نزلت اليهم التوراة بالحق والهداية وبيان الأحكام التي يحكم بها النبيون الذين أسلموا لله . وكلف الله أتباع موسي بحفظ هذه التعاليم وألا يستبدلوها بما يمكن ان يتيح لهم الكسب .. لكنهم فعلوا عكس ما أمر الله . ان القرآن يحكي قصة التكليف والعصيان . تكليف الخالق لقوم موسي بالاستحفاظ علي ما قال النبي موسي من أحكام .. لكن قوم موسي أهدروا التوراة . لم يقوموا بالوفاء لرسالة الله .

لذلك جاء القرآن دون أن يستحفظ الله عليه أحدا . وبنص قرآني واضح في سورة الحجر تأتي الآية الكريمة :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

« سورة الحجر ـ الآية ١٥ »

هكذا نري أن بقاء القرآن خالدا هو مهمة من السماء . ولذلك لم توكل هذه المهمة لأحد من البشر .. وكانت معجزة القرآن أنه « منهج للحياة ومعجزة إلهية في آن واحد » .

أما هيمنة القرآن علي كل ما سبقه من مناهج .. فالسبب فيها أنه غير قابل للتحريف . التكليف فيه للانسان واضح ومحدد . وقد تناول القرآن المسألة الكونية من بدايتها الى نهايتها . كان اصرار الله علي ذلك حتي لا يترك بعد ذلك أي نقطة دون توضيح .. ولا يترك أي سؤال دون اجابة .. بداية من السؤال عن مهمة الانسان في الحياة . الى مسألة كيفية خلق الانسان .. الى مسألة الحركة التي تنبعث من الروح في مادة الانسان .. الى حركة القيم التي على الانسان أن يتمسك بها

كمنهج فى الحياة .. كل ذلك أراد الله للقرآن أن يغطيه وأن يشرحه حتي يتحقق للقرآن أنه المهيمن على كل الكتب السماوية . ولو أن المسألة كانت مجرد رسالة هي وصلة في حلقة من حلقات الانزال السماوي .. لو كان الأمر كذلك لاكتفي الله في القرآن بأن يأتي الزائد فقط من منهجه .

لا ..

ان القرآن جاء بكل المسائل من أساسها .

وحين نتكلم في الانسان .. فالكلام في مسألة الانسان تعني أننا نتحدث في معرفة كيف خلق الله ذلك الانسان .

ان الله سبحانه وتعالى يترك للبشر في صناعتهم أن يصنعوا أشياء كانت معدومة . يمدنا الله بالعقل لنفكر وبالمادة لنصنع منها ما نشاء .. لكن صناعتنا تختلف عن صناعة الله ..

مثلا ..

هدانا الله أن نصنع كوبا لنشرب فيه ..

لكن قبل أن تصنع البشرية الكوب .. كان البشر يشربون .

اذن .. مايصنعه الانسان يؤدي الى ترف في حياة الانسان .

وما صنعه الله هو الضرورات التي تتوقف الحياة بدونها . واصرار الحق سبحانه وتعالى بأن يكفل لنا الضرورات الأساسية هو معجزة يجب أن ينتبه لها العقل البشرى .

ان ضرورات الحياة هى التى امتلكها الله وصنعها الله ورتب ملكيتها وهذا دليل على أن الذى فعل ذلك ذو حق مطلق لا يترك صغيرة أو كبيرة في حياة الانسان .

اننا اذا تأملنا درجات ملكية الأساسيات التي تكفل الحياة نجدها الطعام والشراب والهواء . فاذا كان الطعام هو من انتاج الأرض ويمكن للبشر أن يتدخلوا في انتاجه وصنعه .. فان الحق سبحانه وتعالى قد صمم جسم الانسان بحيث يتحمل الصبر علي الطعام مدة تطول عن أسابيع وعلي حسب ما فى الجسم من شحم ولحم .

واذا كان الماء يحتاج الانسان اليه بدرجة اهم من الطعام فان الله صمم جسم الانسان بحيث يسمح له بالبحث عن الماء .. ثلاثة أيام وقد تطول الى عشرة أيام . والماء أيضا يمكن للانسان أن يتدخل في ملكيته .. كالآبار التي تملكها القبائل أو مصادر المياه المختلفة .

ولكن الحق سبحانه وتعالى خلق الهواء في كل الوجود .. ذلك أن الانسان لا يطيق الصبر علي الهواء ولذلك أيضا فالحق سبحانه وتعالى لم يضع الهواء في اطار ملكية أي انسان .

ولذلك كان من الممكن أن يمتلك انسان التحكم في طعام بشر آخرين .. فيصبروا أياما لأن في النفس البشرية والأجساد الآدمية رصيدا قويا تعيش به فترة الى أن تتخلي اليد المسيطرة المناعة للطعام عن سيطرتها . أو الى أن يفكر الانسان في حيلة يصل بها الى الطعام أو أن يلجأ الانسان الى مكان آخر يطلب منه الطعام.أو أن تنزل الرحمة في قلب المتحكم في الطعام فيعرف أنه خليفة لله ولا يصح أن يمنع ما أعطاه الله له عن الناس ..

والماء .. ان الانسان لا يعيش دون الماء فترة طويلة .. لذلك كان احتكار الطعام أكثر من احتكار الماء . لأن حاجة الانسان الى الماء أقوي من حاجته الى الطعام .

أما الهواء .. فلنا أن نتخيل ماذا يحدث لو امتلك انسان حق تنفس انسان آخر ؟ ان الله لم يضع الهواء ملكية في يد أحد لأنه يعلم أن الهواء عنصر ضروري لحياة الانسان ولا يمكن لأي انسان أن يصبر عن الهواء .

وفي ترتيب الملكية للضرورات الأساسية لحياة الانسان تدبير الهي له مطلق القدرة .

انه تدبير الهي له مطلق الحكمة .

وهكذا نري الذي خلقنا من عدم ولم يبخل علينا بل أمدنا بكل عطاء .

اننا بهذا الفهم نتقبل قصة الخلق .. خلق الحق جل وتعالى لنا ..

وهيا نرى ماذا ترك الله لنا من أشياء لنصنعها .

ولنقارن بين ما خلقه الله وما خلقه الانسان .

ان ما يصنعه الانسان يتجمد في حدود ما صنع الانسان .. صنع الانسان الكوب .. فلا يتحرك الكوب ولا ينمو ولا يتزوج وينتج نسلا من الأكواب .

ان ما يصنعه الانسان يتجمد عند حدود الشكل الذي أوجده الانسان . ذلك ان الانسان لا يملك من أمر الروح شيئا . لأن الروح من أمر الله..

وقد شاء الله لنا أن نعرف أن لكل شيء صانعا. وهو صانع الانسان :. وصنعة الله تتجدد وتكبر وتتناسل وتتحرك ولا حدود لإبداع الله في حركة الانسان .

أما الانسان فصناعته محدودة · اذا زرع الانسان شجرة فهي تطرح ثمارا ·· وليس في مقدور الانسان أن يزرع شجرة تثمر أكوابا ·

اننا نتعلم ان كل شيء مهما كان تافها لا بد له من صانع يخلقه · وعلى قدر سمو الصنعة تكون مكانة الصانع ·

تتجمد صناعة الانسان عند حدود وجودها ·
وتتألق صناعة الله بلا حدود بأمر هو « كن فيكون » ·
ولا أحد من البشر يملك تلك القدرة « كن فيكون » ·
لا أحد من البشر يملك اطلاق الخلق ·
لا أحد من البشر يملك قدرة الخلق من عدم ·
ولم يضن الله على الانسان بأحلى الصفات ·· فقال :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين · ثم جعلناه نطفة في قرار مكين · ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين · »

« سورة المؤمنون الآيات ١٢ ــ ١٤ »

ان الانسان عندما ينظر الى أصل تكوينه يجده خلاصة الطين · ثم بعد ذلك نطفة أي ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى · وتستقر النطفة في الرحم وهو مكان محصن باللين،ذلك أن الرحم لين من أنسجة لينة تقع بين عظام حوض المرأة،وهو من أصلب العظام في سنوات أنجاب المرأة وعندما تستقر النطفة ويتزاوج الحيوان المنوي ببويضة المرأة يصبح الناتج قطعة من الدم التي تتحول الى لحم ·· ثم تصير هيكلا عظميا ثم يتم كساء العظم باللحم ·· ثم في تمام الخلق ينزل الطفل مختلفا عن البداية التي بدأ منها ·· ولا يوجد من أقدر ابداعا من الله ·

هكذا نرى أن خلق الله للانسان فيه تكريم للانسان ·
وجعل الله للانسان قدرة أن يصنع بعض المصنوعات التى تطور الحياة ولكنها لا تصل الى قدرة الخالق العظيم ·

خلق الله الانسان من عدم ثم تكاثر ونما ·
هكذا انصف الله الانسان ·

فما أجدر الانسان بأن ينصف الله فيعترف بأنه سبحانه وتعالى أعظم الخالقين

منح الانسان سيادة الكون ٠

«أليس خالق الدنيا بجدير أن ننتبه الى عظمة قدرته وأن نملك الانتباه لنفهم عنه »

بسم الله الرحمن الرحيم

« حمدا لله وصلاة وسلاما علي سيدنا رسول الله »

وبعد ·

فقد انتهينا في اللقاء السابق الي تحديد مهمة التجربة لآدم ومنهج التدريب له علي مهمته في الأرض . وبقيت لقطة نحب أن ننبه اليها . هذه اللقطة هي أن الله سبحانه وتعالي أراد لخليفته في الأرض ـ الانسان ـ أن يتعلم علما تجزيبيا معمليا واقعيا ·· لا علما نظريا فقط · وأن يعرف الانسان أن الذي يخالف أمر ربه لا بد أن تبدو عورته وتنكشف سوءته ·

قال الحق تبارك وتعالي :

« فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين » ·

« سورة الاعراف الآية ٢٢ »

فعندما ساق الشيطان آدم وحواء الي الأكل من الشجرة التي نهي عنها الله ·· انكشفت سوءة الاثنين . وكذلك نعرف أنه قبل المخالفة لم تظهر السوءة . وانما ظهرت السوءة بعد المخالفة وفي ذلك رمز الي منهج الله في الأرض ·

ان أراد الانسان أن يعرف صدق المنهج الالهي ·· فلينظر الي الكون ·· ان حركة الكون بالاسلام لا عورة فيها . وان لم نجد في المجتمع عورة من العورات ولا سوءة من السوءات فلنعلم أن منهج الله مطبق ·

ولكن اذا رأي الانسان عورة في المجتمع يستنكرها ويشمئز منها ويري فيها كل ما هو قبيح وغير جميل ·· فليعلم الانسان أن منهج الله قد أصبح معطلا · وحينئذ يجب أن يدرك الانسان أن المخالفات والعورات هي جمال في الوجود وليست قبحا في الوجود كما قد يتخيل الانسان . لأن العورة حينما تظهر بعد مخالفة لأحكام الله فهي تدل علي أن منهج الله في ذاته سليم . ولو لم تظهر العورة مع وجود المخالفة لكان المنهج غير سليم ·

اذن فوجود العورة مع المخالفة دليل علي سلامة المنهج ·

ولهذا قلت من قبل في حديث سابق .. أن الجمال في الكون ليس أن يستطيب الانسان النظر في الكون فيجد كل شيء جميلا .

لا ..

ان الجمال في الكون أن تكون النتائج متناسقة مع المقدمات .

وحتي نزيد الأمر وضوحا فلنأخذ مثلا من الحياة . اذا نجح تلاميذ مدرسة من المدارس .. فقد ينظر البعض الي ذلك نظرة سطحية ويقول: هذه مدرسة جيدة وهذا النجاح جميل .. لكن النظرة بعمق تستطيع أن تري أن النجاح لا يكون جميلا الا اذا جاء كنتيجة منطقية مع اجتهاد التلاميذ . وأما أن ينجح التلاميذ كنتيجة بدون مقدمات من الاجتهاد .. فالنجاح هنا يصبح قبيحا .

لماذا ؟ ..

لأن التلاميذ اذا نجحوا مرة واحدة دون تقدير للاجتهاد فان ذلك يعني أن التلاميذ لن يجتهدوا بعد ذلك .. فيشيع قبح الجهل في الوجود ويصبح واقعا .

لكن لو نجح المجتهد ورسب غير المجتهد . فان رسوب غير المجتهد سيكون هو عين الجمال في الحقيقة .

لماذا ؟ ..

لأن النتيجة تكون وفق المقدمة .

واذا تعلم الناس أن ينظروا الي الجمال علي أنه نتيجة تتفق مع المقدمات .. لعرف الناس أن القبح في الوجود جمال . لأن القبح في الوجود سينبه الناس الي شيء مفقود من منهج الله . وكأن القبح صرخة تستنجد وتقول :

ـ يا قوم .. هنا حد من حدود الله معطل .

فلو لم يوجد القبح هذا .. لانتشر القبح في كل شيء سائر في الوجود .

وكذلك يمكننا أن ننظر الي الألم . ان الألم الذي يتألم منه المريض ليس شرا ولكن هو صرخة تقول : « يا نفس هنا داء لابد من علاجه » وهكذا يكون الألم نفسه هو طريق العافية . لأن الداء لو ظل ينتشر في الجسد دون ألم .. لذهب

الانسان ضحية للمرض فجاة . ولكن الألم المصاحب للمرض هو صرخة استنجاد بأن هناك داء يستدعي العلاج . وهكذا علينا أن نري القبح في الوجود . ان القبح في الوجود يدل علي أن هناك جزءا من منهج الله معطل . وحين نري أن قبحا في الوجود قد جاء نتيجة تعطيل جزء من منهج الله فسنعرف سر القبح ونشخصه ونضع له الدواء .

فيكون القبح هو وسيلة الي مجيء الجمال بعد ذلك .

اذن ..

فحين تري شيئا لا يعجبك في الكون فقل هذا هو الجمال .

لماذا .. لأن القبح يكشف لك أن هناك شيئا معطلا في منهج الله .

ولأنه لو ظل الجمال موجودا في الكون مع وجود مخالفة لمنهج الله لقال قائل « لا ضرورة لمنهج الله فقد خالفنا المنهج وظل الجميل جميلا والوجود حسنا » .

لكن حين يخرج أحد عن منهج الله فعلينا أن نرى القبح .

ولهذا يجب أن نفسر الجمال بمعناه الحقيقي .

ان الجمال ليس هو ما تستطيبه نفس الانسان .. لأن الانسان قد يستطيب الشر وقد يستطيب المَعصية .. وليس في ذلك جمال .

لكن الجمال بمعناه الحقيقي أن تكون النتائج متفقة مع المقدمات .

لقد ضربت المثل مرة بقولي ما يلي ،

اذا قيل لرسامي الكاريكاتير في العالم « ارسموا الشيطان » .. ورسموا الشيطان .. فمن يأخذ فيهم الجائزة الأولي ؟ .. هل يأخذها من رسم أجمل صورة أم يأخذها الذي رسم أقبح صورة ؟ .

من المؤكد والسليم أن يأخذ الجائزة من يرسم الصورة القبيحة .. لا لشيء الا لأننا طلبنا منه صورة للشيطان ولم نطلب صورة للملاك .

اذن فعلينا أن نري الجمال في الأشياء التي تكون فيها النتيجة متسقة مع المقدمات .. مثلا ليس من الغريب أن يوجد في البيت القذر ذباب .. هنا يمكننا أن نري جمال هذا الموقف .. لأنه ليس من المعقول أن يكون البيت النظيف متساويا مع البيت القذر .

لأنه لو حدثت هذه المساواة فهذا قبح لا نقبله .

ان الجميل والطبيعي أن يتكاثر الذباب مع القذارة وأن يكون البيت النظيف خاليا من الذباب . لكن لو تساوي القذر مع النظيف فأن الدنيا كلها تصبح قذرة .

اذن فوجود القبح هو وسيلة نتعلم بها تأصيل الجمال ومعرفة الحسن والطيب ·

ولنا هنا أن نعرف أن هذه هي رسالة الشر ·· ان رسالة الشر في الوجود هو أن يخلق الشوق في الناس الي الخير ·

لذلك ترك الله عناصر الشر في هذا العالم ليستبقي بها عناصر الخير ·

ولعلنا نعرف ذلك اذا نظرنا الي التجارب المادية التي نحصن بها أنفسنا ضد شر واضح ·· مثال ذلك أننا حين نخاف من وباء فاننا نطعم الجسد الخالي من لكوليرا مثلا بميكروب الكوليرا بعد تجهيزه ليعطي مناعة للجسم السليم ·

أذن فالشر ان لم يوجد في النفس يجب أن نوجده لنري كيف تتجه النفس الي الخير ·

ومثال آخر هام ·

نحن نشعر أن دين الاسلام قد يهمل من المسلمين كسلا ·· وقد يهمل لمسلمون دينهم عن غفلة ·· ولكن اذا تعرض دين الاسلام لأي اضطهاد ·· فانك تجد غيرة الاسلام قد تأججت في نفوس الناس جميعا . وأصبح البعيد عن منهج الاسلام يتهافت علي مواقع الاسلام ·

لمـــاذا ؟ ··

لأن المسلم عندما يحس بالخطر أو الشر فهو كأي انسان ذكي يندفع تحديا للشر ···

اذن فوجود عناصر الشر هي من معاني الاستبقاء للخير . وهي الصرخة التي تنادي دائما أن هناك شرا يجب أن نقاومه وأن نقاوم هذا الشر في نفوسنا ·

ونعود الي قول الحق سبحانه وتعالي ؛

« فدلاهما بغرور ·· فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين » ·

« سورة الاعراف الآية ٢٢ »

علام يدل هذا الحديث الواضح للقرآن ؟

أن ذلك الحديث الواضح يشرح لنا أن السوءات في المجتمع لا تحدث . الا اذا تمت مخالفة لمنهج الله ·

لقد كان آدم وزوجه يأكلان في الجنة ويأكلان بالقدر الذي حدده الله.ومادام الأمر هو رمزية للتكليف وعملية تدريب في الحياة ·· فقد يقول البعض منا « ان

الله فى جنة الآخرة سيقول لنا كلوا ما شئتم » . وقد تم تصور الجنة فى الآخرة على انها استمتاع وفير بلا فضلات . وقد يتساءل البعض منا « كيف نأكل ولا تحدث لنا فضلات » .

ان الاجابة البسيطة الواضحة هي اننا سنأكل في الآخرة بأسلوب مختلف عن تناولنا الطعام في هذه الدنيا .

هنا في هذه الدنيا يأكل الانسان باختياره .

أما في الآخرة فالانسان يأكل ما يشتهيه بأمر من الله .

ليس في الآخرة سعي وراء الرزق أو أسباب يجري اليها الانسان .

ان « الأسباب » في الآخرة تنتهى . ونعيش فى حضرة « المسبب لكل شىء » .

ان « الطاهي » في الجنة هو الله وهو يستطيع أن يعطي الانسان لذة الطعام وفاعلية الطعام ولا تبقي فضلات للطعام .

ثم .. ما معنى الفضلات ؟

ان معناها أن الانسان أدخل في جوفه أشياء لها مهمة محددة ثم يستخلص الانسان منها ما هو مفيد له ويطرد ما هو زائد أو ضار .

اذن فخالق كل شىء يستطيع أن يخلق المهمة لما يدخل فى جوفك دون أن يكون بها ما يطرد أو ما هو زائد عن الحاجة أو ما هو ضار .

وآدم وزوجه عندما أوجدهما الله في « جنة التدريب » كانوا يأكلون بأمر الله .. يأكلون من هذا ولا يأكلون من ذلك .. يأخذون من الغذاء على قدر الطاقة وليس هناك فضلات .

لكن لما ذاقا الشجرة .. بدأ اختيار الاثنين يدخل في العملية . وبدأت المعدة والأمعاء في عملها من تخمير للطعام وطرد للزائد .

وقد يقودنا ذلك الي سؤال هو :

ما الفرق بين المخرجين وهما العورتان « القبل » و« الدبر » وبين المدخلين « الأنف » و « الفم » ؟

لماذا نعتبر المخرجين عورة ولا نعتبر « الأنف » و « الفم » عورة ؟

يمكننا أن نجيب بما يلي :

ـ ان العورتين تخرج منهما مستقذرات الانسان . ولذلك جاءت «العورية» من هذا الشأن . وليست « العورية » أن كليهما ثقب . لأن الأنف ثقب ولأن الفم ثقب .

فكأن آدم وزوجه قبل أن يأكلا من الشجرة في جنة التدريب . كانا يأكلان بمواصفات الحق . لكن عندما أكلا من الشجرة فقد أكلا بمواصفات أنفسهم وأعطيا للجسدين أكثر من المطلوب . ومادام قد حدث اختمار فقد يخرج الريح ولا بد أن يحدث التبرز . وتنبه الاثنان الي أن هذه مسألة غير نظيفة .

ان هذا رمز علي أن من لم يتخذ منهج الله فسوف تظهر عورته .

ان هذا رمز علي أن منهج الله وقاية للانسان من أن تظهر عوراته الحسية أو المعنوية .

أما اذا ظهرت العورات فلنعلم أن منهجا من مناهج الله قد عطل .

والله جل وعلا بعد أن استوفي التجربة مع آدم وزوجه أمرا ونهيا وتحذيرا من النفس وتحذيرا من الشيطان واختبارا بالوقائع . انتهي كل ذلك الى أن المخالفة أدت الى اكتشاف عورة .

وصدر الأمر السماوي .

ـ أنت أخذت التجربة والتدريب يا آدم .. اذن خذ هذه التجربة وتزود بها وأخرج الي الأرض لتباشر مهمتك في الوجود أمرا ونهيا وتحذيرا من إبليس وتحذيرا من أن تبدو لك عورة بمخالفتك لمنهج الله .. وأعلم أنك ان غفلت عن شيء ثم استغفرت الله وندمت علي ما فعلت .. فاعلم أن الله يقبل التوبة ويغفر الزلة .. ما دامت ليست فى قمة الايمان لأن ذلك يعنى الشرك أو رد الأمر على صاحب الأمر .

بعد ذلك .. قال الرحمن لآدم ما معناه :

ـ أنزل اسكن الأرض وأنا أضع لك منهجا .

ويتركز ذلك في هذه الآية :

« قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

« سورة البقرة الآية ٣٨ »

هذا منهج التكليف .. ان اتباع هدي الله انقاذ للانسان من الخوف والحزن .

ويتكرر ذلك بشكل آخر في آية أخري .

« قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى .. فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ..

« سورة طه الآية ١٢٣ »

هذا تأكيد على أن الانسان في الأرض له منهج سماوى تم تدريبه عليه لكى ينقذه من الضلال والشقاء ٠

لكن من يخرج عن منهج الله ٠٠ فان الآيات الكريمة توضح طريق من يخرج عن هذا المنهج ٠

« ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا ٠٠ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىّ » ٠

« سورة طه الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ »

هذا طريق من يخرج عن منهج الله ٠

اذن فآدم حين نزل الي الأرض ٠٠ انما نزل بمنهج تدريبي حتي لا يؤخذ الانسان على غرة بمنهج نظري تقوم علي أساسه حركة الانسان في الحياة ٠

ان الانسان الذي يمتلك منهج السماء يضمن السلامة والحياة في ظل هذا المنهج أما من يبتعد عن هذا المنهج فان له معيشة الضنك . وآفة هذا العصر أن البعض يفسر حياة الضنك علي أساس أن الحياة تختفي منها النقود ٠

وأنا أقول:لا ٠

المعيشة الضنك هي أن يجد الانسان من واقع الحياة ما لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه بقوته سواء أكانت مالا أو غير ذلك ٠

والحياة الضنك تأتي لمن يعرض عن ذكر الله ٠٠ وكأن الله يريد من عبده أن يكون ذكر الرحمن فى تفكيره ٠

ولذلك لم يأمن الله الانسان على غفلته .. فجعل للمؤمن به لقاء مع الله كل يوم خمس مرات لاعلان ولائه وذكره لله ٠ فان غفل الانسان ما بين ميعاد صلاة وميعاد صلاة فان المؤذن يعود ليذكر الانسان بميعاد الله ٠

واذا تساءلنا ، لماذا ؟

نجد الاجابة ،

ــ ان الانسان اذا ظل علي ذكر الله صغرت أمامه كل مشاكل الحياة ٠

لماذا ؟

لأن الذي يأخذه الهم من مشاكل الحياة ويخاف من مواجهة هذه المشاكل ٠٠ هذا الانسان يواجه الحياة في حدود قدرته الضعيفة ٠

أما الذي يواجه الحياة وهمومها بقدرة خالق الحياة فانه قادر علي تخطي كل صعاب الحياة ·

ان الذي لا يؤمن بإله قوي قادر حكيم ·· معذور حين يجزع أمام الأحداث وعندما يضعف أمام المشاكل ·

ولكن الذي يذكر الله عندما يقابل العجز والمتاعب فانه يجد الراحة الشجاعة بالايمان ·

ولنضرب مثلا برجل لا يملك الا جنيها واحدا وضاع منه هذا الجنيه ·· ان هم الرجل وغمه قد يكون فوق الاحتمال · لكن لو ضاع جنيه من رجل عنده مائة جنيه أو ألف فهو لا يهتم · لذلك فرصيد الايمان يقوي العزائم فلا يهن الانسان ولا يضعف ولا ييأس من تجارب الحياة أبدا ·

أسأل الله أن يذكرنا به دائما ·

وأن يجعل سلوتنا عن كل مصيبة لنا في الدنيا ·

وأن نؤمن أن لنا إلها ولنا ربا كريما ·

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربى واستعينك

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد وبعد ٠

فقد انتهينا فى اللقاء السابق الى قضية خلق الانسان ٠ وشرحنا الأطوار التى مر بها خلق الرحمن للانسان ٠

وقلنا أن الله سبحانه وتعالى هو المصدر الوحيد لذلك العلم ٠

وقلنا أن الذين يضللون الناس فى هذه القضية لم يكونوا مع الله لحظة خلق الكون أو لحظة خلق الانسان ٠

ولذلك فليس من حق أحد أن يخبرنا عما صنعه الله الا الله سبحانه وتعالى عن طريق من اختارهم من رسل . وخاتمهم محمد النبى الذى حمل القرآن معجزة ومنهجا واضحا ٠

وكان ابسط بيان عن تفرد الله بمعرفة كيفية خلق الانسان والكون هو أن الخالق للحياة وضع نقيضا لها وهو الموت ٠

وهذا دليل واضح وجليل بصدق الله باخباره لنا فى قضية الخلق ٠

والقرآن الكريم حين غطى هذه المسألة ‥ وحين صورها لنا هذا التصوير فذلك هو عطاء الرحمن للانسان بأول فكرة عن أول شىء يتعلق بوجود الانسان ٠

والأمر الثانى الذى يهتم الانسان بمعرفته هو أن يعرف اجابة لسؤال هو ‥

ـ كيف وجدت البشرية كلها من نفس واحدة ؟

وهذا أمر قد يقف أمامه العقل حائرا . وهى مسألة قد يقول فيها المضللون أشياء هى مزيد من الضلال ٠

قد يقولون أشياء مثل أن جنسا ارتقى عن جنس ·
وكأن الله عنده أزمة أجناس ·

ويأتى القرآن ليضع الأمر فى نصابه فيقول :

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ·

« سورة يس ـ الآية ٣٦ »

وهذا تأكيد على أن الله الحق هو الذى خلق الكائنات كلها على سنة الذكورة والانوثة سواء أكانت نباتا أو حيوانا أو انسانا أو حتى ما هو خارج علم الانسان ·

ثم يؤكد القرآن الأمر فيقول :

« ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

« سورة الذاريات ـ الآية ٤٩ »

وهذا تأكيد آخر على أن كل شىء خلقه الحق تبارك وتعالى من زوجين ذكر وأنثى

اذن ..

فاذا رأى الانسان تكاثرا فى شىء فليعلم أن الأصل الأصيل لوجود هذا الشىء هو وجود زوجين هما أصل التكاثر ·

والحق سبحانه وتعالى حينما تحدث عن السيد فى الكون وهو الانسان قال :

« يا أيها الناس اتقــوا ربكـم الذى خلقكم مـن نفس واحدة

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »

« سورة النساء ـ الآية رقم ١ »

والحق تبارك وتعالى هنا يعطى بداية البداية بالنسبة للانسان آدم عليه السلام. ومن نفسه خلق حواء . ومنهما نشر في الوجود رجالا ونساء. والوجود كله تأكيد لوحدة الأصل وتنوع الأفراد . والتقوى لله تعنى المعرفة بما خلق وان رقابة الله علينا هى الرحمة بنا .

فاذا جئنا الى عصرنا الحديث الذى يقال أنه عصر ارتقاءات وعصر العقل البشرى بطموحاته فى الصعود الى الاجواء الواسعة :

اذا جئنا لهذا العصر فاننا نقول أننا نملك علما اسمه « علم الاحصاء » .

وهذا العلم يهتم فيما يهتم بتعداد سكان الأرض .

واذا نظرنا الآن فى هذا القرن الذى نعيش فيه فقد نجد أن تعداد الكون من البشر قد بلغ أربعين ألف مليون مثلا .

فاذا انتقلنا الى القرن الذى قبلنا .. فقد نجد أن تعداد البشرية هو عشرون ألف مليون نسمة .

ولو ظللنا نحسب الأمر عودة الى الأصل القديم فاننا سنجد أن الأصل ينتهى الى اثنين « آدم وحواء » .

اذن .. فقول الله ،

« ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

« سورة الذاريات ـ الآية ٤٩ »

هذا القول هو صدق يؤيده الاحصاء .

واذا انتقلنا الى شىء آخر هو أن يقول انسان هذا السؤال ،

ـ أنا أريد أن أعلم كيف يتكلم الانسان .. لأن اللغة هى المظهر الاجتماعى الضرورى ؟

والاجابة تقودنا الى معرفة كيف غطى القرآن كل المسائل التى يمكن للعقل البشرى أن يخوض فيها .

ان اللسان الذي تتكلم به لا يرتبط بجنسية الانسان .. بمعنى ان الانسان الانجليزي لو انتقل الى بيئة عربية فسوف يتكلم العربية ولن يقول أنا جنسيتى

انجليزية • وكذلك العربى اذا نقلته منذ طفولته الى بيئة انجليزية فسوف يتكلم الانجليزية •

اذن اللغة ترتبط بوجود الآنسان فى بيئة ما ولكنها ليست جنسية مستمرة للسان بل هى مظهر اجتماعى •

ما تسمعه الأذن •• يحكيه اللسان

ان لم تسمع الأذن سوى اللغة العربية فلن يتكلم اللسان الا اللغة العربية •

ان لم تسمع الأذن سوى اللغة الانجليزية فلن يتكلم اللسان الا اللغة الانجليزية •

واذا سمعت الأذن اللغتين العربية والانجليزية فسوف يتكلم اللسان اللغتين •

اذن ••

اللغة ابنة المحاكاة •

ما تسمعه أذنك يحكيه لسانك •

ومادام الأمر كذلك وعرفنا أننا تكلمنا لأننا سمعنا آباءنا يتكلمون ••

فقد نتساءل أيضا ،

ـ كيف تكلم آباؤنا ؟

واذا بحثنا عن أصل الكلام فاننا نصل الى آدم ••

وقد نسأل ،

ـ من أين سمع آدم •

هنا يأتينا قول الحق الصدق المقتدر •• فيقول لنا ،

« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين »

« سورة البقرة ـ الآية ٣١ »

وهذا هو الصدق الالهى المتأكد بواقع الحياة • خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء كلها وخواصها ليتمكن فى الأرض كخليفة لله فيها•وعرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم اخبرونى بأسماء هذه الأشياء وخواصها لكن أحدا من الملائكة لم يعرف •

إذن . فالقرآن جاء ليغطى كل هذه المسائل ،

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »

« سورة المؤمنون ـ الآية ١٢ »

والطين هذا من بعض عناصر الأرض .. تلك العناصر التى مازال يبحث فيها العلم ووصل حتى الآن الى معرفة حوالى مائة وثلاثة عشر عنصرا .

وقد قام بتحليل الطين علماء غير مسلمين .

حضارة الغرب هى التى حللت الطين . واكتشفت أن الطين الذى ينبت فيه الزرع مكون من ستة عشر عنصرا ..

وحضارة الغرب هى التى حللت الانسان فوجدت أنه مكون من نفس عناصر الطين الذى ينبت الزرع وهى الستة عشر عنصرا .

اذن لا بد لنا أن نصدق قول الحق تبارك وتعالى عندما يقول أنه خلقنا من طين .

لا بد لنا أن نقول هذا صدق عزيز مقتدر . لأن هذه العناصر الموجودة فى جسدى هى نفس عناصر الطين التى تبدأ بالأوكسجين والهيدروجين والكربون والنتروجين والبوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم واليود الى آخر هذه العناصر .

ولذلك يأتى قول الحق سبحانه وتعالى ،

« وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

« سورة الذاريات ـ الآية ٢١ ، ٢٢

وهذا تأكيد على أن الأرض فيها الدلائل الواضحة الموصلة الى اليقين بأن الانسان أصله من طين وغفل عن ذلك البعض .

والمؤمن بالله ليس في حاجة الى دليل .. لكن الآيات جاءت لتلجم غير المؤمنين بالله وتطمئن المؤمن أن الله لم يخدعه وبذلك يكون الذين آمنوا مؤمنين عن صدق . وتكون الخيبة كلها لغير المؤمنين .

لذلك ..

فعندما يأتي الله ويعطينا هذه الصور الواضحة عن كيفية الخلق . وكيفيا التكاثر بين الزوجين ويشرح لنا كيف تعلمنا الكلام .

ومادام آدم هو أول انسان .

ومادام الله قد علم آدم الأسماء كلها ..اذن فلم يبق الا المنهج .

قد نتساءل .. ما المنهج ؟

ان المهمة واضحة ومحددة لكل مخلوقات الله . القرآن الكريم يقول ،

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

« سورة الذاريات ـ الآية ٥٦ »

هنا تنحصر مهمة المنهج بعد الخلق في كلمة واحدة .. هي « يعبدون » ..

ما معني « يعبدون » هذه ؟ .

انها تعني اطاعة الخالق العظيم في أمره « افعل »

انها تعني اطاعة الخالق العظيم فيما ينهي عنه بـ « لا تفعل »

فان استقام الانسان علي هذا المنهج تكون الصنعة قد نجحت .

وصنعة الخالق هي الانسان ..

وكل صانع يقدم أسلوب استخدام وتشغيل وعمل ما يصنعه.وذلك حتي تنتج بأجمل وأعلي صورة .

وكل منا عندما يشتري آلة ما فانه يسأل عن كراسة المواصفات التي تعمل بها هذه الآلة . لأن كل من يدفع ثمنا لآلة فانه يريدها أن تتقن المهمة التي اشتراها من أجلها . واذا أخطأت الآلة فان الأمر يعود الى سببين .. اما لفساد فيها فيعود بها من اشتراها الى من صنعها . واما أن يكون من أدار هذه الآلة قد أخطأ في أسلوب تشغيلها .

وفي الحالة الثانية فان من يدير الآلة يسأل عن الخطأ في أسلوب تشغيله للآلة .

والخالق العظيم وضع لنا أسلوب ادارة أنفسنا .. ووضع لنا المنهج ..

اختار الانسان خليفة في الأرض .

أرسل الأنبياء والرسل بالمنهج ..

وكان محمد النبي الخاتم صاحب منهج هو معجزة في وقت واحد وهي القرآن .

ومن يتبع المنهج تكون حياته من لون آخر .

حياة سعيدة .

حياة غير متضاربة مع الغير . .

حياة لا تأتي فيها نعمة ما بكدر أو « غم » أو « هم » بعدها .

لكن من يحيا بدون المنهج فحياته تختلف .

تتحول حياة من لا منهج له الى قلق وتنافر وخصام وتمرد مع الكون .

واذا سألت لماذا ؟ فاننا نقول ما يلى :

ان صانع الحياة أراد لمن خلقه أن يؤدي مهمته علي وجه الدقة .. ومن لا يؤدي مهمته علي وجه الدقة فان حياته تضطرب لأنها تسير مخالفة لمن صنع الحياة .

اذن هذا المنهج قد جاء ليمنح الانسان حياة جديدة .

صحيح أن الحياة العادية تبدأ من لحظة دخول الروح في المادة ويتحرك الانسان . ولكن المنهج يجعل الحياة سعيدة ويسلم الانسان حياة كاملة لا تفوته فيها نعمة ولا يفوت فيها النعمة . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون »

« سورة العنكبوت ـ الآية ٦٤ »

وهذا معناه أن الحياة دون منهج قد تغري الانسان بمتاع محدود الوقت ولكن الحياة في ظل المنهج تؤدي الى دار حياة حقيقية وكاملة . وهذه حقائق ثابتة لا يدركها الا من كان له الادراك الصحيح .

وهذه حياة حقيقية لأنك لن تترك نعيما أو يتركك نعيم . ان هذا يحدث عندما تعيش بمنهج الله في الأرض وتحيا به آمنا مستقرا .

اذن..

ان الله يعلمنا أن هناك روحا أولى تدخل المادة فتصير كائنا يتحرك وينفعل ولكن هناك روحا أخرى هى روح الايمان تدخل على الكائن الحى لتعطى له القيم .

هناك اذن روحان .

روح للمادة الأولى وهي التي تمنح الكائن الحياة .

وروح القيم التي يمثلها منهج الايمان .

والقرآن يشير الى مثل هذه المسائل في اشارات معبرة .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون . »

« سورة الأنفال ـ الآية ٢٤ »

وهذا يعني الدعوة الخالصة للذين يصدقون بالحق وأذعنوا له أن يستجيبوا لنداء الله وأوامره وأن يستجيبوا للرسول في تبليغه ما يأمر به الله · ولنعلم أن الله تعالى قائم عالم بقلوبنا وينقذنا من شهوات النفس اذا اتجهنا الى المنهج المستقيم ·

لأن الانسان له حياتان ·

الحياة الأولى الرعناء ·

والحياة الثانية الأكثر ارتقاء ورفعة واكتمالا ·· تلك هي الحياة التي يريدها لنا القرآن ··

ولذلك فإننا ان لم نستمع الى منهج الله فلن نجد الحياة التي لها قيمة، وستبقى لنا روح تعطينا الحس والحركة ·· روح رعناء يتساوي فيها الكافر والمؤمن · لكن روح القيم عندما نتبع المنهج تقودنا الى نشأة حياة حقيقية · ولذلك سمي الله الروح الداخلة في الجسم منذ أن خلق الانسان جنينا في الرحم بكلمة « روح » ·

ولذلك سمي الله المنهج الذي يعمل به الانسان الى القيم العليا « روحا » ·· فيقول الحق تبارك وتعالى:

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم » ·

« سورة الشوري ـ الآية ٥٢ »

هكذا نري أن الله سمي المنهج القرآني « روحا » · وعرفنا من قبل أن روح الانسان الأولى التي تبعث فيه الحياة والحركة اسمها « روح » · ومن ذلك تعرف أن هناك « روحا » تجعل الكائن الحي يحيا حياة القيم وهي جديرة بأن تسمي « روح الروح » ·

سمي الله القرآن روحا ·

سمي الله الملاك الذي نزل بالقرآن « الروح الأمين »

اذن فالمهم في مدارات الحياة ليست الروح الأولى التي يتحرك بها الجسد الانساني والتي يشترك فيها المسلم والكافر ·

المهم هو أن نصل الى روح الروح ·· أي الحياة بالمنهج لنصل الى تحقيق القيم ·

لذلك ··

فالذين يأخذون من الله عطاءه في الروح الأولى ولا يأخذون عطاءه في الروح الثانية .. هؤلاء لا يأخذون الحياة بمعناها الحقيقي ولا يصلون الى أمن النفس أو استقرار الايمان أو عدم تعارض حركة انسان مع انسان . ولكن الذين يأخذون الروح الثانية فهؤلاء يصلون الى حياة لا يزول فيها الانسان عن النعيم ولا يزول نعيم ما عن الانسان أبدا .

ولو تخيلنا أن الانسان قد جرد نفسه من روح القيم . روح المنهج . روح القرآن . الروح الذي نزل به الروح الأمين .. لو تخيلنا هذا الانسان لوجدناه حائرا . لا يعرف له نظام حياة أو قدرة على التعايش مع بشر آخرين .

ان الانسان لكى يحيا في مجتمع لا بد له وللمجتمع من نظام يكفل الحركة . وحتى غير المؤمنين بالله يضعون قوانين تحكم تصرفات البشر بعضها مع بعض .. ولكننا نرى أن القوانين التى يضعها البشر تتعرض للعجز وللتبديل .

ولذلك فلا بد من وجود مقنن من غير البشر . لأن الانسان الذي يضع القانون قد يضعه ويصممه بما يخدم هواه .

الذي يرغب في أن يكون رأسماليا يقنن للرأسمالية .

الذى يرغب في أن يكون ماركسيا يقنن للماركسية .

وهذا وذاك لا يقدران على أنفسهما أو هواهما فيقولان أن قضية الدين كاذبة .. قد يقولها أحد علانية وقد يقولها آخر مستترة . وكلاهما غير قادر الا على الكبر وكبرياء الفكر فيقول ان قضية الدين كاذبة ولا يوجد هناك يوم آخر أو حساب .

لكن بعضهم يعود الى الاطمئنان الى منطق الحق ويدخل الى رحاب ربه فيؤمن ويسلم بقية حياته .

أسأل الله سبحانه وتعالى . أن يعلمنا عنه وأن يبصرنا بمنهجه .

والى لقاء آخر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللذة دون مبدأ تساوي الألم دون حدود وهذه هي الأسباب

أحمدك ربي وأستعينك ·

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد

وبعد ·

فقد انتهينا في اللقاء السابق الى تحديد معنى الخلق . وبدء الخلق ·

وعرجنا علي ما تفيده قضية الحياة المادية من تصديق أخبار الغيب من الله بكل ما أخبر به ·

وانتهينا في آخر اللقاء الى أن الروح التي ينفخها الله في المادة لتتحرك وتحس هي غير الروح التي يعطيها الله في منهجه القرآني ·

فالروح الأولى تعطى حياة يشترك فيها المؤمن وغير المؤمن ·

والروح الثانية هى التى تعطى حياة أسعد وأخلد وأفضل · وتلك هى الحياة الحقيقية ·

وقضية الخلق الأول ركز الله فيها كل عناصر الكون الى أن تقوم الساعة ، لأن التكليف من الله يتطلب أمرين ،

أمر بـ « افعل »

و

أمر بـ « لا تفعل »

ولا يمكن أن يصدر التكليف من الله دون توضيح وتفسير وتعليم · ان التكليف يتطلب أن يبصرنا الله بالعراقيل التي تتصادم مع التكليف سواء من رغبة النفس في الشهوة العاجلة أو من نزغ الشيطان للوسوسة للنفس البشرية فيما تحب من عاجل اللذة ·

ولم يشأ الحق سبحانه وتعالى أن يخلق آدم عليه السلام وزوجه ويرمي بهما في الكون دون أن يدربهما تدريبا واقعيا علي مهمة الانسان في الكون وعلي حظه ومسئوليته بالتكليف وعلي غفلته بالشهوة ·

شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعطي آدم وزوجه التجربة الحسية المادية ·· حتي يستقبلا الخلافة في الأرض استقبالا مدربا ليكونا الزوجين اللذين يتكاثر منهما الوجود كله ويجعل منهما ومن نسلهما خلافة في الأرض ·· لذلك لا بد أن يكون آدم وزوجه علي معرفة بالعراقيل التي تتعارض مع مهمة الخلافة في الأرض ·

- رغبة النفس في الشهوة العاجلة ·
- نزع الشيطان للوسوسة للنفس فيما تحب من عاجل اللذة ·

واذا نظرنا الى البشر عندما يريدون تنفيذ عملية من العمليات أو انجاز مهمة من المهمات التي تحتاج لمهارة ما ·· فان البشر لا يأتون بالأشخاص المختارين لهذه المهمة ليزجوا بهم في خضم الأعمال التي تحتاج لمهارة دفعة واحدة · وانما يأخذون الصفوة المختارة ليدربوهم علي أعمال المهارة تدريبا جيدا يؤهلهم للقيام بالمهمة · وأثناء التدريب قد يخطيء البعض فيتم التصويب · ذلك لأن هناك فرقا بين عملية « التربية والتدريب » وعملية « التأديب »

التربية والتدريب تعني أن تأخذ من تربيه وتدربه بالطرق التي توصله الى الغاية المرجوة منه ·

فان أخطأ صححت له وعلمته الصواب ·

أما عملية التأديب فان أخطأ فأنك تعاقبه ·

لذلك يظل التلميذ يتلقي العلم بين يدي أساتذته طيلة العام ·

اذا أخطأ التلميذ صوب له المعلم بالقلم الأحمر .

لكن اذا ما جاء التلميذ في نهاية العام ليمتحن فان المعلم لا « يصوب » للتلميذ أخطاءه ولكن « يحاسبه » على «الصواب » وعلى « الخطأ » ويضع له درجات يكون بها النجاح أو الرسوب .

كذلك الحق سبحانه وتعالى .

أراد الله الانسان خليفة في الأرض .

ومعني « خليفة في الأرض » أي أن الله أمر الوجود أن ينصاع للانسان .

تخضع الأرض للانسان .

تخضع الحيوانات للانسان .

يخضع الجماد للانسان .

ولكن الانسان الغافل يظن أن ذلك لمهارة الانسان نفسه .. لا .

ولذلك ينبه الله الانسان بأن اذعان كل شيء لك وكل كائن لك ليس بمهارتك الانسانية ولكن بمشيئة الله وبتسخير الله .

لذلك نجد العجب في الكون .

نجد جملا يقوده طفل صغير .

ونجد ثعبانا لا يستطيع أشجع الشجعان أن يقربه .

أيهما أكبر ؟

الجمل أم الثعبان ؟ ..

هذا الجمل الكبير ذلله الله للانسان .

وهذا الثعبان الضئيل تركه الله بلا تذليل للانسان حتي ينبه الله الانسان الى أن قدرته محدودة بحدود وتتعرض الى ما تستطيعه والى ما لا تستطيعه .

لذلك يقول الحق في القرآن ،

« أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون »

« سورة يس ـ الآيتان ٧١ ، ٧٢ »

ان أحدا لا يستطيع أن يذلل البرغوث الذي يقرصه وهو نائم . ومع ذلك يذلل الانسان الفيل .

اذن فالمسألة ليست خاضعة لقوة الانسان أو مهارته فقط ·
لكن الذي خلق الانسان هو الذي ذلل للانسان بقية المخلوقات ·
ولو لم يذلل الله للانسان المخلوقات لما استطاع الانسان أن يفعل ذلك بمفرده ·
اذن ··
فيجب أن يظل الانسان في مرتبة الخلافة ·
اياك ـ أيها الانسان ـ أن تظن نفسك أصيلا في الكون ·
ذلك أن فساد الكون يبدأ عندما يعتقد الانسان أنه أصيل في الكون ·
لذلك يأتي قول الحق سبحانه وتعالى للانسان ·

ـ أنا قيوم ولا تظن أني خلقت الكون والنواميس ثم تركتها تعمل كالآلات من ورائي ·· لا ·· أنا قيوم لا تأخذني سنة ولا نوم · واياك أن تظن اني زاولت سلطاني وقدرتي في الكون مرة واحدة · لا تتخيل اني خلقت القوانين ثم تركت القوانين لتعمل وحدها في الكون ·
لا ··
لا تزال القوانين بيدي ·
الناموس كله بيدي ·
الكون كله بيدي ·
واذا خدعتك الرتابة والنظام اللذان تراهما في الكون فتذكر اني جعلت لكل شيء سببا ·
أنا خلقت الأسباب والمسببات ·

ولكن بين الحين والحين أخرق الأسباب والمسببات لأدلل لك على أن القوانين لم تخرج من يدي لتفعل هي ··
وفي ذلك رد على هؤلاء الفلاسفة الذين قالوا « ان الله خلق الأشياء فعلا ، وترك القوانين تعمل وظل الله بلا عمل »
لا ·
لقد خلق الله القوانين · وقال الله للقوانين « اعملي » . والله من وراء القوانين قد يعطلها حين يشاء ·
لذلك نجد المعجزات التي جاءت على يد الرسل هي تذكير بهذه القضية · فلو أن القوانين هي التي تتحكم وحدها لما جاءت معجزات على الاطلاق · لكن شاء

الله أن يمنح الرسل معجزات يخرق بها القوانين حتي يقول لنا « لا تزال القوانين بيدى . أنا أخلقها وأنا أعطلها . وأنت أيها البشر تستطيع أن تطلق القانون ولكنك حين نطلقه لا تستطيع أن تتحكم فيه . لكن أنا الله أستطيع أن أخلق القانون وأن أتحكم فيه فأحكم عليه بالتوقف » .

مثلا ..

يستطيع الانسان أن يمسك بندقية ويجيد التصويب والهدف واضح أمامه .

القانون يبدأ من أن يضع الانسان يده علي الزناد فتنطلق الرصاصة فتصيب الهدف .

لذلك لا يمكن أن يطلق الانسان الرصاص وهو يركز على الهدف دون أن يصيب الهدف .

لكن الله قد يتدخل .. قد يسمح للرصاصة أن تنطلق ولا تصيب الهدف .

هذا هو الفارق .

لنتأمل قصة سيدنا ابراهيم والنار .

هل كان الله يريد فقط أن ينجو ابراهيم من النار ؟

لا .

لأن المسألة لو كانت نجاة سيدنا ابراهيم فقط لكان قد جعل ابراهيم يفلت من بين يدى قومه أو يجعلهم لا يستطيعون الامساك به .

وكان يستطيع أن يتركهم يوقدون النار ثم يرسل المطر فتنطفىء ..

لكن الله أراد أن يتمكنوا من ابراهيم .

وان تظل النار نارا .

وأن يقذفوا بابراهيم فى النار .

ويأمر الله النار .

« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »

« سورة الأنبياء الآيات ٦٩ ، ٧٠ »

هذا هو كيد الخصوم لله . ورد الله عليه ،

فلو كان الله قد منعهم من الامساك به لقالوا « آه لو كنا أمسكناه وقبضنا عليه .. لكنا فعلنا به كذا وكذا .. »

ولو كانت الأمطار هى التى أطفأت النار لقالوا « آه لو لم تأت الأمطار كانت النار ستحوله الى فحم » .

ولكن . عندما قال الله للنار « كونى بردا وسلاما على ابراهيم » .. فهذا معناه أن معجزة تحققت . النار لم تعد لها فى حالة سيدنا ابراهيم وظيفة الحرق .. لقد أتى الله بالمعجزة ليعطى المثل على إطلاق قدرته فى الكون . وليؤكد أن القوانين التى وضعها الله فى الأشياء هى أيضا بيده . وأنه بعد أن خلق هذه القوانين فان سيطرته عليها كاملة .

أنه قيوم ودائم القدرة . .

مثال آخر ..

قوم فرعون عندما جاءوا وراء موسى وأهله حتى يدركوهم .

عندما رأى أصحاب موسى قوم فرعون أصابهم الخوف .

« فلما ترآءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون »

« سورة الشعراء ــ الآية ٦١ »

قال قوم موسى « انا لمدركون » بمنطق الواقع . وتوقعوا الهلاك على يد جيش فرعون .

فماذا قال موسى ؟

« قال كلا ان معى ربى سيهدين »

« سورة الشعراء ــ الآية ٦٢ »

قال موسى « كلا » ولو كان قد اكتفى بذلك لقال منطق الواقع .. ان هذا جنون مطبق لأن جيش فرعون من الخلف والبحر من الامام .

لكن موسى قال « كلا ان معى ربى سيهدين » . وهنا عرفنا أن القانون بيد الله .

ولذلك كانت معجزة شق البحر

« فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وانجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين »

« سورة الشعراء الآيات ٦٣ ــ ٦٤ »

وكانت معجزة شق البحر عجيبة · انها تتعدى قوانين البحر · حيث ان البحر من ماء · والماء سائل · فكيف ينقسم الماء اثنى عشر طريقا ·· كل طريق يتجمد على جانبيه الماء كأنه جبل عظيم · كيف تنتقل سيولة الماء الى صلابة الجبل ؟

ثم يدخل موسى الى البحر هو وقومه ويخرج هو ومعه كل قومه . ثم يحاول موسى أن يضرب البحر بالعصا مرة أخرى حتى يغلقه فى وجه فرعون · فيعطل الله عمل العصا كمعجزة ويظل البحر كما هو به طرق واضحة تحفها جبال · وذلك حتى يزداد غرور فرعون ويدخل خلف موسى · وبعد أن ينجو موسى وأصحابه يعود البحر كما كان مجرد مياه ·· فيغرق فرعون وجنوده ·

وتكون قدرة الله أن انقذ موسى وأهله وأهلك فرعون وجنوده بالشىء الواحد ·· البحر ·

انها القدرة المطلقة فى نواميس الكون ·

قدرة طليقة ولا حدود لها ·

ولنضرب المثل الآخر ·

نحن عندما نستقبل قضية الخلق فى القرآن · وجدنا أن الله خلق آدم · وخلق له زوجته من نفسه · وخلقنا نحن من نسل آدم ·

وخلق عيسى ابن مريم من بطن امرأة لا رجل لها · هنا نجد الخلق على أربعة ألوان :

- خلق انسانا لا أب له ولا أم ·· آدم
- خلق انسانا من أب فقط ولا أم ·· حواء
- خلق انسانا من أم فقط ولا أب ·· المسيح
- خلق انسانا من أب ومن أم وهو يمثل كل بقية البشر ·

وذلك حتى نعرف أن السبب لا يملك الله ··

ولكن الله يملك كل الأسباب ·

وحتى يؤكد الله لنا ذلك بشكل أكثر فاعلية ·

فقد يوجد الأب والأم والعناصر كلها مستوفاة ولكن لا أبناء لهم ·

« لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور - أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير »

« سورة الشورى الآيات ٤٩ ، ٥٠ »

وهذا هو اطلاق القدرة فى الأسباب ·

وذلك حتى لا تصيب الناس الفتنة بالأسباب وحدها دون تذكر قدرة الله ·

أذكر أن التقيت مع مستشرق فرنسى اسمه « مليو » فى مدينة الزقازيق منذ سنوات بعيـدة وكان يقول :

ـ ان ايمانكم بالقضاء والقدر وان كل شىء بيد الله هو الذى جعلكم متأخرين ومتخلفين ·

ومرت سنوات ويشاء الله أن ألتقى بهذا المستشرق منذ شهور فى الأردن · وجاءت سيرة الثروات العربية فى الأمة العربية المتخلفة · والتى شاء لها الله أن يذل لها المتقدمين ·· بما منح الله العرب ·· بما منحهم من تحت أرجلهم فى الأرض · فقلت لهذا المستشرق :

ـ ان ثروة العرب يمكنها ان تجعلك تفهم ان الله حين جعل الحركة سببا لاتساع الرزق ·· جعل أيضا اتساع الرزق عند غير المتحرك · وذلك ليؤمن الناس بإطلاق قدرة الله ·

ولكن العرب أيضا عليهم أن يعرفوا أن الثروة اختبار من الله ··

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور »

« سورة الحديد ــ الآية ٢٣ »

وهذا معناه أن الله القيوم يخلق الأسباب والمسببات ·

ويخلق الأسباب دون المسببات ·

ويخلق المسببات دون الأسباب ·

وذلك حتى لا تنقطع صلة الخلق بالحق سبحانه وتعالى ويظلون مرتبطين به دائما ·

أسأل الله أن يعلمنا عنه ·

وأن يلفتنا الى قيوميته

والى لقاء قادم ان شاء الله ·

حتى لا نظلم أبانا آدم !

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي كما علمتنا أن نحمد ٠
وأصلي وأسلم علي خير خلقك سيدنا محمد ٠
وبعد ٠

فقد انتهينا في اللقاء السابق الى عرض قضية الخلق الأول . وعرض قضية التعليم الأول ٠

ووقفنا عند تدريب آدم علي المهمة التي يقوم بها في الحياة الدنيا ٠

وضربنا مثالا علي ذلك ٠٠ انه اذا كان المجتمع الانساني يريد أن يدرب انسانا ما علي حرفة ما أو مهارة ما ٠٠ فان هذا المجتمع لا يلقي بالنظريات الخاصة بالمهارة في أذن الانسان المراد تدريبه ٠٠ ثم بعد ذلك يطلب منه أن ينفذ هذه النظريات في الواقع ٠

لا ٠٠

ان التدريب في المجتمع البشري يقضي بأن يأخذ المربي من يريد تربيته ليدربه عمليا علي المهمة التي يريدها منه ٠ فان أخطأ من يتم تدريبه في فترة التدريب فان أحدا لا يعاقبه ولكن يوجهه المعلم الى الصواب فقط ٠

وضربنا مثلا للمعلم الذي يعلم تلاميذه طيلة العام ويشرح لهم المسائل العلمية ٠٠ فان أخطأ تلميذ ما ٠٠ فان الأستاذ يصحح له الخطأ ويكتب له الصواب ٠ لكن حين تأتي نهاية العام ويترتب على الأمر نجاح أو رسوب ٠٠ فان المعلم يصحح ورق الاجابة لا بغرض تصحيح الأخطاء ولكن بغرض تقدير الدرجات التي تستحقها اجابة التلميذ ويترتب علي ذلك النجاح أو الرسوب ٠

وهكذا كانت قضية التدريب الأول لآدم ولزوجه ٠

يظن كثير من الناس أن آدم بمعصيته لربه أخرج نفسه وأخرجنا معه من الجنة · وكأن آدم هو الذي أخرجنا بفعلته لنكدح ونشقي . وكان من الممكن أن نظل في الجنة الى الأبد ·

وهذا النوع من الناس يظلمون آباهم آدم ·

لأن القضية هذه علينا أن نفهمها علي أساس الاعلان الأول عن آدم · والاعلان الأول عن آدم لم يقل اني خلقت آدم للجنة ثم عصا ربه فنزل الى الأرض ..

لا ..

ان الاعلان الأول عن آدم هو قول الله ،

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة · قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال ، اني أعلم ما لا تعلمون »

« سورة البقرة ـ الآية ٣٠ »

كانت البداية اذن هي اختيار آدم لمهمة في الأرض ·

هذه المهمة هي خلافة آدم في الأرض · وليباشر آدم مهمة الاستخلاف فيما سخره الله له ·

ولكن الله لرحمته بالخلق .. لم يشأ أن يزج بآدم في تلك المهمة التي تعطيه سيطرة علي كل أجناس الوجود فيسخرها كما يحب . وربما أعطاه ذلك التسخير لونا من الاستعلاء في ذاته فيظن أنه هو الذي فعل بذاته ولا يذكر الفاعل الذي فعل له ذلك كله ..

« كلا ان الانسان ليطغي . أن رآه استغنى »

« سورة العلق ٦ ، ٧ »

ان الانسان عندما يري نفسه في الثراء والسيطرة علي الكون قد يظن نفسه بنوع من الاستكبار انه قد فعل كل ذلك بنفسه وينسي خالقه الذي استخلفه في الأرض .

ولهذا قد نجد الانسان أبعد ما يكون عن خالقه حين يمتلك أسباب الدنيا من صحة ورزق وأمن واطمئنان وسلامة . ولكن اذا مس الانسان شيء من الضرر ورأي أن ما يملكه لا يسعفه في ازالة الضرر .. عند ذلك لا يجد الا أن يذكر ربه ويفزع الى خالقه ليضمن لنفسه الأمل .

« واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما .. فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون »

« سورة يونس ـ الآية ١٢ »

اذن فقضية الاستخلاف في الأرض والتي يجد فيها الانسان أن كل شيء مسخر له .. قد تجعل الانسان يسير الى الطغيان ..

فما الذي يلفت الانسان الى ربه ؟

ان الانسان قد يجد في قوة سيطرته علي الأشياء في الكون ما يجعله يتمادي في الغرور .

ولهذا يجب أن ندرك سر المحن والكوارث في الكون .. ويجب أن ندرك سر المصائب بالنسبة للانسان .

المحنة أو الكارثة أو المصيبة هي التي تنفض عن الانسان أسباب الغرور وتجعله يلتفت الى وضعه كخليفة لله في الأرض وتعيد له الفهم والاحساس بقدرة صانع كل أسباب القوة وهو الله سبحانه وتعالى .

قد يظن الناس أن المصائب انما جاءت للنيل منهم . ولا يعرفون أن المحن والمصائب هي التي تنفض عن الانسان غبار الغرور بأسباب قوته وتجعل الانسان مضطرا دائما الى أن يلجأ الى الحق سبحانه وتعالى الذي خلق كل أسباب قوة الانسان .وخلق أيضا النقيض لهذه القوة وهو الضعف أمام الكوارث والمصائب والمحن .

اذن فالكوارث والمصائب والمحن جاءت لتعدل ما اعوج من سلوك الانسان وتذكره بواجب العبودية لله ·

فمن يطغي بالنعمة يلفته الله بواسطة النقمة ·

اذن فاللفتة التى تحدث هي لحساب الانسان وليست علي حساب الانسان ·

ولذلك كان خصوم الاسلام والمسلمين يفرحون حين يرون مصيبة تقع بالمسلمين ·· لأن مصيبة نزلت بأعدائهم المسلمين ·

ويرد الله علي حمق اعداء المسلمين ويزيد الله من رشد المؤمنين بأن يقول :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلي الله فليتوكل المؤمنون »

« سورة التوبة ـ الآية ٥٢ »

هذا أمر واضح للمؤمنين بأن ما يصيبهم ليس عليهم ولكن لصالحهم تماما كقانون البنوك فيه « حساب للانسان » و « حساب علي الانسان » ·

فهل المصيبة للمؤمن أم عليه ·

المصيبة للانسان وليست عليه لانها تلفته الى ربه · ولو لم تجيء المصيبة ربما ظل الانسان سادرا في طغيانه · وحين يظل الانسان سادرا في الطغيان فهو ينسي أنه خليفة لله في الأرض ويعتبر نفسه أصيلا في الكون واذا اعتبر الانسان نفسه أصيلا في الكون فقد جاءت الخيبة كلها عليه ·

اذن فحين يلفت الله الانسان بمصيبة تصيب الانسان فذلك لأن الله يريد تصويب حركة الانسان في الحياة وهذا لحساب الانسان ولصالحه · وحين أراد الله أن يدرب آدم علي مهمة الخلافة في الأرض ·· فهذا معناه أن يظل آدم متذكرا وعارفا لنفسه كخليفة في الأرض وليس أصيلا يظن نفسه صانع الكون ·

ويريد الله أن يذكر آدم بعقبات تقف في طريق الطاعة لله وهي :

- هوي النفس الحمقاء التي تتطلب عاجل الشهوة وتنسي عاجل العقوبة ·

ثم العقبة الثانية وهي :

- الشيطان الذي يزين للانسان أن يعصي ربه ·

قضية العصيان في الكون كله إذن تتمثل في أمرين هما :

- شهوة النفس أو الاستجابة الى اغراء الشيطان ·

ويستطيع الانسان المؤمن اللبق أن يفهم ·

ـ هل المعصية التي يعصي بها ربه من عمل نفسه أم من عمل الشيطان ؟
وذلك حتي لا نظلم الشيطان في كل شيء ونظل نردد « الشيطان .. الشيطان »
تقول لمثل ذلك الانسان .. لا .. قبل أن تستعيذ بالله من الشيطان . فان الله يأمرك أن تستكمل السيطرة علي نفسك .. بحيث لا تتحرك شهوتك الى مخالفة ربك .. فاذا ما استكملت السيطرة علي نفسك فاستعذ بالله من العنصر الخارج عنك وهو الشيطان .

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم »

« سورة فصلت الآية ٣٦ »

أى أنه عندما يوسوس لك الشيطان بما يصرفك عما أمرك الله به فتحصن منه بالله . والله هو المحيط علما بكل شيء .

لكن قبل أن تقول الشيطان .. قل لنفسك :
ـ أهذا أمر اراده الله وحدده بـ « افعل » أو « لا تفعل » . وذلك حتى لا تدخل الشيطان عدوا فى غير قضية عداوة .
ولذلك يقول المحققون أن الانسان يستطيع أن يعرف أهذه المعصية من نفسه أم من الشيطان ؟

فان كانت المعصية التى يعصى بها الانسان الله تلح على الانسان بذاتها . وكلما حاول الانسان أن يصرف نفسه عن هذه المعصية فان نفسه تحدثه بها .. فعلى هذا الانسان أن يعلم أن هذه المعصية من نوع « شهوة النفس » .. لأن النفس تحب الانسان عاصيا من لون خاص . تريد النفس أن تحقق لنفسها تلك الأخطاء والمعاصى .. كالنظرة الى المحارم مثلا .. يحاول الانسان أن يأمر نفسه بالانصراف عن ذلك ولكن النفس تلح عليه .. هذه شهوة من لون خاص وخطأ من لون خاص . شهوة النفس . ان النفس ترضى بالمعصية الجزئية التى ان لم يقاومها الانسان .. سيطرت عليه .
أما الشيطان فله أمر آخر . ان الشيطان يريد الانسان عاصيا دائما .. أنه لا يرضى بالمعصية الجزئية .. انما يطلب العصيان الدائم . فان امتنع الانسان على

الشيطان فى معصية ما . فان الشيطان يحاول الدخول الى الانسان من باب معصية أخرى .

ويتتابع هجوم الشيطان فاما أن تكون قويا واما أن تضعف تماما،فالذى شهوته ان يسرق وحاول الامتناع وصرف النفس عن السرقة .. هذا الانسان اذا ما قاوم ذلك فانه ينتصر .. أما اذا استسلم الى السرقة واتبعها بالزنا وأتبعه بالالحاد وأتبعه بالغرق فى كل مالا يرضى الله دون ضمير .. فهذا هو المستسلم للشيطان .

واذا اكتشف الشيطان قوة انسان فى الامتناع عن خطأ ما فانه يبحث عن ثغرة الضعف لينال من الانسان ويجعله عاصيا مطلق المعصية .

وحينئذ يستطيع الانسان أن يحدد بشكل واضح .. اذا كانت المعصية التى يقف عندها ويحاول أن يصرف النظر عنها ثم ترجع النفس بالالحاح .. فهذا كما قلنا « شهوة النفس » .

أما اذا كانت المعصية تتحول وتتبدل .. وتصبح طريقا الى معصية ثانية وثالثة ورابعة .. فليعلم الانسان ان تلك المعاصى من الشيطان . لأن الشيطان يريد الانسان عاصيا بشكل مطلق وبأى حال من الأحوال .

اذن فقضية التدريب على مهمة الانسان فى الحياة يجب أن تتناول هذه المسألة .. فعندما أختار الله آدم لمهمة الخلافة فى الأرض فعلى الانسان أن يفهم الرسالة السماوية بالشكل الآتى .. كأن الله يريد أن يقول لآدم :

ـ يا آدم انى جعلتك فى الأرض خليفة . والخلافة تتطلب أمرا . هذا الأمر يتلخص فى أنه يجب أن تتنبه جيدا الى أن لك عدوا .. هذا العدو اما انت نفسك واما الشيطان . وانا سأجعلك تعيش هذه التجربة نفسها فى هذه البقعة المسماة بالجنة .

ولا بد لنا أن نتروى ونحن نفهم معنى كلمة « الجنة » التى تدرب فيها آدم على مهمة الخلافة فى الأرض .

ان الذى يريد أن يدرب انسانا على مهمة ما .. فانه يحدد مكان التدريب المناسب لهذه المهمة . مثال ذلك أننا اذا أردنا أن ندرب فريقا للكرة أو للسباحة .. فماذا نصنع معه ؟ . أننا نأخذه الى مكان يستطيع فيه أن يتفرغ لهذا التدريب . ونهيىء له فى هذا المكان كل أسباب الحياة من مأكل ومشرب وملعب ومبيت ونحاول أن نجعل حياة الانسان كاملة من كل الأوجه ولا نكلفه السعى وراء أسباب الحياة .. ثم ندربه على المهمة التى نريدها له .

وهكذا فعل الله مع آدم ·

أخذ الله آدم وزوجه الى الحنة ·

ولم تكن هذه « الجنة » التى أخذ الله اليها آدم وزوجه هى « جنة الآخرة » التى بها الثواب والعقاب · بل كانت « مكانا » يستر آدم وزوجه ليتعلما فيها ويتلقيا التدريب على الخلافة فى الأرض · وقد يسأل سائل : اذن ما هى الجنة التى ذهب اليها آدم فى بدء الخلق ؟ ان هذا يعنى ان نشرح معنى كلمة الجنة !

ان الله أطلق كلمة « الجنة » على البقعة التى يوجد فيها من الزرع ما يستر الانسان ·

و « الجنة » معناها ساتر · فاذا دخل فيها انسان سترته بأغصانها وأشجارها أو سترت الانسان عن الوجود لأن فيها كل ما يغنى الانسان ·

وحتى نؤكد هذا المعنى فعلينا أن ننظر الى الآيات الكريمة التى تقول :

« وأضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا · كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا · وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا وأعز نفرا. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه ابدا · وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا · قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا · لكنّ هو الله ربى ولا اشرك بربى أحدا · ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا · فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا · أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا »

« سورة الكهف الآيات من ٣٢ الى ٤٢ »

هنا يضرب الله المثل برجلين أحدهما له حديقتان من أعناب ونخيل وبينهما نهر وأفسده ما يملك فظن أنه ليس خليفة فى الأرض انما هو صانع ومالك الحديقتين وكفر بالله وقال أنه من أصحاب النعيم · سواء فى الدنيا أوالآخرة .. لكن الرجل الآخر كان مؤمنا بالله يعرف أنه خليفة فى الأرض ويعى وجود الله وقدرته ومشيئته يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويرسل الخير اختبارا .. ويرسل المنع اختبارا.ونزلت الصاعقة على من لم يع مقدرة الله ·

استخدم الله هنا كلمة الجنة في وصف مكان يملكه فرد · ولهذا فان علينا أن نفهم أن « الجنة » التى أوجد الله آدم بها هو وزوجه هى مكان للتدريب على مهمة الخلافة. ويمكننا أن نعرف أن كلمة الجنة كما تطلق على دار الثواب فى الآخرة ·· فهى تطلق أيضا على المكان الذى فيه كل حاجات الحياة ·

واذا سألنا على أية مهمة أراد الله أن يدرب آدم وزوجه ؟

فان الاجابة هى أن الله أراد أن يدرب آدم على مناط فكرة الاختيار فى الانسان ··

لأن فكرة الاختيار هى سر العصيان أو الطاعة ·

ولأنه لو لم يكن فى الانسان اختيار بين « أن يفعل » أو « لا يفعل » ·· لما كان هناك داع لمهمة تكليف الانسان بالخلافة فى الأرض وبأن « يفعل » ما يأمره لله وأن « لا يفعل » ما ينهى عنه الله ·

لأن الله أراد أن يجعل الانسان صالحا لأن « يفعل » وصالحا « ألا يفعل » ·

هنا يمتلك الانسان ارادة « الفعل » و « عدم الفعل » ·

هنا لا يكون الانسان مرغما ·· لأن الارغام لا تكليف فيه ·

ولكن « التكليف » منشؤه وجوب الاختيار ·

للانسان القدرة أن يفعل

وللانسان القدرة ألا يفعل

لذلك فـ « المكره » يسقط عنه التكليف · مثل « المجنون » او « ناقص العقل » أو « غير البالغ » · هنا يسقط التكليف · ولا تكليف الا بالبلوغ أو نضج العقل أو ذهاب الجنون مثلا ·

لأن قانون الاختيار هنا غير موجود ·

كل هذا يدل على مناط التكليف بـ « افعل » أو « لا تفعل » لا بد أن يكون فى أمور اختيارية · لأن الأمور غير الاختيارية لا تكليف فيها ذلك لأن الانسان لا دخل له فيها ·

ولذلك اذا نظر الانسان الى الكون لوجد الانسان أن أى فساد فى الكون ليس فى الأمور التى سخرها الله للانسان والتى نشأت بغير اختيار ·· ولكن الفساد ينشأ فى الكون من مخالفة التوجيه فى الأمر الاختيارى ·

والأمر الاختيارى للانسان فقط ·

لذلك فكل فساد الكون لا ينشأ من المخلوقات الأخرى ·

لا ينشأ الفساد من الجماد ·

ولا ينشأ الفساد من الحيوان ·

ولكن الفساد ينشأ من الانسان ·

واذا سألنا :

ـ من أى منطقة فى الانسان ينشأ الفساد .. هل من الأمور التى هو مقهور عليها أم فى الأمور التى هو مختار فيها ؟

وتعرف الاجابة بأن الفساد ينشأ من الأمور التى يختار فيها الانسان ·

أما الأمور التى لا اختيار فيها فلا فساد بسببها فى الكون ·

اننا اذا نظرنا الى الكون لوجدنا أن المتاعب تنشأ فى القوت مثلا . لأن الانسان له عمل فى انتاج القوت .. قد يزرع ما يكفيه وقد لا يزرع · وقد نجد المتاعب تنشأ فى الماء مثلا .. لأن الانسان له عمل فى المياه كأسلوب تنقيتها وتوزيعها ·

لكن هل يوجد فساد فى الهواء مثلا ؟

هل اشتكى أحد الناس من الهواء ؟

لا ..

لماذا ؟

لأنه لا دخل للانسان فى شىء من الهواء ·

اذن فالفساد فى الكون ينشأ من منطقة الاختيار فى الانسان · والفساد لا يحدث الا اذا خالف من يختار توجيه الذى أوجب عليه الاختيار ·

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا

والى لقاء آخر ان شاء الله

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام علي سيدنا محمد النبي الخاتم ·· رحمة الله الي العالمين

وبعد ·

فقد انتهينا في اللقاء السابق الي أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم وزوجه ليست هي جنة الآخرة التي فيها الجزاء ··

لأن جنة الجزاء لا يدخلها الانسان الا بعد حساب يترتب عليه الثواب ·

ولأن الجنة التي هي دار الثواب لا تكليف فيها ·

ولأن الجنة التي هي دار الثواب لا يمكن أن ينزغ فيها الشيطان ·

وقلنا أن الجنة التى تم فيها تدريب آدم وزوجته على مهمة الخلافة في الأرض هى مكان به استكفاء بكل مقومات الحياة ·

وقلنا أن مهمة الانسان في الأرض كانت تقتضي الاختيار ·

والاختيار يقتضي التوجيه ·

والتوجيه ينحصر في « افعل » و « لا تفعل » ·

وكل مناهج الرسل الذين أرسلهم الله الي الخلق لا تخرج عن التكليف الواضح بـ « افعل » و « لا تفعل » ·

لذلك تم تدريب آدم علي مهمة « افعل » وعلي مهمة « لا تفعل » ·

تم تدريب آدم علي مهمة « افعل » عندما صدر الأمر الالهي بأن يأكل من الشجرة ما شاء هو وزوجه ·

وتم تدريب آدم علي مهمة «لا تفعل» عندما صدر الأمر الالهي بألا يقربا هذه الشجرة ·

فالرمز الى حرية الفعل هو الأكل من كل ما فى الجنة ·
والرمز الي حدود هذه الحرية و « لا تفعل » هي « لا تقربا هذه الشجرة » ·
ومجال الاختيار مفتوح بأن يأكل الانسان ما أذن الله أن يأكله . وأن يمتنع عن الأكل من تلك الشجرة ·

ولننظر الي دقة الأداء التكليفي عندما يقول الحق « لا تقربا » موجها الحديث لآدم ولزوجه · ان دقة الأداء التكليفي تظهر بوضوح عندما يقول الحق تبارك وتعالي « لا تقربا ».أنه لم يقل « لا تأكلا » ·

فكأن أمور المعاصى كلها لا يطلب الله منا ألا نفعلها فحسب.ولكن الله يريد أن يجنبنا الحاح شهواتنا علي فعل المعصية. لذلك يبعدنا حتي عن مجال الاقتراب من المعصية ·

فمثلا ·· قد يوجد مكان فيه خمر . والله لا ينهي الانسان فقط عن شرب الخمر . والا كان معني ذلك أن يوجد الانسان في خمارة ويكتفي الانسان بألا يشرب ·

لكن أليس وجود الانسان في مكان احتساء الخمر هو اثارة الالحاح علي نفس الانسان فتلين هذه النفس وتفعل المعصية ؟

ان الله يريد أن يمنع الانسان من هذا ·· فتقول الأوامر السماوية لا تقرب أماكن احتساء الخمور ·

هكذا نفهم الأمر السماوي بـ « لا تقرب كذا » · وليس معني ذلك ألا يكتفي الانسان بعدم الفعل لشرب الخمر ولكن أيضا ألا يوجد في مجال قد يغريه بأن يفعل ما يعصي به الله ·

اذن فالذي خلق النفس الانسانية حماها من محاولات المعصية بالنسبة للانسـان ٠

ولذلك نجد أسلوب القرآن يقول مرة ؛

« ولا تباشـروهـن وأنتم عاكفون في المساجد ٠ تلك حدود الله فلا تقربوها » ٠

« جزء من الآية ١٨٧ من سورة البقرة »

ومرة أخري يقول القرآن ؛

« تلك حدود الله فلا تعتدوها »

« جزء من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة »

والأسلوبان يدلان علي أن قائل الأسلوبين حكيم يضع اللفظ حيث يعبر تماما عن المعني ٠

فاذا كان الأمر متعلقا بمسألة « افعل كذا ولا تتعـده » فهذه هي حدود أوامر واضحة فيأتي الأمر السماوي « تلك حدود الله فلا تعتدوها » ٠

أما ان كان الأمر متعلقا بمسألة ينهانا عنها الله فان الأمر السماوي يقول « تلك حدود الله فلا تقربوها » ٠ فالأمر بالنهي لا يقف عند « لا تفعل » كذا ، ولكن الأمر بالنهي يتسع ليحمي الانسان بعدم الاقتراب من مجال هذا الفعل الذي يجب علي الانسان أن يبتعد عنه ٠

ويتضح الأمر بصورة حاسمة في هذا المثال ٠٠ فيقول الله للمعتكف بالمسجد في رمضان ما يلي ؛

« ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها » ٠

« جزء من الآية ١٨٧ من سورة البقرة »

فمن الجائز أن تأتي امرأة للعاكف بالمسجد فتتحدث معه ويتحدث معها ويهمس صوت الاغراء فيقول الرحمن « تلك حدود الله فلا تقربوها » ٠٠ لذلك فالأمر هنا أن نمنع الملابسات التي تغري بهذه العملية ٠

وفهم الأوامر والنواهي بهذا الأسلوب يحل لنا اشكالا وقع فيه كثير من الذين يعتبرون أنفسهم مفكرين ٠٠ يستقبلون أوامر الله بأسلوب في الفكر يقود الي

الطغيان ويحاولون أن يحللوا لأنفسهم أشياء محرمة وذلك حتي لا يقال أنهم عاصون فيقول الواحد منهم : ان الخمر لم تأت فيها آيات للتحريم وقصاري ما جاء فيها هو قول الله . « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » . ويظن هذا البعض من الناس أن كلمة « الاجتناب » أقل من كلمة التحريم .

ونحن نقول لهذا النوع من البشر .. لقد ظلمت نفسك لأنك تريد بالتفكير التحايل علي الله .

ان الانسان اذا قيل له « لا تكلم فلانا » فيكفي في اطاعة ذلك أن يوجد الانسان مع فلان ولا يتكلم معه .

ولكن اذا قيل للانسان « اجتنب فلانا » فمعنى ذلك ألا يتكلم الانسان مع فلان هذا وألا يراه وأن يبتعد عنه .

لذلك فعندما يقول الله فى أمر الخمر « فاجتنبوه » فهذا أشد من التحريم . أى ان لا يوجد الانسان معها فى مكان .

فأيهما الأقوى ؟

ان يوجد الانسان فى منطقة التحريم للخمر ..

أم أن يوجد الانسان فى منطقة اجتناب الخمر .

فاذا كان الله قد أمر الانسان بتحريم الخمر فقط. فان معنى ذلك ألا يوجد أى مانع من أن يوجد الانسان فى مجالس الخمر وألا يشربها .. لكن وجود الخمر فى دائرة الاجتناب معناه أن كل الملابسات التى تتعلق بها حرام .

وهكذا يمكن أن نرى قول الله لآدم ..

انا سأسكنك فى جنة التدريب على الحياة وأقول لك هذه هى أوامرى .. وهذه هى النواهى التى يجب أن تبتعد عنها .. فكل ما فى الجنة حلال لك طعامه الا هذه الشجرة ..

وهنا نعرف أن عماد التكليف « الأمر والنهى » ويحذر الله آدم من الشيطان :

ـ ان الشيطان أيها الانسان عدو لك لن يتركك فى حالك وهذا العدو سيثير أمامك المغريات حتى تعصى الله .

وقد يقول قائل ..

ـ ولماذا أرسل الله الشيطان ليعكر صفو مزاجنا ؟

وهنا نقول لهذا القائل :

ـ لا .. ان الشيطان لم يوجد ليعكر مزاج الانسان ولكن لأنه اذا لم يوجد فى الكون ما يثير رغبة الانسان فى المعصية فربما صارت الطاعة أمرا عاديا .

لكن عظمة الطاعة هى أن يوجد الاغراء بالمعصية ويقول الانسان « لا لن اعصى الله » .

. اذن فانه يمكننا الآن أن نعرف أن فكرة وجود الشيطان هى استبقاء لحرارة التكليف . ومقابلة العبودية لله بالطاعة لأوامر الله ..

ولنفترض ان الشيطان لم يوجد . ان ذلك معناه ان الطاعة تدخلها الرتابة والملل .

وقد نضرب مثلا على ذلك .. ان أحدا منا لا يفكر فى أن يأكل لحم الخنزير . ومن لم يتعود أن يشرب الخمر فهو لا يفكر فيها .. هنا قد يكون الامتناع رتابة .

والله يريد أن يكون الامتناع عبودية له .. لذلك فلابد من وجود من يحرك رغبة الانسان فى المعصية عن طريق الاغراء . ولابد أيضا من التزام الانسان بما أمر الله . هذا هو معنى العبودية . لذلك كان الأمر السماوى لآدم :

ـ اذكر جيدا ان هناك عداوة مسبقة بينك وبين الشيطان .. انه عدو لك ولزوجك فلا داعى لأن يخرجك بالاغراء من جنة الطاعة لله .

وهذا هو جوهر التكليف للانسان الى أن تقوم الساعة . أمر ونهى وتحذير من شيطان فيه عداوة مسبقة بالنسبة للانسان .

فما هى العداوة المسبقة للانسان ؟ .

ان كلمات الله الباقية الخالدة تقول :

« اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم اجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين »

« سورة ص .. الآيات من ٧١ الى ٧٦ »

فالأمر السماوى للملائكة أن يسجدوا لآدم بعد أن ينفخ الله فيه الروح . والملائكة لم تسجد لآدم نفسه ولكن طاعة لصاحب الأمر بالسجود لآدم .

والملائكة أيضا أنواع . هناك ملائكة اسمهم « المهيمون » لا يعرفون شيئا عن الخلق كله وهم « عالون » لا يفكرون الا فى الخالق ولا وعى لهم بالدنيا أو آدم ويسبحون الله فى الليل والنهار .

ولكن هناك ملائكة من نوع آخر اسمهم « المدبرات أمرا » . هؤلاء الذين خلقهم الله ليدبروا للانسان أمر وجوده . واليهم صدر أمر الله بالسجود لآدم وذلك علامة الخضوع لهذه المهمة .. خدمة الانسان فى أمر وجوده . وكان ابليس حاضرا فى لحظة الأمر لهم بالسجود .

وقد يقول قائل :

ـ ان ابليس لم يقبل السجود لغير الله

هنا نقول :

ـ وهل أمر أحد ابليس بأن يسجد لغير الله ؟ .. ان الملائكة سجدوا تنفيذا لأمر الله . واذا كان ابليس لم يسجد فلأنه علل أمر عدم السجود بقوله :

« أأسجد لمن خلقت طينا » . ان ابليس يظن أن عنصر الطين أقل من عنصر النار فيقول « أنا خير منه » وهكذا نرى ان امتناع ابليس ليس بسبب عدم الرغبة فى السجود لغير الله .. وانما بسبب الاقتناع أنه خير من آدم .

وعندما نرى كيف عرض القرآن هذه المسألة . نجد انه عرضها بأسلوبين أولهما « ما منعك أن تسجد ؟ » هذه فى صورة ص .. فى الآية رقم ٧٥ من هذه السورة .

وفى آية ثانية يأتى الأسلوب الثانى فى سورة الاعراف فى الآية رقم ١٢

« ما منعك ألا تسجد ؟ »

ان المعنى واحد فى الآيتين .. ومن هذا نفهم أن ابليس أراد السجود ولكن هناك قوة منعته من رغبة السجود . وهذه القوة اقنعت ابليس ألا يسجد .

وكان لابد لنا أن نعرف ما المانع ؟ هل هو من نفس ابليس أم من غير ابليس ..

ونعرف ان المانع هو عدم الاقتناع أى من نفس ابليس

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفينا شر ابليس

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على التغلب عليه .

تكريم القرآن للانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ٠ والصلاة والسلام علي سيدنا ومولانا رسول الله ٠

وبعد ٠

فقد انتهينا من اللقاء السابق الى تحديد عناصر تدريب آدم وزوجه في الجنة ٠

وقلنا ان الله حذرهما من عدو ثبتت عداوته مسبقة ٠٠ لأنه امتنع عن السجود مع الملائكة ٠

وقضية امتناع ابليس عن السجود مع الملائكة ٠٠ أخذت كثيرا من الجدل ٠

وأراد بعض السطحيين من الباحثين أن تشكل هذه القضية في القرآن تناقضا ٠

لماذا ؟

لانهم يقولون أن الله عندما أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم يسجد ابليس ٠٠ فكيف يؤاخذه الحق سبحانه وتعالى على أمر لم يدخل ابليس في نطاقه لانه ليس من الملائكة ٠

والذي يقرأ القرآن بفهم جيد لا يمكن أن تثور في نفسه شبهة تعارض بين الآيات ٠

وعندما نستعرض الآيات الواردة في هذه المسألة فاننا نجد نصوصا قرآنية تدل علي المراد والهدف من النص ٠ ونصوص أخري قد تدل علي المراد والهدف من التزام الكائنات كلها بأوامر الله ٠

وكثيرا ما يخطيء الناس في فهم آيات الالتزام ٠٠ فيقرر الزام الناس بأشياء وقد لا يلزم بعض الناس بأشياء ٠

- بمعني آخر ٠٠

ان النص الذي ورد عن الأمر بالسجود هو نص يلزم الملائكة بالسجود لآدم ٠

وقلنا أن الملائكة المقصودين بأمر السجود لآدم هم « المدبرات أمرا » ·

والنص القراني الصريح في اية هي :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه .. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا »

« سورة الكهف الاية رقم ٥٠ »

والذين يريدون أن يفكروا بتجاوز لحدود التفكير ويقولوا : مادام ابليس من الجن وليس من الملائكة فكيف يشمله أمر السجود ؟

ونقول نحن :

ـ ما معني ان ابليس كان من الجن ؟ ·

ان الجن والانس من مخلوقات الله والانس والجن هما مناط التكليف فى الأجناس وللاثنين قدرة علي الاختيار .. أما بقية المخلوقات من الأجناس فلا اختيار لها ولذلك فلا تكليف لها ·

وتدل علي ذلك الآية الواضحة في مسألة الأمانة وكيف عرضها الله علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان ..

« انا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »

« سورة الأحزاب الآية ٧٢ »

ما هي الأمانة ؟

الأمانة كما نعرفها هي أن يوجد حق لك عند سواك. ولا حجة لك ولا دليل عندك عليه الا أمانته في أن يعترف بأن لك عنده هذا الحق أو أن ينكر أن لك عنده هذا الحق ·

أما اذا كان هذا الـ « حق » الذي لك عند آخر موثقا بورقة مكتوبة كايصال أمانة أو بشهود ·· فليس ذلك أمانة ·· انه دين مكتوب ·

الأمانة اذن ان يستودعك انسان شيئا أو أن تستودع أنت شيئا عند انسان آخر ·· ولا شاهد علي ذلك الا الذمة والضمير فمن يعترف بالأمانة فهذا بفضل الذمة والضمير . ومن لا يعترف فذلك أيضا بسبب الذمة والضمير ·

اذن فالأمانة فيها « حرية » للانسان أن يعترف بها أو ينكرها · وهكذا تكون الأمانة وليدة الاختيار بالاقرار والاعتراف ·

لذلك فعندما عرض الله الأمانة علي السموات والأرض وأبين أن يحملنها ·· فليس « الاباء » هنا دليل معصية ·· لأن المسألة ليست تكليفا انما عرض واضح ·· اما أن تقبل السماوات والأرض هذه المهمة واما أن ترفض . لأن العرض معناه أن المعروض عليه حر في أن يقبل وحر في أن يرفض · ولا يقع عليه اثم ان قبل العرض ولا يقع عليه اثم ان رفض العرض · لذلك فرفض الأرض والسماء لحمل الأمانة ليس ذنبا وليس في ذلك الرفض أية معصية· واليكم مثلا من أمثلة الحياة يتمثل فيه كل مشاكل الحياة فيما يتعلق بالامانات ·

يأتي انسان لانسان آخر ويقول له :

ـ أنا عندي مائة جنيه وأخاف أن تمتد يدي اليها فأصرفها في غير ضرورة · وأنا أريدها لأمر قد يكون مهما ·· فبالله عليك خذ هذه المائة جنيه أمانة عندك ·

الانسان الاخر المعروضة عليه هذه الأمانة قد يقبل وقد يرفض · وحين يأخذ المائة جنيه فانه يقدر لنفسه لحظة الأخذ أنه قادر علي أن يؤدي هذه الأمانة ويرجعها الى صاحبها عندما يطلبها · ولا أحد يتهم هذا الانسان من البداية انه سوف يأخذ المائة جنيه وينوي ألا يردها ·· لا ·· ان نية الرد موجودة · لأن الانسان يقدر أمر نفسه لحظة الموافقة أن يتحمل هذه الأمانة وفي أعماقه قرار بأن يأخذ المائة جنيه وأن يحفظها الى أن تأتي اللحظة التي يقول فيها صاحب المائة جنيه « أريد نقودي » فيردها اليه ·

ولكن الموقف قد يختلف لحظة رد الأمانة · هل تظل ذمة الانسان هي نفسها

ذمة الانسان لحظة استلام الأمانة .. أم تتغير هذه الذمة ·

هذا هو الخوف ..

الانسان لحظة تحمل الأمانة مصمم على أن يرد الأمانة ·

وهل يضمن الانسان ظروفه لحظة أداء الأمانة ؟

وهل يضمن الانسان ألا تجيء ظروف تجعله يتصرف في النقود وبعد ذلك يأتي صاحبها ليطلبها فينكر من أودعت عنده الأمانة ؟

اذن ..

فهناك فرق بين الحكم على النفس لحظة التحمل للامانة .. والحكم على النفس لحظة الأداء ·

ان السماء والأرض لم تأمن أى منهما نفسها ساعة الأداء فقال كل منهما « قد يحدث لى ما يجعلنى أخالف أو أعصى ما اتفقت عليه . وأنا من أول الأمر لا أريد أن يكون لى حق الاختيار فلابد أن أرفض هذه الأمانة .. أى أن أرفض الاختيار »

أما الانسان فقد قال « أنا عاقل أزن الأمور بمقياس التعقل وقادر على تحمل هذه الأمانة وقادر على قبول مسئولية الاختيار » ·

الانسان اذن قدر أمره لحظة تحمل الأمانة . ولكنه لم يقدرَ أمره لحظة أداء الأمانة · لم يكن يقدر أنه سوف يتعرض لمغريات كثيرة جدا . قد تضطره الى أن يخالف أو يعصي. ولذلك عقب الله على قبول الانسان للامانة « وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .. أى أن الانسان كان يجهل قدراته لحظة الأداء · وظلوم لأنه حمل نفسه مسألة كبيرة ·

اذن فالسماء والأرض والجبال قبلوا موقف التسخير والابتعاد عن مسئولية الاختيار وأمانة هذا الاختيار وبذلك يركن كل منهم الى موقف ابتغاء السلامة بالابتعاد عن أمانة ألاختيار ·

لكن الانسان قبل الدخول الى التجربة · وحمل مسئولية الاختيار .

ويحذرنا الله سبحانه وتعالى من الغرور بالنفس لحظة تحمل أمانة مسئولية الاختيار .. لأن هناك اختبارا يوميا هو لحظة أداء هذه الأمانة · ان لحظة أداء الأمانة هى التى تدير حركة الحياة ·

ولهذا فالانسان مطالب بتدبير الأمر لحظة أداء الأمانة . وهل يقوى على نفسه ويدبر آداء الامانة على أكمل وجه أم لا ·

وتدبير الأمانة لابد له من منهج هو المنهج الذى تعلمه آدم فى جنة الاعداد لمسئولية الحياة ٠

ولكن هناك من الأمور ما يتشابه فيها الأمر على الانسان ٠

لذلك تجد الحلال بينا والحرام بينا وبينهما أمور متشابهات

والأمور المتشابهات التى تحمل شبهة الظن فلا داعى لها

واسترسالا فى قضية الدين وتحمل الأمانة يأتى الحق سبحانه وتعالى ويحمى الانسان من نفسه لحظة أداء الدين ٠٠

« ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله ذلكم أقسط عند الله »

« جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة »

ان الله يقدر موقف المستدين المحتاج ٠٠ وموقف من يملك الفائض الذى يقرض المحتاج ٠ وفى ذلك حماية لا لمن يعطى القرض ولكن لمن يأخذ القرض ٠ لأن من يعرف ان عليه دينا مكتوبا فانه يعرف أنه لا مفر من أداء هذا الدين وعليه أن يعمل بجد واجتهاد ليسدد الدين ٠ وحتى لا يفكر فى ان يماطل أو يأخذ مهلة ٠٠ لماذا ؟

لأن هذه المسألة لو نجح فيها المستدين فانه قد يفسد حركة التعامل فى الوجود ٠

والله يريد لحركة التعامل فى الوجود أن تستمر ٠

ان الانسان اذا لم يكتب الدين الذى عليه ولم يسدده ٠٠ فماذا يكون موقف الدائن ؟ انه لن يعطى احدا بعد ذلك ٠ وفى هذا تعطيل لحركة الحياة ٠٠ لأن الانقباض يحدث ٠٠ ويقع كل محتاج فى براثن التعطل ولا يعمل الا من يجد مالا ٠

والله يريد لكل انسان أن يعمل ٠٠ من عنده مال ومن ليس عنده مال ٠٠ ذلك لأن حركة الوجود ليست تبرعا من شخص لآخر ٠٠

ولكن حركة الوجود والحياة محكومة بقانون النفع لكل شخص ٠

مثال ذلك..قد نرى فى الصباح انسانا يحمل برميلا ينزح به المجارى ٠٠ لو أن هذه العملية متروكة للتطوع لما قام بها أحد ٠ ولكن لأنها مرتبطة بحاجة الانسان للطعام وحاجة اسرة الانسان الى المال ٠٠ فان الانسان يقوم بها ليحقق أمور حياته ٠

ان الله يربط حركة الحياة بضروريات الحياة ·

وحين يربط الله ضروريات الحياة بحركة الحياة فان كل انسان يدير حركة حياته ويعمل العمل الذى يكفل له أن يرعى أموره وأمور اسرته ·· مهما صغر شأن هذا العمل أو كبر ·

ولو لم تكن حركة الحياة كلها مرتبطة بضرورات الحياة بالنسبة لكل فرد·· لفسدت حركة الحياة جميعها ·

ولذلك كان من حكمة حركة الحياة أن يجد انسان وألا يجد انسان آخر ·

لأنه لو وجد كل انسان كل حاجاته لتلفت حركة الحياة ولتعطلت ·

وهنا حكمة تقسيم العمل ··

ولذلك نجد ضرورات الحياة هى التى تعطى الانسان القدرة على الحركة فى هذا العالم ··

وان لم ينشأ الاحتياج فلن تنشأ الحركة ·

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ان يخلق طبقة للأعمال التى نراها راقية وطبقة للأعمال التي نراها غير راقية ·

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ان خلق الزمن دولا · وحركة متبادلة ·

فالذى يحسن استقبال قضاء الله حين كانت له حاجة ولا يتكبر على أى سبب من أسباب الحياة ·· فان الله يجازيه على ذلك ·· وكأن الله يقول :

ـ لقد أديت أيها الانسان حركتك فى الحياة ورضيت بقدرى ·· وقمت لسد ضرورات حياتك بأحقر الأعمال ··

لذلك ليس لك عندى من جزاء سوى أن أجعلك سيدا بقية أيام حياتك ·

ولننظر الى الناس جميعا ·· نجد أن لكل ناجح فى الحياة بحق مقدمة من كفاح ومقدمة من احتياج · وكأن الكفاح لاشباع الاحتياج ·

أما الذين يريدون أن ينعموا بحركة الآخرين فهؤلاء هم صعاليك الحياة ·

وأى تقنين يساعد على هذا فانه يهبط بمستوى البشر الى الحضيض ·

أسأل الله أن يبصرنا بمنهجه فى الحياة ·

وأن يعيد الينا القدرة على تقييم الأمور لا بنفاق الجماهير ولا بنفاق المجتمع ·

ولكن بارضاء الله فى تيسير حركة الحياة ·

غفر الله لآدم لأنه بالخطيئة الغافلة رسم طريق التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم ٠

وبعد

فقد وقفنا في اللقاء السابق الى تحديد هوية ابليس كما حددها الله بأنه من الجن وليس من الملائكة ٠

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا »

« سورة الكهف ـ الآية ٥٠ »

ولكنا الآن نريد أن نعرف لماذا وقف ابليس بجانب الملائكة لحظة الأمر بالسجود ولحظة امتناعه عن السجود ٠

نقول ان الملائكة عندما تلقوا أمر السجود ٠٠ سجدوا لأنهم لا يعصون لله أمرا ويفعلون ما يؤمرون . وليس لهم من الاختيار شيء ٠

ولكن آدم وابليس ٠٠ أي الانس والجن ٠٠ هما الجنسان اللذان وقع عليهما مسئولية الاختيار ٠٠ بمعني ان الله خلق لهما قوة اختيار يطيعان بها وقد يعصيان بها ٠

وقوة الاختيار تتيح للكائن أن يحمل نفسه علي طاعة الله ولا يخالف أمر ربه ٠

واذا قارنا مكانة ومنزلة من له قدرة اختيار ومن ليس له قدرة اختيار ٠

● اذا قارنا مكانة آدم عندما يطيع الله بمنهج الله وبين الملائكة الذين ليس لهم اختيار وهم مجبرون على الطاعة .. فان منزلة آدم أرقى .. وكذلك كانت منزلة ابليس .. كانت منزلة راقية لأن الله خلق فيه عنصر الاختيار وله القدرة علي العصيان لكنه قبل أمر السجود كان يقف موقف الطاعة بالاختيار .. لذلك كان في مقدمة الملائكة .. وكان في ذلك كما يقولون طاووس الملائكة .. فهو كالطائر الفخور بشكله وقدرته بين سائر الطيور . لانه ارتفع الى مرتبة الطائع الدائم وذلك باختياره .

ولنا أن نعرف أن ابليس أخذ مكانته وكان يحضر مع الملائكة لانه سما بالاختيار الى مرتبة الطاعة .

وحين يوجه الله الأمر الى الملائكة .. وكان بينهم ابليس .. فاذا كان أقل مكانة أو مختلفا .. ألا ينسحب الأمر اليه أيضا ؟ .. ان الأمر بالسجود ينسحب اليه .. هب ان رئيسا دخل علي وكلاء الوزارات وكان بينهم وزير أو مدير .. ووقف وكلاء الوزارات .. أليس الوقوف أيضا ينطبق علي المدير أو الوزير ؟

ان الأمر حين صدر من الله الأعلي .. فانه ينصب علي جميع الحضور بما فيهم ابليس الذي اختار مكانته مع الملائكة بالطاعة رغم أن له قوة اختيار للطاعة أو العصيان .

واما أن تكون منزلته أرقي من الملائكة واما أن تكون مرتبته أقل من الملائكة . وذلك معتمد علي الطاعة أو العصيان .

فان اعتبرنا ابليس أعلي من الملائكة فقد كان يجب أن يسارع بتنفيذ الأمر بالسجود .

وان اعتبرنا ابليس أقل من الملائكة فانه سيبحث أمر السجود بالعصيان ٠

وابليس أخذته العزة بالاثم وقال « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ».

ان الله يريد أن يذكر آدم بمعوقات اليقين ومعوقات سلوك الايمان من النفس ومن الشيطان ٠

وعداوة ابليس لآدم كما نعرف هي عداوة مسبقة ٠

اذن.. فقد وضع الله ابليس في جنة التدريب علي مهمة الخلافة في الكون ٠

وألقي الله الى آدم أمرا ٠

وألقى الله الى آدم نهيا ٠٠

وحذره من عدوه ابليس ٠

حين ذلك لن يجد آدم عذرا لو أخطأ.

ولكن الله قال في كتابه ما ينبهنا الى غفلة آدم ٠

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما »

« سورة طه ـ الآية ١١٥ »

نقول هنا أن كلمة النسيان كان يجب ألا يحاسب عليها آدم ٠٠ فلماذا اذن تم حسابه علي النسيان ؟

لأن الله لم يكلفه الا بشيء واحد ٠ هو الأمر فيما فيه نعمة ٠ ونهى الله آدم عن شيء واحد هو الاقتراب من الشجرة ٠

اذن فالنهى شمل أمرا واحدا وليست امورا متعددة حيث يمكن أن نقول أن آدم تاه فيها كلها فنسى بعض الأمر ٠

واذا كان قد نسي الأمر الواحد ٠٠ فقد نسي عموم التكليف ٠

ولو كانت هناك أمور كثيرة يتضمنها التكليف ونسي بعضها وذكر بعضها لكان من المعقول أن نقول انه لم يعص فى عموم التكليف ٠

ولكن والقائل له ذلك الأمر هو الله وبالخطاب المباشر وليس هناك واسطة بينه وبين الله ٠٠ فليس هناك مبرر في أن ينسي هذا الأمر ٠

اذن فالنسيان بالنسبة لظروف الأمر هو نسيان ما كان يصح أن يكون من آدم ٠

وهنا أيضا ينبغى أن نفطن الى شيء من قول هؤلاء الذين يقولون «أن ادم نبى فكيف يعصى الله والأنبياء معصومون » ؟

ان هؤلاء يدخلون بأنفسهم الى المتاهات . والى هؤلاء نقول :
اقرأوا القرآن جيدا وافهموا عن الله فهما جيدا .
أن آدم أبو البشر .
والبشر سينقسمون الى قسمين .
الى رسل يبلغون رسالات الله .

والى مرسل اليهم ليستمعوا الى رسالات الله .
والرسل يجب أن يكونوا معصومين .. لانهم قدوة فاذا أمروا اتباعهم بشيء ثم خالفوه هم فان الاتباع يقولون « أليس من الأجدي أن تأمروا أنفسكم بهذا الأمر وأن تكونوا أسوة لنا تطبقون الأمر على أنفسكم » .
والا فان الانسان يفقد مثله الأعلي .. لو خالف الرسل .. لذلك يجب أن تكون في الرسول عصمة .
لكن القسم الثاني من ذرية آدم وهم المرسل اليهم عرضة أن يطيعوا وعرضة لأن يعصوا .. منهم الطائع ومنهم العاصي .
وآدم أبو الصنفين من البشر .
اذن فيجب أن يكون في تجربته ما يمثل الصنفين .. صنف العصمة بالنسبة لذريته من الرسل . وصنف تتأتي منه المعصية كبمية المرسل اليهم .
ومادامت المسألة تجربة يتعلم منها آدم .. فقد قلنا أن التدريب لا عقوبة على المخالفة فيه ..
ولكن هل كان خطأ آدم قبل اختياره كرسول أم بعد ذلك ؟
ان الذين يؤمنون بالله .. يقرأون كتاب الله ويفهمون .. قال الله :

« فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصي آدم ربه فغوي . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي »

« سورة طه ـ الايتان ١٢١ ، ١٢٢ »

كانت مخالفة آدم اذن قبل أن يختاره الله كرسول وقبل اجتبائه كنبي .
وذلك حتي لا يقول أحد « كيف عصي آدم وهو رسول ؟ »
ان آدم لم يعص وهو نبي ..
ان آدم مثل جميع أبنائه .. فى الفترة الأولى وفى جنة التدريب كان من الممكن أن يطيع وأن يعصى ..

ولكن بعد ذلك « اجتباه الله » أى أعطاه مرتبة النبوة .. حتى يبلغ ابناءه وذريته ·

وهذا يدل على ان غواية آدم تمت فى فترة التجربة التى يمثل فيها آدم جميع ذريته ·

وان لم يعص آدم فى فترة التجربة وجاء قوم من أبنائه فعصوا .. فكيف يعرفون أن الله يقبل التوبة ؟

ان التربية لآدم كانت تقضى ان يتميز بالاختيار .. ثم الخطأ .. ثم التوبة حتى تعرف ذرية آدم ان الله يقبل التوبة بشرط أن تكون المعصية فيها اتهام للنفس وليس فيها اتهام لصاحب الأمر بالتكليف ·

ان ابليس عصى ربه وعوقب بالطرد واللعنة ·

وآدم حين عصى ربه تلقى كلمات من ربه فتاب عليه ·

اذن .. ما الفرق بين ابليس وآدم ؟

ان ابليس له معصية .. وآدم له معصية · فلماذا كانت معصية آدم قابلة للتوبة .. يعلمه الله فيها الاستغفار منها والتوبة عنها ·

ما الفرق اذن ؟

ان معصية ابليس .. معصية فى القمة لأنه رد الأمر على صاحب الأمر وقال « أأسجد لمن خلقت طينا » · « انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ·

ومعنى ذلك « كيف تكلفنى يا رب ان اسجد له » ان فى هذا رد أمر على صاحب الأمر وعدم تنفيذه وهذه معصية القمة فى الكفر ·

أما آدم فمسكين .. « قالا ربنا انا ظلمنا أنفسنا » أى اعتراف بحكم الله وأمر الله لكن لم يقدر آدم على نفسه · انه يطلب المغفرة والرحمة حتى لا يكون هو وزوجه من الخاسرين :

« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »

« سورة الاعراف الآية ٢٣ »

وعلى مثل هذا القياس تكون المخالفات لمنهج الله فى الأرض · ان الذين يتكبرون على الله ويردون على الله حكمه نقول لهم :

ـ أنتم كأبليس فى المعصية ·
أما الذين يقولون ان أمر الله واجب الطاعة ·· لكننا ظلمنا أنفسنا ·· هؤلاء نقول لهم ·
ـ أنتم يمكن أن تكونوا فى مناط التوبة ويمكن ان تدخلوا دائرة الاستغفار ·
أما الذين يحاولون أن يتدخلوا فى تعاليم الله ويقولون «هذا حرام كان يجب أن يكون حلالا ·· وهذا حلال ما كان يجب أن يكون حلالا» · هؤلاء الذين يريدون أن يتدخلوا فى أحكام الله ·· هؤلاء نقول لهم :
ـ أنتم كابليس فى التوجه ·· ومنزلتكم من الله كمنزله ابليس من ·· الطرد واللعنة ·
وأما الذين يقبلون منهج الله ويتهمون أنفسهم بالتقصير وأنهم لم يستطيعوا حمل أنفسهم على المنهج بكماله وتمامه . فان الله قد شرع لهم التوبة وشرع لهم المغفرة ·
ان الذين يعترفون بالتقصير ويتوبون مثلهم كمثل آدم فى معصيته الأولى ··
أما الذين يرفضون منهج الله فمثلهم كمثل ابليس فى معصيته ·
ومن هذا نستطيع أن نعرف كيف يبتعد الانسان عن منهج ابليس · فى رد الأمر على صاحب الأمر ·
ومن هذا نستطيع أن نعرف كيف أن الغفلة يمكن أن يغفرها الله لأننا نعرف ضعف نفوسنا أمام حكم الله ·
وهنا تشير الآيات فى رمزية التدريب الى أن آدم حينما أكل من الشجرة نسى ماذا ؟ وغفل عن ماذا ؟ هذه هى الاجابة :
لقد قال آدم ان أبليس أغواه قائلا ·· ان الله لم يمنعك من أن تأكل من هذه الشجرة الا رغبة فى ألا تكون من الخالدين · وأنت يا آدم لو أكلت من الشجرة فسوف تكون خالدا لا تموت ··
كان ابليس بذلك يحاول اقناع آدم ان الله يخدعه ·· ويظهر هذا فى تلك الآيات :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما

**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى .
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »**

« سورة طه الايات من ١١٦ الى ١٢٢ »

ان خديعة الشيطان واضحة . وكان على آدم أن ينتبه الى أن ابليس لا يعرف تفاصيل الجنة . انه لا يعرف هل هذه الشجرة تضمن الخلود أم لا ! . كان على آدم أن ينتبه الى أن الشيطان هو ابليس الذى قال لله ،

« قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون »

« سورة الحجر ـ الاية ٣٦ »

ان ابليس يعرف ان آدم به غفلة .

ولذلك فعلى الانسان أن ينتبه الى أن أى انسان آخر يريد أن يبعده عن منهج الحق الى منهج الباطل فعلى الانسان أن يكون ذكيا . وأن يجعل أى رأى محل تمحيص ودراسة وقياس لهذا الرأى بمنهج الله .

ان ما حدث لآدم فيه رمز للمؤمن بأن يتعرف على المنهج المخالف لمنهج الله وأن يعرف ان أى عداوة لمنهج الله هى عداوة للانسان ومستقبله .

لأن الانسان قد يلتقى بآخر .. يرى هذا الآخر قدرة الانسان المؤمن على الطاعة .. فيتساءل بينه وبين نفسه « كيف اترك هذا المؤمن طائعا وأنا غير قادر على الطاعة ؟ لا بد أن أغريه حتى يكون معى لأنى لم أقدر على أن أكون معه . كيف أترك هذا المؤمن مستمتعا بجنة الطاعة وأنا أقاسى عذاب العصيان ؟ لا بد أن أغريه وأغريه حتى يكون عاصيا مثلى .. فلا أراه خيرا منى فأحتقر نفسى » .

وأسأل الله أن يفهمنا عن غاية الشياطين حتى لا نقع فى احابيلهم وحتى نرد كيدهم الى نحورهم ان شاء الله .

حق التوبة هو حق الفهم الصحيح للحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

أستعينك ربي ولا استعانة الا بك
وأحمدك ربي ولا ثناء الا عليك ·
وأصلي وأسلم علي سيدنا ومولانا محمد الذي جعلته رحمتك للعالمين وجعلته مسك الختام لسائر المرسلين ·
وبعد ·
فقد انتهينا في اللقاء السابق الى أن الله خلق آدم ليكون خليفة في الأرض · وأعده الله بمنهج تجريبي في « جنة تدريب » ضمن له فيها كل مقومات الحياة . ليتفرغ آدم الى استقبال المنهج تجربة وتدريبا ·· حتي لا يباشر مهمته في الأرض بمنهج نظري ·

وقلنا ان آدم عليه السلام تمثل فيه عنصران ·

- عنصر الآدمية التي يتمثل بها جميع الخلق ·
- عنصر الرسالية التي يتمثل بها الرسل ·

فهو من ناحية العهد الأول يمثل الآدمية التي قد تغفل وقد تنسي وقد تعصي ·
ولكن الله لرحمته بذلك الخليفة لم يجعل مجرد الغفلة ولا مجرد النسيان ولا مجرد المعصية طردا للخليفة عن مجال الرحمة . لذلك شرع الله للانسان التوبة · وفي تشريع التوبة وقبولها من قابل التوب وغافر الذنب ·· صيانه لحركة الهداية في الأرض ·· لأن التوبة لو لم تشرع لكان مجرد وقوع معصية من انسان ذريعة له أن يستشري في الأرض بالمعاصي ·· وحينئذ يفسد الكون بمجرد غفلة انسان واحد · لانه اذا كان قد تم طرده من الرحمة بمجرد معصية واحدة ··

فلا أمل له أن يرجع .. ولماذا يرجع الى منهج يحدد حرية شهواته بالحياة مادامت المعصية الواحدة كافية أن يطرد الانسان العاصي من رحمة الله .

وإذا تصورنا أن واحدا عصي ربه ثم يقع في اليأس من قبول الله لتوبته .. فماذا يكون موقف هذا الانسان من الكون ؟ .

انه سيعربد في الكون انحلالا وانحرافا وطغيانا وجبروتا .

وحينئذ يغري غيره بالقدوة السيئة في أن يكون مثله.وحينئذ يكون العالم كله شرا وممتلئا بصدام الحياة ومعاركها .

اذن فمشروعية التوبة من الحق سبحانه وتعالى هى فتح مجال لرجوع الانسان الذي انحرف .

والتوبة تعطي الحياة نفسها الخير من الانسان الذي يصلح من نفسه الضالة .

ان الحق سبحانه وتعالى حين شرع التوبة وفتح بابا لها .. انما يريد أن يجعل للانسان العذر في الغفلة أو النسيان أو الضعف الذي قد يصيب النفس الانسانية فتعصي .. ولكن ذلك لا يعني أن يتمادي الانسان في المعصية . ولذلك شرع الله التوبة .

ويبين الله انه افرح بعبده العاصي من أحد الرعاة الذي ضاع منه بعيره في صحراء شاسعة ثم وجده فجأة . والبعير كما نعرف بالنسبة للعربي القديم هو كل عدته .. وعليه يحمل متاعه ورحاله . فاذا شرد البعير من العربي .. انقطع أمل العربي القديم من كل شيء في الحياة .. فاذا ما رجع اليه بعيره فانه بلا شك يفرح . وكذلك الله يفرح بعبده الضال اذا ما تاب . وفي ذلك كله صيانة وسلامة لحركة الحياة .

وحركة الحياة يحدد الله المراد منها في أن الانسان خليفة له في الأرض ·
وقد نتساءل ··
ما معني خليفة الله في الأرض ؟ ·
والمعني هو أن الله سخر للانسان الوجود لينفعل له ويتجاوب مع حركة الانسان فيه · وضمن الله للانسان مقومات الحياة الأساسية ·
فان شاء الانسان أن يصيب ترف الحياة فعليه أن يجد وأن يجتهد وأن يتعب ويكد ليرفع مستوي الحياة الى الترف ·
ان الله أعطانا الماء من السماء والأنهار نشرب منه ونسقي به زرعنا ونسقي منه مواشينا ·· ولكن الماء لا يأتي الينا ·· بل اننا نذهب اليه في النبع أو النهر ·· فاذا أردنا ألا نتعب أنفسنا ولا نذهب كل يوم لنأتي بالماء ·· فان على عقولنا أن تفكر في المادة التى سخرها لنا الله وبالطاقة التى خلقها لنا الله ·· لنصنع ما نرفه به عن أنفسنا ·· نصنع خزانات في أعلي المدن وتمد البيوت بالماء ·

كيف صنعنا هذه الخزانات ؟ لقد كان علينا أن ننظر في الكون ونفكر ان الماء سائل ·· والماء يميل الى الاستطراق · الماء اذا نزل من السماء ملأ الواطيء من الأرض ·· ومن هذا عرفنا كيف نرفع الماء الى خزانات أعلي من البيوت وأن نستغل قوة استطراق الماء كسائل · ولقد حدث ذلك بفكر الانسان لأن الانسان أراد أن يرفه حياته · ولا ترفيه الا بعمل الفكر في المادة المخلوقة للانسان وبالطاقة المسخرة للانسان ·
ان الانسان لم يصنع شيئا الا أنه أخذ العقل الذي خلقه الله وفكر في المادة التي خلقها الله وبالطاقة التي خلقها الله · واستطاع أن يؤلف مجموعات من خلق الله ليرفه بها عن نفسه ·
وهكذا توصل الانسان الى آلات رفع المياه وتوصيل الماء ذى الطبيعة الاستطراقية فيذهب الى البيوت بمجرد فتح الصنابير ·
تلك الراحة لم يشأ الله أن يعطيها للانسان من عنده · لأن في منح هذه الأشياء بشكل مباشر تعطيلا لمخلوقات خلقها الله · تعطيلا للعقل الذي خلقه الله ليفكر ويستنبط · تعطيلا لمادة خلقها الله للانسان لينفعل بها · وتعطيلا لطاقة خلقها الله لتفعل وتنفعل بها الأشياء ·
اذن فقد أراد الله أن يمنح الانسان طاقة استغلال كل ما خلقه له ·· لا لشيء الا لمصلحة الانسان ·

اذن فطاعة الانسان لمنهج الله ليست في الواقع كما قد يتخيلها البعض على أنها طاعة لمصلحة الله ٠

لا ٠٠

ولكنها طاعة لأمر الله ولمصلحة الطائع لله ٠

ولننظر الى حكمة التشريع الالهي ٠٠ ان التشريع الالهي يؤكد أن الانسان بفعله لطاعة الله فانما يؤكد مصلحة الانسان ٠

لا داعي لأن يقول الانسان اذن انه فعل الطاعة لمصلحة الله ٠٠

ولكن ليقل الانسان انه أطاع الله لصالح نفس الانسان ٠

لماذا ٠٠ ؟

لأننا كما قلنا ان الحق سبحانه وتعالى له الكمال المطلق قبل أن يخلق الخلق ٠٠ لذلك فخلق الخلق لن يعطى الله وصفا زائدا فى قدرته وجبروته وحكمته لأن الخلق أثر من آثار صفات الكمال ٠٠ فالخلق لا يحقق الكمال لله وانما يحقق للانسان الكمال ٠

ان منهج الله أراد به الخالق صالح المخلوق لا صالح الخالق ٠

ان الحق سبحانه وتعالى حين يبعث الرسل بالمنهج يريد أن يحدد حركة الحياة ٠ وحركة الحياة لها أمران ٠٠

الأمر الأول أن نحقق بقاء النوع الانسانى وبقاء حياة الانسان ٠ ووفر للانسان فى جنة التدريب التى أوجد فيها آدم ما يجعله لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى تلك مقومات الحياة الكاملة للانسان ٠

أن يحقق لنفسه عدم الجوع ٠٠ وذلك بالطعام

أن يحقق لنفسه ما يستر سوءاته وذلك بالملابس ٠

وأن يحقق لنفسه عدم العطش وذلك بالماء ٠

وأن يحقق لنفسه عدم التعرض القائظ للشمس وذلك بأن يكون له بيت ٠

لا جوع ٠٠

لا عرى ٠٠

لا ظمأ ٠٠

لا قيظ ٠٠

وقد يقول قائل، مادام الله أراد للانسان ألا يضحى بالشمس فلماذا خلق الشمس ؟ بعد ذلك يقى الانسان منها ؟ ٠٠

ان الشمس لها مهمة فى الانسان وفيما يخدم الانسان .

ان الجسد الانسانى يحتاج حرارتها وضوءها .. صحيح ان العمل فى الشمس لوقت طويل يصيب الانسان بالتعب ..

ولكن للشمس مهمة فى الأرض .

لذلك خلقها الله شمسا ضاحية .

وخلق للانسان ما يستره من الشمس .

تلك هى المقومات المادية للحياة .

ولكن الله يريد ان يشعرنا أن هناك للنفس الانسانية ملكات فوق تلك المقومات المادية للحياة ويحققها الله فى قوله :

« فليعبدوا رب هذا البيت . الذى اطعمهم من جوع وامنهم من خوف »

« الآيتان ٣ ، ٤ من سورة قريش »

اذن فلابد مع استكمال المقومات المادية للحياة .. لابد من استكمال مقومات الحياة المعنوية .

ان الانسان اذا وجدت له هذه العناصر المقومة للحياة ثم خاف من شيء فان حياته تتعكر وصفوه يقل وفكره يضطرب .. فجعل الله لذلك ضمانا .

ما الضمان ؟

أن يؤمننا الله من أى خوف .

يقول الأمر الالهى للانسان :

ـ انت خليفة فى الأرض .. والأرض وما فيها منفعلة لك .. فاقبل على الأرض المنفعلة لك واعلم أنك ستنال منها ما يعطيك ترفك فى الحياة . وأنا من وراء هذا كله . ولك أن تتصور ان الأرض اجدبت وأن الزرع اجتاحته آفة من الآفات . فهل يريد الله منك أن تجوع أو أن تتعذب .

لا .. ان الله يريد منك ألا تقف عند الأسباب .. ولكن أن تطمئن الى وجود خالق للأسباب .

لأن الانسان اذا عرف ذلك فانه يصل الى الاحساس بالأمن .

اذن فالأمن يوجد بألا يعتمد الانسان على الأسباب انما يعتمد على خالق الأسباب .. الله جلت قدرته .

ان على جوارح الانسان ان نعمل فى الأسباب التى خلقها الله .. ان تزرع وان

تجد وان تجتهد .. وأن تظل القلوب مؤمنة تتوكل على المسبب لكل شيء ·
ولذلك يأتى الحق سبحانه وتعالى لأناس زرعوا وغرسوا وسقوا .. وبعد ذلك يأتى من الآفات ما يتلف الثمر ..

ماذا أراد الله بذلك ؟

ان الله يريد الاتفتننا الأسباب · وأن نعرف أنه وراء كل شيء ·

ولذلك يطلق الله فى كتابه الكريم قضية كونية ،

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا · ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

« سورة الطلاق ـ الآيتان ٢ ، ٣ »

وذلك حتى يفهم الانسان أن رزقه لا يأتيه من تعبه فقط ولكن بتقدير الله · ان الذى تفتنه الأسباب قد يصيبه الله بضرر حتى يلتفت الى أن الله وراء كل شيء · صحيح قد يصاب الزرع بالتلف ولكن الزرع يعوض .. ولكن الافتتان بالأسباب لا يعوض · ويتم الرزق من حيث لا يحتسب الانسان ·

والانسان حين يعلم أن وراء كل أسباب خالقا لها .. فان الانسان لا يمكن أن يعتبر حياته قد ضاعت لمجرد بعض المتاعب فى أسباب الحياة .. لأن الانسان يملك العزاء فى أن وراء كل الأسباب صانعا خالقا يعطى بلا سبب ويرزق من حيث لا يحتسب الانسان ·

وعندما يحس الانسان بذلك فانه يطمئن ويستقبل كل أحداث الحياة برصيد ايمانى لا يتزعزع ابدا فتنة بالأسباب ·

وهذا هو الذي يؤمن الانسان من الخوف ·

ان المؤمن ان ضاع كل سبب وبقى له ايمانه بالله ..

فقد بقى له كل أمل فى الحياة ·

عن الكسب الحلال وعن الكسب الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله
ولا استعانه الا به
والحمد لله
ولا ثناء الا عليه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى جمع له بين مقام المجاهدة ومقام التفضل . فكان حامدا وأحمد بمقام المجاهدة وكان محمودا ومحمدا بمقام التفضل .

وبعد ..

فقد انتهينا فى اللقاء السابق الى أن حركة الانسان كخليفة لله فى الأرض .. انما خلقها الله لرفاهية الانسان وسعادته .. فمن أراد أن يسعد فليستعمل كل ما خلقه الله فيه وكل ما خلقه الله له . فان قصر الانسان فى ذلك . فالتقصير ليس من جهة الذى جعل الانسان خليفة فى الأرض ولكن من جهة كسل الانسان الخليفة فى الأرض .

وحركة الحياة تتطلب ان نوجه الطاقة المخلوقة بالله .. فى مادة مخلوقة بالله وبتخطيط فكر مخلوق لله . لأن كل شىء مآل الفضل فيه الى الله .

وقلنا ان مقومات الحياة المادية شىء . ومقومات حياة القيم فى النفس البشرية شىء آخر .

فقد يستكمل انسان مقومات الحياة المادية .. ويظل قلقا مضطربا فى الحياة وذلك ما نشهده فى ذلك العصر .

فذلك العصر الذى ارتقينا فيه ارتقاء جعلنا نطأ القمر . وجعلنا نجول فى الفضاء .. فى هذا العصر كان من المنتظر أن يسعد الانسان وأن تسعد الانسانية .

ولكننا نجد أننا كلما نشدنا تقدما فى مجال من المجالات التى نستنبط بها سرا من أسرار الله فى الوجود .. نجد الشقاء يزداد بنسبة هذا الكشف .

اذن فلا بد أن نبحث عن شىء مفقود .

لقد كان من المنطقى أننا بارتقائنا فى كشفيات الحياة .. لا بد أن نأخذ سعادة بمثل ما اكتشفنا .

لكننا لم نأخذ الا إلشقاء .. والشقاء عام فى هذا العصر . اننا لا نجد قوة فى هذه الأرض مهما كانت قد سلمت من الفزع والاضطراب أو توتر الأعصاب .. لا هدوء ولا استقرار .

ولو أن الاضطراب والتوتر والفزع كان فى الأمم المتخلفة الضعيفة فقط .. لكان ذلك الأمر له مبرر .

لكن الاضطراب والتوتر والفزع والشقاء موجود فى الأمم القوية أيضا . بل أن القوى الكبرى تتعرض لقوى أدنى منها تزلزل حركة آمنها وتصدم كبرياءها .

كل ذلك يحدث ولا بد أن نجد عنصرا مفقودا

هذا العنصر المفقود يتمثل فى أن العالم وان استقرت ماديته وامكانياته بشىء من السعة .. هذا العنصر المفقود هو عدم الأمن من الخوف .

ان عدم الأمن من الخوف هو مشكلة الحياة فى هذا العصر .

اذن فالحق سبحانه وتعالى حين يلفتنا الى قدرته والى قوته والى أن الانسان

ليس متروكا كفريسة لأخيه الانسان . وأن الناس مهما كانت عندهم من حرية للحركة .. فكل البشر محكومون بحساب دقيق .

هذا الحساب يمثله قول الله .

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا »

« سورة الكهف الآية ٤٩ »

ولا بد أن نحذر الانسان من أن يتخيل أن هذا الحساب يحدث فى الآخرة فقط .

لا ..

انه يحدث فى الدنيا أيضا .

وكل انسان له صحيفة تكتب فيها الملائكة ما له وما عليه .

لذلك فقد يخدع الانسان نفسه . ويستغفل سواه أو يستغل غفلة سواه أو أن يأخذ ما ليس له .

ان علينا أن نقول لمثل هذا الانسان ،

ـ انك تعيش بمنطق من كان موجودا دون رقيب أعلى منك يسجل عليك أنفاسك وحركاتك وسكناتك . لكن هذا الرقيب موجود وثق تمام الثقة أنك لن تخدعه .. فان حاولت أن تأخذ غير حقك فاعلم أن غفلة ستصيبك فى جهات كثيرة .. وسوف يؤخذ منك ما هو غير حقك .

وليعلم كل منحرف فى الحياة أنه سيعانى من الانحراف فيما يخصه كما انحرف هو فيما يخص غيره .

ولا يمكن ابدا أن يسلم انسان يطلق لنفسه عنان حركته فى الحياة الا ويسخر الله قوما يطلقون لأنفسهم عنان حركتهم فى الحياة بالنسبة له .

واذا ما نظرنا الى ما نسميهم منحرفين أو منحرفات أو غاوين أو غاويات .. اذا نظرنا الى تاريخهم وحسبنا حسابا دقيقا مقدار ما انحرفوا فيه نجد أن الله بعدالته فى الأرض لا يؤخر ذلك للآخرة أبدا .

فبمقدار ما أغوت امرأة رجالا .. بمقدار مازهد فيها رجال .

وبمقدار ما استمالت من نفوس فان الله يذل آخرتها فى الدنيا . بأن ينصرف

الكل عنها انصرافا مزريا محتقرا • والذى كان يتمنى أن يحظى بنظرة واحدة لو رآها لبصق عليها •

كل ذلك مقاصة فى الحياة •

والذى يحسن النظر فى الكون •• فلابد أن يجد فى محيطه امثال هذه الصور الكثيرة • والذى عاث فى الناس فسادا لو حسب ما يحدث فيه من فساد لوجد أن الأمر مقاصة •

والرسول صلى الله عليه وسلم ينبهنا الى قضية هى أخطر قضية فى حركة الحياة • هذه القضية هى :

– ان الناس تحب الكسب ولكن الناس تنقسم قسمين :

• قسم يحب الكسب بحقه فيكدح فى الحياة ليكسب

و ••

• قسم يحب الكسب بلا كدح ويحب ان يتسلط على كدح الناس ليأخذه وعلى عرق الناس ليشربه •

القسم الثانى ينبههم الرسول جيدا الى قضية •• اطلقها فى الكون عندما قال فى الحديث الشريف :

« من اصاب مالا من مهاوش أذهبه الله فى نهابر »

أى أن الذى أصاب المال من غير وجه حق فان الله يسلط عليه أمورا فوق طاقته فلا يجد دفعا لها الا أن يصرف ما أخذه من مهاوش •

والرسول الكريم لا يطلق قضية ليأتى واقع الحياة ليكذبها بعد ذلك •

لأن الرسول يعلم ان ذلك لو حدث سيكون فتنة لمن اتبعه ويقولون « لقد قال الرسول كذا ولم نر له أثرا فى الكون . ولذلك فالرسول الذى لا ينطق عن الهوى قال هذا الحديث وهو يعرف ان ما فيه سوف يتأكد فى التطبيق الكونى • قال هذا الحديث :

« من أصاب مالا من مهاوش اذهبه الله فى نهابر »

وأنا أكررها حتى نحفظها جيدا وحتى نجعلها دستورا لنا فى حياتنا •

ان الذى يخدع الآخرين فيأخذ حقوقهم فان الله يسلط عليه هما وغما وفزعا •• يأكل المال الحرام ••

يمرض الابن مثلا فيأخذ المرض •• المال الذى جاء من حرام

لأن الحق وهو قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لا يمكن ان يدع خلقا تستغل خلقا آخر . فيقول للمستغلين :

ـ انت استغللت مجهود بشر فأنظر ما فتحته أنا عليك من أبواب تأخذ منك كل ما استغللته من مجهود الآخرين .

ولذلك فالله لا يؤخر هذا الأمر الى الآخرة .

لماذا ..

لأن حركة الحياة تفسد لو تم تأخير ذلك الى الآخرة .

ولو لم يـر الناس مصارع القوم الذين استغلوا ضعاف الناس لفسدت حركة الحياة .

لذلك فان الحق سبحانه وتعالى يجعل البشر ترى فى الحياة ما يؤكد قول الرسول الكريم :

« من أصاب مالا من مهاوش أذهبه الله فى نهابر »

اذن فالذى يخدع لا يخدع سوى نفسه .

قد يظن بعض الناس أنهم يخادعون الله .. ولكن ما يخادعون سوى أنفسهم . قد يقول قائل من هؤلاء :

ـ أنا أريد أن ارتاح وآخذ تعب الآخرين .

لكن هذا الصنف يخادع الله والله يخادعه .

وعلينا ان نقارن خداع الله بخداع البشر المخلوقة .

ان هذه المقارنة لا طاقة لأحد بها لأن الله يفتح أبوابا فوق الأبواب التى أخذ منها الانسان ما لا يستحق .

اذن هذا هو نظام فى الكون .

وهناك نظام آخر يشيعه الله فى الكون . وهو الايمان بخلق الأمن .

معنى انسان آمن .. أن كل شىء يصيبه الانسان من غير حركة منه فلا بد أن يقدر فيه الخير .

ومادام الانسان يقدر فى مثل هذا الأمر الخير فهنا لا تكون طاقته الفكرية ضائعة فى الحزن على شىء أبدا .

ولذلك نجد أن الحق سبحانه وتعالى جعل للمادة تكوينا طبيعيا قواما . فالمادة الطبيعية للطعام والشراب تتمثل فى الآية الكريمة :

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انــه لا يحب المسرفين »

« سورة الاعراف ـ الآية ٣١ »

الأمر للانسان أن يكون أنيقا عند دخول المسجد بأناقة الملبس وأناقة الروح .. أى الملبس النظيف والروح الممتلئة بالتقوى .. وليتمتع الانسان بالطعام والشراب دون اسراف لأن الله لا يرضى عن المسرفين ٠

والرسول يعطى المذكرة التفسيرية لعدم الاسراف فيقول ،

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع »

ولنرى كيف يعيش الانسان الذى لا يأكل الا اذا جاع واذا أكل لا يشبع مما أكل .. هذا الانسان لا يصاب أبدا فى جسده ولا يفسد أى جهاز فيه أبدا ٠

ولكننا نجد من الذين يخالفون ذلك مصابين بالكثير من الأمراض ٠

لأن الانسان ليس معدة فقط .. ولكن الانسان ملكات متعددة ..

الانسان عنده حركة عقلية

الانسان عنده حركة عاطفية

الانسان عنده حركة سلوكية ٠

كل ذلك حركات فى النفس الانسانية ٠ ولذلك عندما يقول الحق سبحانه وتعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » فذلك من أجل الحفاظ على حياة الانسان خالية من مرض ٠

ولو نظرنا الى ذلك من الناحية الاقتصادية .. لوجدنا أن الرسول حينما شرع « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » فهذا مستوى اقتصادى رفيع .. لماذا ..

لأن الانسان اذا جاع فأى طعام يكفيه ٠

ونحن نلون فى الأطعمة حتى نحمل انفسنا على الأكل ٠

وهناك فرق بين ان تحملك نفسك لتأكل .. وان تجبر نفسك لتأكل ٠

قوام الحياة واعتدالها أن تحملك نفسك لتأكل .. وعند الجوع فان أى كسرة خبز تكفى الانسان ٠

ولذلك فطن العربى الأول الى هذا فقال ،

ـ نعم الادام الجوع ٠

وهذا معناه ان أفضل طعام يأكله الانسان وهو جائع ٠ ففى لحظة الجوع

يستطعم الانسان اذا أكل بملح

ويستطعم الانسان اذا أكل بدون ملح .

وان أكل الانسان خضارا ذابلا يكون جميلا .

وان أكل الانسان بقايا طعام من الأمس يكون جميلا .

اذن ما الذى يجعل الطعام غير جميل ؟

الذى يجعل الطعام غير جميل هو أن يجبر الانسان نفسه على الطعام فيطلب مشهيات ومقبلات ثم الطعام بعد ذلك .

لكن ..

لو أخذنا الحكمة بأننا لا نأكل حتى نجوع .. لكان كل طعام شهى .

ولنضرب مثلا يحدث لبعض الناس .. يدخل الرجل بيته وهو جائع ولنفترض ان أسرته ستأكل فى هذا اليوم ديكا روميا .. لكن الديك لم ينضج بعد على النار . نجد هذا الرجل يدخل الى المطبخ ويبحث عن طبق سلطة مثلا أو يتناول لقمة من هنا ولقمة من هناك الى أن ينضج الديك الرومى .. وبعد ذلك يطلبون لرجل الى تناول الطعام فيحس بالشبع .

وهكذا نرى أن نعم الآدام هو الجوع .. أى أفضل غموس هو الجوع نفسه .

ان الذى يجعل اقتصاديات الأفراد منا مرهقة هو الترف ..

الواحد منا يجبر نفسه على الأكل ..

ولا ينتظر الواحد منا الجوع فيريد أن يأكل ..

ولو تناول كل منا الطعام على قدره .. لكان كل طعام كافيا ..

وبعد ذلك يأتى الرسول ويعطينا تعاليم اثبتها العلم بعد ذلك .. ولكن الرسول قالها لنا لأنه لا ينطق عن الهوى .

علمنا الرسول اننا عندما نأكل فلا بد أن يكون ثلث المعدة للطعام وثلث المعدة للشراب وثلث المعدة للهواء وهذا حتى لا تمتلىء المعدة فتضغط على الحجاب الحاجز ..

ان العلم تعرف على ان ضغط المعدة المتخمة على الحجاب الحاجز يكون سببا في أن الرئة يقل حجمها وتقل قدرة الانسان على التنفس .

لكن لو رحم الانسان معدته بثلث للطعام وثلث للشراب وثلث لحساب التنفس لأخذت الرئة القدر الكافى من الهواء .

ان بعض البشر يقعون فى أعراض أمراض خطيرة كالذبحة الصدرية أو أمراض

القلب ويثبت بعد ذلك ان الذى حدث لهم هو توهم لهذه الأمراض نتيجة ازدحام المعدة بالطعام .

وهذا نرى ان الله يعلمنا من خلال رسوله كيف نتعامل مع ماديات الحياة ولا يترك قيم الحياة ومعنوياتها دون أن يعلمنا عنها .

لقد قال العلم أن الانفعالات الانسانية تميز الانسان عن الحيوان .

والانفعال بالسرور أو الحزن قد يؤثر فى تكوين واستقامة أجهزة الانسان .

ويريد الله لنا صيانة الأجهزة الانسانية والملكات المستترة التى لا يعرفها الا من خلقها فيقول فى كتابه الكريم :

« لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور »

« سورة الحديد الآية ٢٣ »

ان الانسان يصل الى حالة من الصحة النفسية لا مثيل لها عندما لا يقع فريسة لانفعال الحزن على ما ضاع منه ولا يقوده حزنه الى السخط . ولا يتأرجح من الحزن الساخط الى الفرح الذى يصل به الى الغرور .

ان الانسان بهذا الأسلوب المؤمن يصل الى أرقى ما يتمناه أى انسان وهو أن يكون مستقيم التكوين .

حتى نخرج من الاكتئاب هذا هو الطريق

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله
ولا استعانة الا به
والحمد لله
ولا ثناء الا عليه ·
والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله ·
وبعد
فقد انتهينا في اللقاء السابق الى أن الحق تبارك وتعالى وضع منهج الهداية في كتابه القرآن وعلي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم وحدد مقومات مادية الحياة ومقومات معنويات الحياة ·
ولقد تحدثنا عن مقومات مادية الحياة ·
والآن نتكلم عن مقومات القيم المعنوية للحياة ·
يقول الحق تبارك وتعالى ،

« لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور »

« سورة الحديد ـ الآية ٢٣ »

هكذا يرشدنا الله بمنهج واضح لتكون حركة الانسان في الحياة قادرة علي استقبال أحداث الحياة ·
ان وجود الأحداث في الحياة أمر طبيعي ·
ولا بد أن تكون المناعة عند الانسان ضد الأحداث ·

ومادام الانسان متغيرا من ظرف الى آخر ..
ومادام الانسان يحيا في عالم متغير ..
لذلك فان علي الانسان أن يوطن نفسه علي وجود الأحداث .

والحق سبحانه وتعالى يوجه الانسان ألا يعيش حدثا ما في غير زمنه . فلا يجب أن يظل الانسان أسير ما فات من أحداث . وعلى الانسان أن ينهى انشغاله بحدث قديم والأحداث القديمة نكتفى منها بأن نأخذ العبرة للمستقبل . أما أن تكون ذكريات الانسان عن أى حدث سابق مثبطة للانسان وسارقة لهمة الانسان وتجعل الضعف يتسلل الى فكر الانسان وطاقته .. فهذا يعنى أن الماضى يمتد الى المستقبل ويدمره .. وهذا الأسلوب فى التعامل مع الحياة ليس من العقل فى شىء .

وأيضا ..

علي الانسان أن يوطن نفسه علي أن الأشياء التي تأتي اليه وتعجبه فعلي الانسان أن يستقبلها كنعمة من الله ويحمد الله عليها .. ولكن علي الانسان أن يحذر من الفرح المبالغ فيه لأن النعمة في حد ذاتها غير مفرحة الا بشرط واحد هو أن يوفق الله الانسان الى مصارف هذه النعمة وكيفية استخدامها الاستخدام الصحيح .

لأن النعمة في حد ذاتها قد تضر الانسان . النعمة قد تقود الانسان الى الطغيان . وقد تغري الانسان بمعاص وذنوب .

لذلك كان الأمر السماوي الواضح « ولا تفرحوا بما آتاكم » ..
لماذا لا يفرح الانسان بما آتاه ؟

ان الانسان عليه أن يفرح عندما يوفقه الله الى أن يستخدم ما منحه الله من نعمة الاستخدام الأمثل ٠

ولهذا يشرح الله لنا هذه القضية التي تدور حولها حركة الكون والآمال في الناس جميعا ٠

يقول الحق سبحانه وتعالى :

« فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه .. فيقول ربى اكرمن ٠ واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن »

« سورة الفجر الآيتان ١٥ ، ١٦ »

هكذا يري الانسان الظاهر من الأمور .. يظن أن النعمة تكريم من الله وليست امتحانا من الله .. ويظن أن تقدير الرزق اهانة وليس اختبارا ٠

هذا هو المنطق الغائب ٠

وتأتى الاجابة من الرحمن عز وجل ٠

« كلا » أى أن منطق استقبال النعمة كتكريم هو منطق خاطىء .. ومنطق استقبال تقدير الرزق كاهانة هو منطق خاطىء ٠

وتكمل آية الحق .. فيقول :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون علي طعام المسكين ٠ وتأكلون التراث أكلا لما. وتحبون المال حبا جما »

« سورة الفجر الآيات من ١٧ الى ٢١ »

ان الله يكشف عن أخطاء استخدام النعمة ٠

فصاحب النعمة قد لا يكرم اليتيم .. وهنا تصبح النعمة ليست سوي امتحان صعب .. انتهي بفشل من ضن بالنعمة ولم يحسن استخدامها ٠ ان النعمة هنا حجة علي ذلك الانسان وليست في صالحه ٠

لذلك فليس الاكرام هو أن تأتي الانسان النعمة ٠

ولكن الاكرام أن يستخدمها الانسان الاستخدام الصحيح ٠

ان النعمة ليست أبدا في عدم اكرام اليتيم وليست في التهرب من تحمل مسئولية اطعام المسكين ٠

ان النعمة عندما تكون هربا من اكرام اليتيم وهربا من طعام المسكين فانها تتحول الى ذنب ٠

فالانسان قد تأتيه النعمة فيقع في الذنب ويقع في حب المال والطمع والجشع ..
لذلك فقد يكون سلب النعمة شيئا غير مهين للانسان ٠
لأن الانسان قد تأتيه النعمة فيصرفها فيما يبغضه الله ٠
والحديث القدسي يرتب درجات من يحبهم الله ومن يبغضهم ،
أحب ثلاثا وحبي لثلاث أشد ،
أحب الغني الكريم .. وحبي للفقير الكريم أشد
وأحب الفقير المتواضع .. وحبي للغني المتواضع أشد
وأحب الشيخ الطائع .. وحبي للشاب الطائع أشد
وأبغض ثلاثا وبغضي لثلاث أشد ..
أبغض الغني المتكبر وبغضي للفقير المتكبر أشد
وأبغض الفقير البخيل وبغضي للغني البخيل أشد
وأبغض الشاب العاصي وبغضي للشيخ العاصي أشد ٠
هكذا نري أن هناك محبوبين من الله علي درجتين ٠

- درجة الحب فقط ٠

و ..

- درجة الحب الشديد ٠

يحب الله الغني الكريم الذي يفهم ان المال اختبار وأن الفائض يجب أن يذهب الى من يستحق ولا يملك ٠

ويحب الله الفقير الكريم أشد لأن الفقير رغم حاجته فهو يحاول بالكرم أن يقيم في المجتمع استطراقا كسبيا .. وأن يرعي حاجة من لا يقدر أن يشبع احتياجه ٠

ويحب الله الفقير المتواضع .. لانه يعرف ألم الآخرين ويعاني منه فيجد في الطيبة وحسن معاملة الآخرين راحة ومشاركة ٠

أما حب الله للغنى المتواضع فهو أشد لأن الغنى المتواضع يملك أسباب الكبرياء ولا يتكبر ٠

ويحب الله الشيخ الطائع .. لأن الشيخ الطائع عرف الدنيا والطاعة اختيارا ينجي الانسان من فساد ما تغري به الحياة ٠ انها طاعة الحكمة ٠

أما حب الله للشاب الطائع فهو أشد لأن الشاب الذي يختار الطاعة يملك امكانيات المعصية ولكنه لا يزغب ·

ولو لم يكمل هذا الحديث من يبغضهم الله لأمكننا أن نستنبط من وحي هذا المنهج هؤلاء الذين يبغضهم الله ·

اننا عندما نجلس ونسأل

● من يبغضهم الله ؟ ··

انه يبغض الغنى المتكبر ·· هذا الذي يملك أسباب التكبر ويحيا أسيرا لها وداخل دائرة سجنها ولا يملك من البصيرة ما يعرف به أن الأسباب ليست كل شيء فهناك صانع كل الأسباب وانه خليفة فيما منحه الله له ·· ·

أما لماذا يبغض الله الفقير المتكبر · فالفقير لا يملك أسباب الكبر ويعرفه بمعاناته ألم الآخرين لكنه يزين لنفسه سجنا من التكبر يخبس فيه نفسه عن التواضع والسماحة ·

ويبغض الله الفقير البخيل ·· لأن الفقر كان يجب أن يكون درسا يتعلم منه الانسان ان احتياج الانسان قد يسبب له من الذل والمهانة ما لا يجب أن يعانى منه الانسان ·

ولكن الله يبغض الغنى البخيل بغضا شديدا ·· لأن الفقير لو جاءه البخل فقد يكون عن احتياج أما الغنى البخيل فهو لا يملك الا الاحساس بالضعة ومحاولة اخفاء نعمة الله عن أصحاب الحق فيها ··

والله يبغض الشاب العاصي لانه لا يترفع عن المعصية رغم التبصير الواضح بمنهج الله ·· ولكن الله يبغض الشيخ العاصي أشد لأن الشيخ لا يملك مقومات المعصية ويزرى نفسه متناسيا منهج الله وتجربة الشيخ في الحياة ·

وهكذا نري أن مقومات الحركة في الحياة محددة بالمنهج الذي يغطي الحياة المحبوبة الحب الأشد من الله ·

فاذا عاش الانسان في مجتمع يتميز بما يلي :

● الفقير فيه كريم
● الغني فيه متواضع
● الشاب فيه طائع

فان ذلك لابد أن يكون المجتمع الراقي حقا ·

أما الانسان اذا ما عاش في مجتمع يتميز بصفات عكس ذلك وهي :

● الفقير فيه متكبر

● الغني فيه بخيل

● الشيخ فيه فاسق

فمما لاشك فيه أن مثل ذلك المجتمع هو مجتمع الحضيض .

لكن هناك أيضا بين هذين المجتمعين .. مجتمعين آخرين يختلط فيها الكرم مع البخل أو التكبر والتواضع أو الفسق والطاعة .. كل بدرجات .

اذن ..

فحركة الحياة عندما يحددها الله بالآتي :

« لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور »

« سورة الحديد الآية ٢٣ ».

عندما يحدد الله حركة الحياة بهذا المنهج .. فقد يقول قائل ..

ـ ان النعمة اذن قد تكون فتنة لأن الانسان قد لا يؤدي حق الله فيما أنعم به علي الانسان .. فلماذا اذن يقول الله « لا تأس على ما فات ؟ »

ما معني الأسى اذن ؟

ان الأسى هو شغل النفس بما لا يجدي .

ان من يغرق في الأسي يفقد الوقت والطاقة فيما لا يجدي .. لأن الذي يعمل هو الذي ينتصر علي مرارة الفشل السابق ويظل الانسان أسير عدم القدرة علي تجاوز الآلام الماضية . ويظل الانسان فاقدا للقدرة على تعويض ما فات .

ويظن الانسان أن الآلام السابقة هي التي تحاصره وهي التي صنعت كل بؤس حياته ..

وهكذا يدور الانسان في حلقة الخوف والهموم .

والخوف قد يعرف الانسان مصدره .

أما الهموم فتأتي من ظروف معقدة قد يعرف الانسان مصدرها ولكن حتي مع معرفة المصدر فليس لصاحب الهموم قوة علي دفع الهموم .. والذي لا نعرف مصدره يساوي ما لا قوة للانسان علي التصدي له .

وهذا أشد ما يفتك بالنفس الانسانية .

ان أسى الانسان علي أمر لا يعرف مصدره ·

أو أسى الانسان علي أمر يعرف مصدره ولا قدرة للانسان عليه ·· فهذا هو الهم المعقد ·

وكلنا نعرف ان الامام علي كرم الله وجهه كان قويا بين الشباب وهذا أمر طبيعي لأن الاسلام أدرك عليا وهو صبي صغير ولم يدخل ذهنه معلومات من الجاهلية · كل المعلومات التي دخلت عقل علي كانت من الاسلام ·

كان تفاعله مع الخير كله ··

ونحن نعرف انه لم يسأله أحد عن شيء الا وفتح الله عليه حتي قيل عنه « بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن » ·

كان علي كرم الله وجهه يقول :

الهمّ أشد جنود الله ··

كيف حدث ذلك

الى اللقاء مع معني ذلك وحكايته في لقاء قادم ·

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما علمنا أن نحمد
وأصلى واسلم على خير خلقه سيدنا محمد ·
وبعد

فقد انتهينا فى اللقاء السابق الى ما استطرد اليه الحديث من قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ··

بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن ·

وسبب هذا القول من سيدنا عمر أن صحابيا جليلا أظنه حذيفة دخل على الخليفة عمر بن الخطاب ·· فسأله سيدنا عمر السؤال التقليدى ،

ـ كيف أصبحت ؟
فأجاب حذيفة ،
ـ أصبحت أحب الفتنة
وأكره الحق ··
وأصلى بغير وضوء ··
ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء ·

وعندما سمع الخليفة عمر هذا الرد غضب ·· ودخل عليه على بن أبى طالب فى لحظة الغضب · فقال سيدنا على للخليفة عمر بن الخطاب ،

ـ مالى اراك مغضبا يا أمير المؤمنين ؟
قال عمر بن الخطاب ،
ـ سألت حذيفة عن حاله فقال « أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصلى بغير وضوء ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء » ·

فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

ـ لقد صدق يا أمير المؤمنين ٠

فقال عمر بن الخطاب :

ـ أو تقولها يا أبا الحسن ؟

فقال على :

ـ نعم .. فقد أصبح يحب الفتنة .. أى يحب ماله وولده .. « انما أموالكم وأولادكم فتنة » ٠

وأصبح يكره الحق .. أى يكره الموت

ومن منا يحب الموت يا أمير المؤمنين ؟

ويصلى بغير وضوء .. أى يقول اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ٠

وله فى الأرض ما ليس لله فى السماء .. أى له زوجة وولد ٠

فقال سيدنا عمر بن الخطاب :

ـ بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن ٠

ونفهم من هذا الحوار أن بعض الألفاظ حين يطلق فان الألفاظ تحمل معانى متعددة ٠ ويذهب الذهن غالبا الى معنى هو القمة فيها .. بعد فحص الألفاظ وفهم المعنى الذى وراءها ٠

أما سيدنا عمر فقد خشى من اللفظ أن يؤدى الى معنى خاطىء .. فعندما قال حذيفة أحب الفتنة وأصلى بغير وضوء واكره الحق ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء .. عندما قال حذيفة ذلك خشى عمر معناها الذى يضيع به الايمان

وعندما دقق فيها على بن أبى طالب وقاسها بالفكر المحقق على من قالها .. فوجد فيها ايمانا عميقا .

فحذيفة كما يعرفه على بن أبى طالب هو صحابى مؤمن وعندما يقول حذيفة انه يصلى بغير وضوء فان عليا يفهم أن هذا الرجل الورع اذا قال ذلك فهو يعنى الدعاء أو الصلاة على سيد البشر محمد ولا يمكن ان يعنى بذلك الصلاة المبدوءة بالتكبير والمختومة بالسلام .. لأن الصلاة هذه شرطها الطهارة .

اذن ..

فالمهم ان نعرف المعنى الأساسى والذى يعنيه القائل ومن هو هذا القائل .

ان سيدنا عمر عندما سمعها أول مرة غضب لها .. وعندما فسرها على ابن أبى طالب جلب له هذا التفسير السرور . وهكذا رأينا أن الذى انفعل ضدها أولا .. هو الذى انفعل بالسرور لها ثانيا .. وهذا يدل على أن العقل مهمته أن يفكر ويأتي بالتفسير المناسب للموقف .

ان سيدنا على كان مشهورا فى الشباب بالقوة . ولم تكن القوة قوة جسد فقط ولكنها قوة عقل ومنطق . وقال الناس : نريد ان نمتحن على بن أبى طالب . وكانوا قد اختلفوا حول أقوى مخلوقات الله . وذهبوا الى سيدنا على فقالوا :

ـ يا أبا الحسن نريد أن نعرف أى خلق الله أقوى من الآخر ؟

ولم يفاجأ على بن أبى طالب . وبسط يديه فى هدوء وقال :

ـ أشد جنود الله عشرة :

الجبال الرواسى

والحديد يقطع الجبال .

والنار تذيب الحديد .

والماء يطفىء النار .

والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء .

والريح يقطع السحاب .

وابن آدم يغلب الريح .. يستتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجته .

والسكر يغلب ابن آدم .

والنوم يغلب السكر .

والهم يغلب النوم .

فأشد جنود الله الهم .

واذا نظرنا الى هذا الترتيب المنطقى .. فاننا نجد الهموم أشد الأحاسيس تدميرا للانسان . والهموم هى تيارات من المخاوف والمشاعر تستبد بالنفس الانسانية فتبدد طاقتها وتبدد ملكاتها .. وتجعل المصيبة فيما فات وتؤكد الاحساس بالكارثة فيما هو آت .

واذا أراد الانسان ان ينتصر على الهموم فلا مخرج الا الايمان .

ان المؤمن يعرف ان المصائب تصنعها يد الانسان . ودرسها الحقيقى انها تعيد تربية الانسان حتى يتلافى تكرار البلاء .

مثلا ..

التلميذ الذى رسب فى الامتحان لانه لم يستذكر .

العين الفاحصة والقلب المؤمن والتفكير المنطقى .. كل ذلك يقول :

ـ ليس الرسوب فى مثل هذا الموقف خسارة لأنه تربية للانسان أن يكون مسئولا عن اتقان عمله فيجد النجاح نتيجة منطقية لعمله .

واذا نظر الانسان الى الأمور التى تصيبه .. فسوف يجدها نوعين .

نوع يسببه الانسان لنفسه بحركته .

ونوع يحدث للانسان ولا دخل له فيه .

الأمر الذى يحدث للانسان نتيجة لعمله فان اللوم هنا يجب أن نفحصه بعين الثقة والفهم . فالانسان يغضب من نفسه واذا كان عاقلا فانه يستفيد من التجربة ومعنى ذلك ان المستقبل يعطى الفرصة لتصحيح خطأ الانسان .

اما الأمر الذى يحدث للانسان ولا دخل للانسان فيه .. فان المؤمن يستقبل هذا الحدث بروح ان الخالق أراد تأديب الانسان لأن الله حكيم لا يجرى على حياة الانسان الا ما يصلح حياة الانسان. فان قال العقل « لا » .. هنا علينا أن نقول للعقل « انت من صنع الله » وهل رأيت من البشر أخرق أحمق يأتى الى صنعة له فيتلفها ؟ هل رأيت نجارا ـ مثلا ـ يمسك بمنشار ويدمر به دولابا جميلا قد صنعه من قبل ؟

ان الانسان لا يتلف ما يصنعه .. فما بالنا بالحكيم ذى الجلال والاكرام .

هل يمكن ان تصدق ان الله يتلف ما يصنع ؟

لا ..

ان الله لا يأتى لحياة الانسان الا بما يصلح هذه الحياة .

وقد يدرك الانسان ذلك ..

وقد لا يدرك الانسان ذلك ٠

لكن ..

ليطمئن الانسان أن كل عمل يحدث للانسان من غير اختيار فلا بد أن يكون فيه خير ٠

ان الانسان مخلوق من الله ٠

ان الله لا يريد سوءا بانسان ٠

وعلى سبيل المثال .. الأب يعرف أنه سبب وجود الابن .. لذلك يتجه الأب بكل العاطفة الى ما يرهقه حتى يرتاح الابن ٠ الأب يفعل ذلك وليس له فى خلق الابن سوى أنه سبب ..

وعلى هذا القياس أليس الذى خلق السبب فى الايجاد .. أليس له عاطفة كعاطفة الأب ؟

ان عاطفة الله ورحمته وسعت كل شىء ٠

اننى أقول دائما « من له أب فلا يحمل هم شىء » . ذلك لأن الذى ليس له أب قد يصرخ من غلاء الأسعار . أما الذى له أب فهو لا يحمل هما ٠

الأب يشقى ويتعب ويجاهد فى سبيل راحة الأبناء ويحس بالرضا ٠

اذن فما بال الذى له رب .. له اله قيوم ؟

أليس لقلبه أن يخشع بالأمان والايمان والاطمئنان ٠

وهكذا .. فالمؤمن الذى يعرف انه فى هذا الكون قد يقابل أحداثا .. منها ما شارك فيها وتحمل نتيجتها فأدبته ٠ ومنها ما ليس له دخل فيها وهى من الخالق يربى بها الانسان .. والخالق لا يعطى للانسان الا ما يصلحه ٠ حتى ولو لم يدر الانسان وجه الصلاح فيها ٠

ومثال ذلك ،

فقد يأخذ الوالد ابنه الحبيب الذى قد يكون وحيدا الى الطبيب ٠

ويأمر الطبيب بعلاج ما ٠ قد يكون العلاج مؤلما للطفل ٠ كاجراء جراحة مثلا ٠ الأب يفعل كل ما يأمر به الطبيب رغم ارادة الابن ٠

والابن قد يكره فى لحظة الألم والده والطبيب والعلاج ٠

لكن الأب يفعل ذلك من أجل خير الابن ٠

والابن لا يدرك ذلك فى نفس اللحظة التى يتألم فيها ٠

لكن الابن يحصل على الشفاء والعافية نتيجة لانتباه الأب للخطر ..

وعندما يكبر هذا الابن ويصبح له أولاد .. فلسوف يحرص على أطفاله بنفس طريقة حرص والده عليه قديما .

وهكذا يدرك الحكمة فيما صنعه والده قديما ويعرف قيمة ما فعله والده عندما كان أقل فكرا ووعيا .

اذن ..

فالايمان ميزته أنه يحذف الهم من حياة الانسان .

ان الذى يسبب هم الانسان هو قلة الايمان ..

أما الايمان بأن للانسان الها هو فوق الأسباب كلها، هذا الايمان يخلق فى الانسان قدرة على عدم الاستسلام للهموم . بل ومن ميزة الايمان انه يحذف الهموم من حياة الانسان . لأن الانسان المؤمن يثق أن هناك الها فوق كل الأسباب .. ولهذا فلابد أن يؤتمن الانسان على منهج الله . هذا المنهج الذى خلقه الله للانسان ليصلح فى حركة هذه الحياة .

ومنهج الله يتمثل فى :

- افعل كذا ..
- لا تفعل كذا .

والحق سبحانه وتعالى حينما شرع هذا المنهج .. فقد شرح ما فيه أيضا من قواعد . هذه القواعد هى التى نسميها الاركان .

ومعنى « الاركان » أى الأساس الذى نبنى عليه البنيان الذى نريده .

فاذا سمعنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه :

ـ بنى الاسلام على خمس :

شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله

واقام الصلوات الخمس

وايتاء الزكاة

وصوم رمضان

وحج البيت الحرام ..

فهذه الأركان الخمسة ليست هى كل الاسلام .. لكنها الأسس التى تم بناء الاسلام عليها .

وبذلك يكون تفسير الاسلام على أنه خمسة أركان فقط .. هو تقصير فى فهم الاسلام .

لأن هذا التفسير يقصر الاسلام على أنه العبادات التى هى مجرد اسس فقط لبناء الاسلام ·

ومثل هذا التفسير يجب أن نقول له :

ـ انت جمدت الاسلام · وجعلت الأسس التى جعلها الله أركانا للاسلام هى كل الاسلام · لكن الاسلام أكبر من هذا .. الاسلام عقيدة ومنهج يرتفع فوق هذه الأركان ·

الاسلام أسلوب تفكير وحياة وجدان وحركة سلوك يمشى بها الانسان فى حياته ·

ومثال ذلك ..

اذا قلنا أن « بيتا » أقيم على خمسة أركان .. فاننا نعرف ان البيت ليس هو الأركان .. البيت شقق وغرف وسلم ومصاعد وشبكات للمياه والمجارى وبشر تحيا فى هذا البيت بأسلوب وعادات وتقاليد ·

لكن هذا البيت لم يكن ليقام لولا أركانه ·

وهذا البيت أيضا لم يكن ليعمر بحركة الحياة وانتظامها لولا نظامه الداخلى والبشر الذين يعيشون فيه ·

ولذلك فعندما نسمع حديث الرسول « بنى الاسلام على خمس »

فعلينا أن نعرف أن الاسلام قد جاء ليشمل كل حركة فى الحياة من قمة ان نعتقد ونقول « لا اله الا الله » الى أن نسلك السلوك المؤمن الذي يهتم بكل شئ حتى التفكير فى أن يزيل الأذى عن الطريق ·

وبذلك يكون كل عمل من هذه الأعمال هو اصلاح لحركة الحياة ..

وهذا هو الاسلام ·

الاسلام اذن ليس أن نصلى ونصوم ونزكى ونحج ونؤمن باليوم الآخر ..

تلك هى الدعائم فقط ·

تلك هى الدعائم التى بنى عليها الاسلام ·

وخصوم الاسلام يحاولون أن يقصروا معنى الاسلام على أنه « أركان فقط » .. وهم مفتونون بعقولهم ويحاولون ان يقننوا لحركة الحياة وفق اهوائهم وعلى غير ما قرر الاسلام .. فيقولون « المساجد مفتوحة .. فليصل من يريد »

« والزكاة يمكن أن يزكى بها من يحب » .

« والحج فعلى من استطاع اليه سبيلا أن يحج » ·

« أما غير ذلك .. فلا »

اننا نقول لهؤلاء الذين يريدون ان يقصروا الاسلام على أنه عبادات فقط ،

ـ لا .. انكم بذلك تقيمون الأركان فقط وتتركون ما يبنى على هذه الأركان .

ولذلك فخصوم الاسلام تتركز أمانيهم على أن يقتنع ــمون بأن الاسلام أمر تعبدى فى الأركان الخمسة فقط . ويحاولون عزل الاسلام عن صناعة حركة الحياة . ليتحركوا فى الحياة وفق اهوائهم ..

هنا نقول:لا ..

هنا نقول:

ان الاسلام قد جاء ليحكم حركة الحياة

لذلك نقول ان الرسول علمنا كل شيء فى الحياة حتى دخول دورة المياه للتخلص من الفضلات .

لذلك فالمراد ليس أن نقف بالاسلام عند أركانه ..

ولكن هدف المسلم هو ان يبنى على أركان الاسلام حركة الحياة كلها ..

واذا سألنا لماذا جاء الدين الاسلامى بالحركة الشاملة لتنظيم الحياة .. فان الاجابة تأتينا على فهم بالتاريخ .

ان الاسلام جاء على أثر المسيحية ..

والمسيحية جاءت على أثر اليهودية .

والديانة اليهودية كما هى موجودة فى التوراة التى ابقاها رجال الدين اليهودى .. الديانة اليهودية فى التوراة التى نعتقد انها ناقصة لن نجد فيها أى شيء يتعلق بقيم الحياة . والذى يقرأ هذه التوراة سيجد كل شيء فيها متعلقا بماديات الحياة ..

واذا كان البعض من اليهود قد قام ببعض الشروح فى « التلمود » فالانسان اذا ما قرأ التلمود فقد يسخر سائلا .. كيف يكون ذلك دينا ؟

مثلا .. يقولون ،

ـ ان الله كل يوم فى العصر ينزل ويلعب مع الحوت .

أو ان الله يجلس مع الملائكة كل ليل ليذاكر التلمود .

ونقرأ فى التلمود أن الله عندما أراد أن ينتقم من فرعون قال لبنى اسرائيل

علموا بيوتكم لأنى أريد أن اهدم على فرعون وقومه البيوت .. علموا بيوتكم حتى اعرفها ..

كأن الله لا يعرف الا بمعرفة البشر

وكأن الله لا يعلم الا بعلم البشر

ويشخصون الله فردا جالسا على صخرة يمد ساقيه

كل هذه المسائل المادية الصرفة ..

فكانت الحاجة تتطلب روحانية صرفة ..

فجاءت المسيحية ..

وفي اللقاء القادم نشرح الصلة بين الاسلام والديانتين العظميين اليهودية والمسيحية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما علمنا أن نحمد
وأصلي وأسلم علي خير خلقه سيدنا محمد
وبعد
فقد انتهينا في اللقاء السابق الى أن الاسلام جاء بعد ديانتين .
جاء علي المسيحية وكانت المسيحية قد جاءت علي اليهودية .
ونحب أن نعرف كيف عالج الاسلام قضية التقاء الأديان .
ونحب أن نعرف كيف عالج الاسلام قضية الالحاد .
جاء الاسلام والعالم معسكران ..
معسكر ملحد بالله لا يؤمن الا بالمادة .
ومعسكر مؤمن بالتقاء السماء بالأرض في منهج يحمله رسل الله الى خلق الله .

فكان الاسلام كعهده دائما منطقيا مع واقع الحياة .
استقبل الاسلام كل أمر بما هو أهل له .
استقبل الالحاد بلا هوادة وأعلن علي الالحاد عداوة سافرة . لأن الخلاف مع الالحاد انما هو في قمة التدين .. وهو خلاف علي وجود اله قادر مدبر لهذا الكون .

وواجه الاسلام المعسكر الثاني .. معسكر الذين يؤمنون بوجود اله . ويؤمنون ببلاغ من السماء الى الأرض علي لسان رسل وأنبياء يصطفيهم الله سبحانه وتعالى ..

فكيف استقبل الاسلام ما نسميهم أهل الكتاب من يهود ونصاري .

لقد استقبلهم الاسلام استقبالا سمحا ·

استقبال سلام ·

استقبال أمن ·

فذكر كل الخواص الكريمة التي كرم الله بها موسي عليه السلام وعيسي بن مريم عليه السلام ·

كرم الاسلام موسي تكريما لا حد له ·

وكرم الاسلام عيسي تكريما لا حد له ·

ونفي الاسلام عن عيسي كل مايمكن أن يكون سببا في اذلاله أو أن تتهم به أمه ·

كرم الاسلام الرسولين الكريمين تكريما كبيرا وذلك ليقر مبدأ التقاء السماء بالأرض ·

ولذلك ·· نجد أن الفرس الذين كانوا يمثلون المجوسية والالحاد هم الأبعد عن احترام الاسلام ·

ونجد أن الروم الذين يمثلون المسيحية وأهل الكتاب كانوا أقرب الى قلب رسول الله والمؤمنين برسول الله ·· ذلك أن الروم كانوا من أهل الكتاب ·

فلما نشبت المعركة بين الروم وفارس ·· وتمت هزيمة الروم علي يد فارس ·· حزن رسول الله ·· وحزن المؤمنون برسول الله ·

لأن العداء بين المسلمين وأهل الالحاد هو عداء في القمة ·

ولكن الخلاف ما بين الاسلام وما بين الديانتين العظميين فهو خلاف قد يكون في تصور الاله ·

وتصور الاله هو المشكلة في الديانتين ·

لكن الالتقاء بين السماء والأرض وخضوع الأرض لمنهج السماء هي أمور متفق عليها ٠

لذلك كان قلب رسول الله وقلب المؤمنين برسول الله مع أهل الكتاب من الرومان عندما هزمهم الفرس ٠

وفي ذلك ينزل الله قرآنا يتلي ٠٠ ليدل الناس جميعا علي أن الاسلام ورسول الاسلام قد أحب الذين كفروا بمحمد كنبي ولكنهم مؤمنون بالله ٠٠ أحبهم عن الذين كفروا بالله ٠

اذن ٠٠

فعصبية محمد صلي الله عليه وسلم لربه أقوي من عصبيته لنفسه ٠

والذين كفروا برسول الله محمد ٠٠ أقرب الى قلب رسول الله محمد من الذين كفروا بالله ٠

ولذلك حزن رسول الله حين هزم الفرس المنكرون لله ٠٠ المؤمنين بالله وهم الروم وان كانوا كافرين بمحمد ٠

فقال الله في كتابه الكريم ٠

« ألم ٠ غلبت الروم ٠ في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٠ في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ٠ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

« الايات من ١ ــ ٥ من سورة الروم »

تبدأ الآيات الواضحة بحروف الألف واللام والميم لبيان أن هذا القرآن مكون من الحروف التي ينطق بها العربي في سهولة ووضوح ولتنبه من يستمع الى الآيات الى أن ما يحمله هذا الكتاب يصدق دائما ٠ واذا كانت فارس قد غلبت الروم في أقرب الأرض الى المسلمين وهي أطراف الشام ٠٠ واذا كان المشركون برسالة محمد وعبدة الأصنام قد فرحوا بانتصار الفرس علي أهل الكتاب في الروم ٠٠ واذا كان المؤمنون بالله من أتباع محمد قد حزنوا لذلك ٠٠ فان الله يتنبأ في القرآن بنص واضح أن الروم ستغلب فارس بعد سنوات والأمر دائما لله ٠٠ ويوم يتحقق نصر أهل الكتاب علي الملاحدة سيفرح المؤمنون ٠٠ وهكذا نجد أن المسلمين قد فرحوا لنصر أهل الكتاب ٠٠ لأننا نحن وهم مؤمنون في القمة وان كنا مختلفين في الرسول الذي أبلغ لنا رسالة الايمان ٠٠

نحن مؤمنون بالرسولين موسي وعيسي ٠
وهم وقفوا عند محمد موقف النكران ٠
ورغم ذلك فقلوب المؤمنين واشارة الله للمؤمنين أن الله سينصر من آمن بالله ـ حتي وان كان كافرا بمحمد ـ علي الذين ألحدوا وكفروا بالله ٠ لذلك قال القرآن « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله »
وهكذا نرى سماحة الاسلام ٠
وهل رأي أحد سماحة في الاسلام أحلي من هذه السماحة ؟
هنا قلوب المؤمنين بمحمد مع الذين يكفرون بمحمد . لأن الذين كفروا بمحمد آمنوا برب محمد . وان اختلفوا في التصور الايماني للاله الذي يؤمنون به ٠

ودليل آخر علي نبوة محمد ٠٠
لنسأل أنفسنا ٠٠ كيف يتأتي لرسول الله وهو النبي الأمي في الأمة الأمية أن يحكم في نهاية معركة بين أكبر قوتين في الأرض في ذلك الزمان ؟ ٠٠ كيف يتنبأ محمد بأن الروم ـ قوة الغرب ـ ستهزم فارس في الشرق ؟ ٠٠
كيف يحكم ويفصل في معركة لم تبدأ ٠٠ وحرب لم تقم ويقول ان ذلك سيحدث في بضع سنين ٠

من الذي يستطيع أن يحدد نهاية معركة ما بين قوتين كبيرتين ٠
لو أن هذا التنبؤ قد حدث في عصرنا هذا . لقلنا أن عند محمد أخبارا بأسلوب اعداد الروم لمعركة قادمة تنتصر فيها علي الفرس ٠
لكنْ هذا التنبؤ حدث في عصر قديم ٠

ومسئولية كبيرة ورهيبة هي أن يحكم محمد في نصر الروم علي الفرس في بضع سنين وهي مسافة من الوقت واسعة ٠
فكيف يتأتي لمحمد أن يحكم في مصير معركة ٠٠

أولا . هو ليس طرفا فيها ٠٠
وثانيا . انه لا يعلم ما قد يجد في فترة بضع سنين من قوة هذا الطرف أو ضعف ذلك الطرف ٠٠
ثم ٠٠ يطلق قضية نصر الله للروم علي الفرس بعد بضع سنين ويحدد أيضا مشاعر المؤمنين لحظتها بالفرح ٠

ان دل هذا علي شيء فانما يدل علي أن الرسول ينطق عن ربه الذي يعلم الأحداث كما تقع ·

ولا يمكن أن يطلق الرسول قضية قرآنية تتلي وتحفظ ويتعبد بها المؤمنون ليأتي المستقبل بما يكذب الرسول · وتتعرض دعوته كلها لهزة عنيفة ·

لا يمكن أن يعرض محمد صلي الله عليه وسلم أمر دعوته للأخطار بالتنبؤ بانتصار لن يحدث ·

لكن السنين تمر ويأتي نصر الله للروم علي الفرس ·

وصادف ذلك أن نصر الله المؤمنين علي الكافرين في يوم بدر ·

وصدق قول الحق تبارك وتعالى في كل كلمة نطق بها الرسول وكان انتصار أهل الكتاب علي أهل الالحاد يفرح المؤمنين وكان انتصار المسلمين على أهل الأصنام يفرح المؤمنين المنتصرين ·

فرح المسلمون بانتصار الروم ــ أهل الكتاب ــ لماذا ؟

لأن قضية الايمان بالحق تبارك وتعالى متفق عليها وكان الخلاف فقط في المنهج الذي يتصور أهل كل ديانة بها الخالق العظيم ·

ولننظر أيضا فيما يلي :

ــ كيف استقبل الاسلام الديانتين ؟ اليهودية والمسيحية ؟ ··

هل حكم الاسلام علي كل اليهود بشيء يكون نقيصة فيهم ·· ؟

هل حكم الاسلام علي كل النصاري بشيء يكون نقيصة فيهم ·· ؟

لا ··

لم يصدر حكم الاسلام بذلك أبدا ··

الاسلام احترم الواقع ··

الاسلام علم المؤمنين به أن كثيرا من اليهود يملكهم الحق ويملكهم الدليل ·· لذلك قال :

« ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون »

« سورة آل عمران الآية ٧٥ »

اذن فالاسلام يعلم المؤمنين به انصاف اليهود وانصاف النصاري ·

يؤكد الاسلام على أن الانسان اليهودي أو النصراني قد يأمنه الانسان المؤمن علي قنطار من الذهب أو الفضة فيؤديه كاملا ويؤكد أن هناك من بين اليهود أو النصاري من تأمنه علي دينار واحد فلا يؤديه الا اذا لازمته وأحرجته ٠

أنصف الاسلام المؤمنين باليهودية ٠
انصف الاسلام المؤمنين بالمسيحية ٠٠

فعل الاسلام ذلك لأنه لو أصدر الحكم بادانة كل يهودي أو كل مسيحي لزرع عداوة نهائية بين أهل الأديان ولمنع أي يهودي من أن يعتنق هداية الله له بالاسلام ٠٠ ولمنع أي مسيحي من أن يعتنق هداية الله له بالاسلام ٠٠ ذلك أن من بين اليهود والنصاري من تراوده نفسه الى الحق والى الايمان بدين محمد وتصديق ما جاء به من رسالة ٠٠

فكيف يسد الرسول باب الايمان علي البشر ٠٠ ومن المؤكد ان من البشر من يلمسه صدق الحق ونور الايمان ٠

اذن فقول القرآن بأمانة الانسان المؤمن بالله وان اختلف تصوره لله مع منهج الاسلام ٠٠ وقول القرآن بأن أمر الأمانة يختلف من انسان الى انسان ٠٠ ذلك القول منطقي مع واقع الناس جميعا ٠٠

لم يظلم الاسلام أحدا من الديانتين ٠

لأن الاسلام أثبت أن فيهم من يؤمن بالله وينفذ أحكامه وفيهم من لا يؤمن بالله ولا ينفذ أحكامه ٠

أهل الديانتين كالمؤمنين بمحمد تماما ٠٠
منهم من ينفذ أحكام الله ومنهم من لا ينفذ أحكام الله ٠
اذن ٠٠

فالقضية الالتقائية التي تمثل ايمان أهل الديانات الثلاث بالاله هي قضية متفق عليها ٠

لذلك ٠٠

يجب أن يفطن أهل الديانات السماوية الى تلك القضية وألا يجعلوا العداء بينهم مقويا لأهل الالحاد الذين يعادون كل مؤمن بالله وكل مؤمن بأحد الأديان السماوية ٠ ويريد الله منا أن يكون منهجه في الأرض هو السائد ٠ ومنهج الله يعلم المسلمين أن الناس تختلف في كل بقاع الدنيا ٠

فاذا كانت الكثرة والعزة والغلبة للمسلمين فى بقعة ما من الأرض وعايشهم

غيرهم من أهل الكتاب وكانوا قلة ٠
ومادام الالتقاء الايمانى فى القمة بأن هناك الها ..
ومادام الالتقاء الايمانى يؤكد صلة السماء بالأرض ..
فعلى الرحب والسعة بكل المؤمنين بالديانتين العظميين ..
وليسع كرم الاسلام كل انسان من أهل اليهودية ٠
ولتسع سماحة الاسلام كل انسان من أهل النصرانية
ومادام منهج المسلمين سيدا
ومادام منهج الله محققا
ولا يعنينا أن يخطىء أهل الكتاب فى تصور القوة السماوية
وهى قوة الله ٠
والاسلام حين يحترم ذلك انما يحترم نفوس المسلمين المعطرة بالايمان ٠
وان الاسلام يحترم أسلوبه فى احترام الانسان ٠
وللاسلام كما يقدر أنه فى أرض ما له الغلبة .. فانه يثق ان هناك أمما أخرى يكون المسلمون فيها أقلية ٠

واذا أحسن أهل الاسلام عندما يكون لهم الغلبة في معاملة القلة والاقليات فاننا بذلك نضرب المثل لأن تكون اقليتنا فى بلاد غير اسلامية محاطة بالتقدير والعناية والرعاية والسلام والأمن والاحترام ٠

وعلى أقل تقدير لا يكون ذلك من أجل ديننا ولكن لحسن معاملتنا لغيرنا من أهل بقية الديانات ٠

هكذا نري أن الاسلام قد جاء لا لينتقم ولا ليزرع الفرقة بين الناس والأديان ..

لكن الاسلام جاء لينشر منهج الله ..
سواء آمنت بالله أم لم تؤمن ٠
لأن ايمان الفرد بالله لا يزيد الله شيئا ..
انما الايمان هو الذى يجعل الفرد عنصرا مفيدا وفعالا فى المجتمع ..
والايمان بالاسلام يؤكد انه منهج لله فى أولويات التطبيق ٠
وهكذا نعرف ان الاسلام لا يجامل أحدا .. انما يجامل الحق ٠
ولنضرب مثلا على ذلك ...

هناك يهودى أتهمه المسلمون ظلما بسرقة درع مقاتل مسلم ٠ فقد وجد

المسلمون الدرع عند اليهودى ..

فقال المسلمون ان اليهودى وهو زيد بن الثمين قد سرق الدرع ..

وقال ابن الثمين :

ـ انا لم اسرق الدرع ولكن أودعه عندى رجل اسمه قتادة .

وكان اتهام المسلمين لليهودى قائما على شبهة .. فالدرع كان مخبأ فى جوال من الدقيق . ومن سرق الدرع سار به الى محل اقامة ابن الثمين ووجد المسلمون خطا من الدقيق مرسوما على الطريق فقد كان جوال الدقيق مثقوبا . وتتبع المسلمون خط الدقيق الأبيض حتى وصلوا الى بيت ابن الثمين .. وهنا قالوا :

ـ اليهودى سرق الدرع ..

أنكر ابن الثمين . وشاع الأمر . وأحب الناس أن يرفعوا الأمر الى الرسول . فاليهودى قد اتهم مسلما بأنه هو الذى سرق الدرع . اليهودى أشار الى قتادة على انه اللص ..

ومال فكر المسلمين الى انصاف المسلم على اليهودى ولو ظلما .. وذلك حتى لا يشمت اليهود بالمسلمين . الفكرة فى حد ذاتها قد تعجب العقل والوجدان للوهلة الأولى .. وراح الأمر بين الأخذ والرد .

وحسم الله الأمر .. فنزلت كلمات الله :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما »

« سورة النساء الآيات من ١٠٥ الى ١٠٧ »

هكذا نزل حكم القرآن .. أمر واضح بعدم الدفاع عن الخونة أو الذين يبالغون فى اخفاء الخيانة فى أنفسهم . وأمر واضح لمحمد أن يحكم بالحق وان يتجه فى الحكم الى الله وان مغفرة الله قائمة وعلى ذلك فاقامة العدل واجبة . هكذا حكم القرآن لليهودى فى تلك الواقعة على المسلم .

وهكذا خرج قانون السماء بالعدل أيا كان المتهم وأيا كان البرىء .

لماذا ؟

لأنه لو لم تتدخل السماء فى هذه القضية لاقامة العدل وكشف الخيانة وضرورة

التحقيق وضرورة التأكد من الوقائع وعدم الرضوخ للهوى فى اقامة العدل ٠

لو لم تتدخل السماء فى هذا الأمر بهذه الدرجة من الحسم ·· لكان من السهل على البشر أن تتهم منهج السماء ٠ ولكان من السهل أن يتهم الناس سيدنا محمدا نفسه بأنه غير صادق والعياذ بالله فى مهمة التبليغ بمنهج السماء للأرض ٠ وقد يقول قائل ان المسلمين قد ظلموا اليهودى ٠ ولكان الأمر تشكيكا فى منهج السماء وفى رسول منهج السماء ·· وتتحول المسألة من رغبة فى انتشار منهج الله بين البشر الى مسألة صراع على غير الحق بين قوة وقوة ٠

وحين نزل القرآن فى هذه المسألة بالحسم ·· فان ذلك يدل على ان الله هو الحق ٠

ولا يمكن للحق الكامل المطلق أن يؤيد غير الحق البسيط للانسان فى أن يقام للانسان العدل ٠

ولا يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يميل الى انسان خان نفسه لأن الله لا يحب من كان « خوانا اثيما »

وكأن الله يقول للمسلمين ،

ـ هأنتم جادلتم عن غيركم فى الحياة الدنيا ·· وقد ينتصر واحد بالظلم على غير مسلم ·· فمن يجادل الله عن الظالمين يوم القيامة ؟

اذن ··

فالاسلام جاء بهذه السماحة وجاء بهذه العدالة ثم دعا الأديان الى قضية واضحة ·· الى حسم مسألة الايمان بالله ··

قال الحق تبارك وتعالى ،

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون »

« سورة آل عمران ـ الاية ٦٤ »

ان الرسول يدعو أهل الكتاب الى كلمة عادلة جامعة لا نخص أحدا بالعبادة غير الله ولا نشرك به أحدا ولا يتحزب بعضنا الى بعض فى اقامة حلال حرمه الله أو اقامة حرام حلله الله ٠

ولنترك حكم الله فيما أحل وفيما حرم علينا ·· فان اعرض أهل الكتاب عن

هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم أننا راضخون لأحكام الله ومخصلون له الدين ولا ندعو احدا سواه

ان القرآن يدعو بوضوح الى ثلاث مسائل ..

- ألا نعبد غير الله
- ألا نشرك به شيئا ..
- ألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ٠

ان هذه القضايا الثلاث لا يمكن لعاقل أن يجادل فيها ليضع أمر الخلاف والحكم بين الخلاف لمنهج الله وحده ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله
استعانة وبركة
والحمد لله ثناء واستزادة
والصلاة والسلام على سيدنا محمد .. الرحمة الخاتم .
فقد جاء منهج الاسلام ليواجه تيارين
التيار الأول ، هو تيار الالحاد والجحد للاله
التيار الثانى ، هو تيار يؤمن بالله ويختلف أهله فى تصور ذلك الاله .

فكان الاسلام أقرب الى التيار الثانى .. تيار الايمان بوجود خالق لهذه الدنيا .

والاسلام جاء لينظم حركة الحياة .. وعندما يستقيم نظام حركة الحياة فلا يعنى الدين ان يؤمن الناس بالاله لأن ايمان البشر بالاله يعود عليهم فيما بعد ..

فاذا شاء الله لجماعة من جماعات الخير أن تؤمن بالله وبرسوله الذى حمل اليهم منهجا لتنظيم الحياة وحركتها .. فان ذلك يكفى ليسود منهج الله فى حركة الأرض .

وذلك هو هدف التشريع السماوى ..

أما أن يؤمن الناس بمصدر هذا المنهج فأمر لا يعنى الا وجود مجتمع قوى يؤمن بذلك ليدافع عنه حتى تسود حركة السماء فى منهج الأرض .

والاسلام حين جاء بنظام لحركة الحياة .. فقد جاء ليكمل اسعاد الحياة

وليجعل البشر أقل قلقا وأعلى اطمئنانا وأكثر قدرة على فهم الحياة والسيادة على الكون ·

وعندما يقول الحق تبارك وتعالى ،

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

« جزء من الآية ٣ ـ سورة المائدة »

فاننا نرى أن الاسلام كان حركة ضرورية لاكتمال منهج الله فى الأرض ·

ولذلك يعنى منهج السماء أن تؤمن به قوة تحمى ذلك المنهج ليسيطر فى الأرض ·

واذا آمن به بقية الخلق فأهلا بهم ·

ومن لم يؤمن فلا حاجة بنا اليه مادام منهج الله قد أصبح مطبقا ·

ولماذا كان الاسلام اجمالا واكمالا لمنهج الله ؟

لأننا ـ كما قلنا ـ أن اليهودية جاءت ولجأت الى الانحياز الى المادية البحتة ·· حتى أصبح لهم تصور فى ذات الله

وكان هذا التصور لا يناسب ذات الله

لأن ذات الله لو كانت على هذا التصور كما أقول دائما ما كانت تستحق أن تعبد · لأن الاله الذى يمكن للحواس ان تدركه ·· هو اله مقدور عليه من الحواس ·

لأن معنى ان يدرك الانسان شيئا بحاسة من حواسه ·· ان هذه الحاسة قد قدرت على ذلك الشىء فأدركته ·

اذن فلو كان الله مدركا بالحواس لكان خاضعا لهذه الحواس .
لكن القادر المطلق لا ينقلب مقدورا عليه ابدا
اذن فعظمة الله أنه لا يدرك ..

ولو أن أى تصور يجعله مدركا .. لقلنا ان ذلك التصور ينازع الوهية الرحمن .. لأنه يصير مقدورا عليه ممن أدركه ..

ولتبسيط هذا الأمر .. فلنقل أنه اذا كانت هناك مسألة حسابية وأمكن لطالب ان يحلها فانه يصبح قادرا عليها .

فاذا كان الانسان يستطيع ان يحل مسألة تصور الله لكان الله مقدورا عليه
ولذلك قال القرآن « ليس كمثله شيء »
وفى هذا أمر للانسان بتحذير واضح هو :
ـ اياك ان تتصور الله كشيء من الأشياء .
لأن التصور للأشياء دائما يأتى من الواقع ..
ومادام الله ليس كمثله شيء فلا واقع يمثله ابدا ..
اذن ..
فعظمة الله أنه لا يدرك .
كيف ذلك ؟

لأن الانسان منا باجماع العلم والمعرفة مكون من مادة .. ثم توجد الروح فى المادة .. فتنشأ فى المادة الحياة .

اذن فالروح التى تنشأ فى المادة هى التى تخلق فى المادة الحركة والاحساس والوعى بالحياة .

واذا سلبت الروح من المادة .. صارت المادة« رمة »

فاذا كان « القادر » الذى يدير مادة الجسد ويحييها ويجعل الانسان قادرا على استخدام الفكر والطاقة وسيادة الكون .. هذا القادر هل نستطيع أن ندركه بحواسنا ؟

ان وقوف العقل أمام معجزة الروح أمر معروف منذ الأزل ومازال حتى هذه اللحظة يقول العقل لنا « لا نعرف من أمر الروح شيئا » .

واذا كانت الروح مخلوقا من مخلوقات الله فكيف تريد أن تدرك خالقا ؟!
ان محاولة ادراك الخالق كشيء .. هو عبث
لذلك .. عندما يقول أحد :

ـ أين الله ؟
فاننا نقول على الفور ،
ـ قبل ان تسأل عن الله .. دعنا نسألك عن روحك التى تؤمن أنها سر حياتك وسر حركتك .. أين هى منك ؟
هل الروح فى رأسك ؟
هل الروح فى قدميك ؟
هل الروح في أحشائك ؟

هل الروح فى انفك ؟
اذن فليس فى الجسم مكان أولى منها بمكان .
كذلك الله الحق سبحانه وتعالى ..
ليس مكان فى ملكه أولى منه بمكان .
فاذا كان وجود الروح فى الجسم كذلك
واذا كانت الروح مخلوقا من مخلوقات الله ونعجز عن ادراكها ..
فكيف يريد الانسان وهو عاجز عن ادراك مخلوق هو الروح فهل يمكن للانسان ان يتسامى لادراك خالقه ؟
ان عظمة الله فى أن أحدا لا يدركه .
اذن ..
فى هذه المسألة عندما تأتى الأديان لتتصور فيها أى تصورات مادية فلنقل
ـ أنتم أحرار فى تصوركم وما على السماء الا أن تصحح التصور .
فتنزل من السماء الصفات

« قل هو الله أحد .. الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

« سورة الاخلاص »

وتنزل الصفات من السماء

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »

« سورة الانعام الآية ١٠٢ »

فالحق سبحانه وتعالى لا تبصر ذاته العيون وهو يعلم دقائق العيون والقلوب

والأرواح .. واللطيف الذى لا يغيب عنه شيء والخبير الذى لا تخفى عليه أية معرفة .

ذلك هو تصور المسلم الذى ينبنى عليه الايمان . فاذا كان أهل الكتاب مع هذا التصور .. فمرحبا ..

وان لم يؤمن أهل الكتاب فلهم دينهم ولنا ديننا .

ومادام منهج السماء الذى يريده الحق مطبقا فى الأرض ..

اذن فمنهج السماء هو المراد والهدف .

وقد قلنا فى أحاديث سابقة ..

ان الاسلام بنى على الأركان التعبدية . وان الاسلام لا يقف عند حدود اقامة العبادات .. انما هو سلوك وانتظام حركة وتفاعل علاقات فى نظام شامل

ان آفة الناس وآفة العقل البشرى كله هو الخطأ فى التصور

ولو وقف الانسان بفكره عند التعقل لكان سهلا على الانسان أن يحس الايمان بالله فى كل أنحاء حياته وكل أكوان أيامه .

وأن يتعقل أن وراء هذا الكون قوة حكيمة مدبرة بدأنا منها واليها نعود .

أما أن يريد الانسان أن يتصور شكل هذه القوة .. فهذا الطريق الى الشتات والخطأ .

وهنا نقول لمن يحاول تصور شكل محدد للخالق عز وجل

ـ انت أدخلت العقل فيما ليس فى مجاله .

هل العقل مهمته أن يتصور ؟

لا

ان العقل له أن يتعقل فقط .

أما اذا حاول انسان أن يدخل مهمة التصور الى العقل فسوف يحدث الخلاف .

ولقد ضربت من قبل ذلك وفى أحاديث سابقة مثالا ..

ولا أزال أضرب هذا المثل حتى يستقر فى أذهان المؤمنين بالله .

قلت : لنتخيل أننا نجلس فى حجرة .. ثم دق الجرس ..

هنا منطق التعقل ..

كلنا يتعقل ان هناك من يطرق الباب

لا أحد يختلف فى ذلك

وتلك هى منطقة التعقل

فاذا دخلنا منطقة التصور للطارق فقد نختلف ٠
قد يقول أحدنا « هذا رجل »
وقد يقول آخر « هذه امرأة »
وقد يقول ثالث « انه شاب »
وقد يقول رابع « انه انجليزى الجنسية »
وقد يقول خامس « لا ·· انه فرنسى »
وقد يقول سادس « هذا بشير »
وقد يقول سابع « انه نذير »
وقد يقول واحد « أنه قادم بالخير لنا »
وقد يعلن أحد « انه قادم لاعتقالنا »
وهكذا نرى اننا اختلفنا فى منطقة التصور ٠
وأصبح لكل منا تصور خاص ٠

لكن لو أننا اكتفينا بتعقل ما حدث لقلنا ان هناك قوة تطرق الباب ٠
ولو زاد تعقلنا لقلنا « ان علينا ان نترك للقوة التى تطرق الباب أن تعبر عن نفسها كما تشاء » ٠
ويقول من طرق الباب ،
ـ أنا فلان وجئت فى مهمة هى كذا وكذا
وبذلك يتم حسم الموضوع ··
ولذلك كان يكفى العقل البشرى أن يؤمن بعقله أن وراء الكون قوة تديره وتحركه ٠
فاذا سأل العقل عن اسمها ·· فان القوة يمكنها أن تعبر عن نفسها بالأسلوب الذى تراه ·· تختار أنبياء ورسلا تحمل لنا قدرة التعرف عليها وتشرح لنا منهجها ٠

واذا سأل العقل « ماذا تريد هذه القوة ؟ »
فان حدود العقل البشرى لن تعرف ذلك ما لم ترد القوة ذلك
واذا سأل العقل « ما شكل هذه القوة » ؟
فان العقل سيعجز عن التصور
وليس أمامنا سوى أن نترك لهذه القوة أن تعبر عن نفسها لتقول على لسان من تأمنه وتعطيه الحجة والعلامة أن اسمها الله ٠

وأن الله يطلب من الانسان كذا وكذا ويكلفه بمنهج هو أن يفعل كذا ولا يفعل كذا ·

اذن حسم البلاغ عن الله بالرسول مسألة التصور لله أو التصور لمنهج الله ·

نقول كان يكفى أن نتعقل وجود الله ثم نترك للقوة المبلغة عن الله أن تعطينا المهمة الواضحة ··

ولقد كانت الخلافات بين الأديان فى التصور ·

وحسم الاسلام هذا الخلاف بوضوح يقول :

ـ أن الله هو الذى يستطيع أن يقول عن نفسه ما يريد

وجاء الاسلام بتصور مطلق عن القوة المطلقة فقال عن الله :

ـ ليس كمثله شىء ·

فاذا سألنا ماذا يريد الله منا

فان الاسلام يجيب :

ـ يريد الله من الانسان ان يفعل كذا ولا يفعل كذا ·

واذا سألنا :

ـ والذى يفعل ما يأمر به الله فما جزاؤه ··

يقول الاسلام :

ـ يعيش مطمئنا ويموت ليبعث فيدخل الجنة ·

واذا سألنا :

ـ والذى يعصى الله ما الذى يحدث له ··

يقول الاسلام :

ـ يعيش مكفهرا فى ضنك تختلف صوره ويموت ليبعث ويدخل النار ·

ومع كل ذلك فعلينا نحن اهل الاسلام أن نعرف أن الحق تبارك وتعالى قد ترك فى الخلق مجالا يكذب الكافرين به والمدعين الألوهية لسواه ··

فالذين يعبدون الشمس ·· هل لنا ان نسألهم ماذا تعنى العبودية ··

ان معنى التعبد أى أن نطيع منهجا نطبقه

فأى منهج قالته الشمس ؟

وما هى الأوامر والنواهى التى جاءت من الشمس ؟

والشمس لا تعطى منهجا

واله بلا منهج لا يصح أن يعبد لأنه اله من كذب ·

لا..ان معنى وجود اله يعبد أى أن يطاع فيما يأمر وحيث ان الشمس لا منهج لها فى حياة الانسان فهى غير جديرة بالعبادة ٠

لقد جاء الاسلام ليقول ،

ـ لقد جئت أكمل حركة الحياة على نظام يمنع التصادم فيها ويجعل حركة الحياة كلها حركة متعاونة لا متعاندة ٠

وقد نسأل ،

ـ ولماذا الفساد فى حركة الحياة ؟

الفساد كان فى انحراف تصور القائمين على ابلاغ رسالات الأنبياء الينا ٠

فالذين ابلغوا عن موسى انحرف بلاغهم الى المادية .. فكانت اليهودية مادية فقط ولذا كان وجود المسيحية منطقا طبيعيا حيث كانت ديانة روحانية صرفة نصوب مادية اليهودية .. لأن المادية اليهودية لم يكن بها قيم على الاطلاق .. لذلك جاءت المسيحية بقيم فقط ٠

ان المسيحية قد جاءت لأنها الجرعة الروحية المفقودة عند اليهودية ..

لكن ..

ماذا نقول لهؤلاء الذين يقولون ان منهج السماء لا علاقة له بالمادية ؟

لهؤلاء نقول ،

ـ ان الحياة لا تستقيم على قدمين متساويين الا بقيم روحية وقيم مادية ٠

وحيث ان اليهود تمادوا فى المادية لدرجة أنهم قالوا ،

« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »

« سورة البقرة ـ الاية ٥٥ »

لقد علق بنو اسرائيل ايمانهم برسالة موسى حتى يروا الله جهارا عيانا بحاسة البصر . فانقضت عليهم صاعقة ونار من السماء جزاء طلب يستحيل حدوثه ـ لأن هذا يعنى أن يتجسد الله شيئا أمام الأعين ٠ ورغم أن الله يرزقهم المن والسلوى ..

ولذلك جاءت المسيحية بجرعة روحية

هذه الجرعة الروحية تصحح الانحراف الذى سبق ٠

وكان المفروض أن تتعاون اليهودية والمسيحية على منهج ٠

لكن حدث العداء التقليدى والخلاف ٠

وكان من نتيجة هذا الخلاف أن حدث ما حدث من اليهود ضد المسيحيين ..
لذلك .. كان لا بد أن يجيء الدين الجديد .. الاسلام .

دين جامع لمنهج مادية الحركة فى الحياة ومنهج القيم الروحية أيضا .. حتى لا يقال أن الدين هو الروحانية فقط والعبادة فقط ..

وحتى لا يقول اليهود أن القيم المادية هى فقط الدين .

وفى صلب دين واحد يجيء تجتمع مادية حركة الحياة وقيمها

ولنسمع قول الله سبحانه وتعالى :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .. ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

« سورة الفتح الآية ٢٩ »

هذه دقة الآداء القرآنى .. يعنى المؤمن بالله لا يسلك بالشدة الا على الكفار ولا يسلك الا بالرحمة مع المؤمنين . لأن من يطبع على الشدة فقط .. فانه يفقد مواقع الرحمة ومن يطبع على الرحمة فقط .. فقدته مواقع تتطلب الشدة .

لذلك فالمؤمن ليس مطبوعا على شدة مطلقة ولا على رحمة مطلقة .

ان المؤمن ينفعل بأحداث الكون . فالحدث الذى يتطلب شدة .. يكون فيه المؤمن شديدا . والحدث الذى يتطلب الرحمة يكون رحيما .

لذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى آية أخرى :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم »

« سورة المائدة ـ الآية ٥٤ »

وهذا بيان واضح على أن الارتداد عن الايمان لن يضر الله تعالى لأنه يملك قدرة تبديل الكون بقوم يحبهم فيوفقهم للهدى والطاعة فيهم تواضع ورحمة

باخوانهم المؤمنين وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين .. يجاهدون فى سبيل الله وذلك فضل من الله يمنحه لمن يوفقهم الى الخير والله كثير الفضل .

هكذا نرى أن المسلم لم يطبع ذليلا على اطلاق الحياة ولا عزيزا على اطلاق الحياة .. لأن هناك مواقف تتطلب من المؤمن الذلة لأخيه المؤمن .. وهناك مواقف تتطلب من المؤمن العزة بالنسبة للكافر .

اذن فالمسلم ينفعل لمنهج الله

ولا ينفعل لموقف ثابت فيه

ولهذا كان قول الله :

« مُحمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .. ذلك مثلهم فى التوراة »

عندما نقرأ الى هذا الجزء من الآية فاننا نرى فيها القيم مركزة فى الشدة والرحمة .. ثم نرى بعد ذلك علامات مادية وهى « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » لأن التوراة مادية صرفه .. فأعطاهم الله العنصر المفقود عند اليهود .

ولأن الله قال سآتى برسول صفاته كذا وكذا ..

أما مثل المؤمن فى الانجيل مثل الزرع الجيد .

ويجيء الاسلام مستوعبا لمنهج يتضمن حركة الحياة الروحية والمادية .. ليعتدل ميزان الوجود اعتدالا يضمن به حركة الحياة التى تمنح المؤمنين سعادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي وأستعينك .

وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد .

وبعد ..

فقد انتهينا في اللقاء السابق الى أن الاسلام جاء اكمالا واجمالا لدين الله في الأرض .

وكان الاسلام ومازال معقودا بالتمسك بما أنزله الله على رسوله محمد صلي الله عليه وسلم .

وجعل الحق سبحانه وتعالى رسالة الاسلام رسالة خاتمة .. فليس لأحد أن يستدرك عليها أو أن يتزيد فيها .

وكل شغل المؤمن بها ان كان حاكما .. أن يرعي حدود الله لتنفذ كما أراد الله .

وكل شغل المؤمن بها ان كان محكوما فهو أن يطبق منهج الله فيما ولايته عليه ليلقي من الحق جزاءه في الدنيا .. ليكون عبرة .

لأن الله لا يؤخر كثيرا من قضايا الكون الى الآخرة ..

لأنه ان حدث تأخير كل القضايا الى الآخرة لعاث الذين لا يؤمنون بالآخرة في الأرض فسادا .

فلو لم يأخذ الله كل ظالم للبشر بمخالفته لمنهج الله في الحياة الدنيا .. لتشكك كثير من الناس في مناهج الله .

ولذلك يضع الحق قانونا سائرا في الزمن ..

يقول الحق تبارك وتعالى .

« وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

« سورة الأنعام ـ الآية ١٢٩ »

هكذا نري أن الظالمين الذين يفسدون في الأرض بظلمهم وطغيانهم لا يسلط الله عليهم الا ظالمين مثلهم · لا يسلط الله عليهم الأخيار ·

لأن انسان الخير دائما لين الطبع . رقيق القلب . وقلب انسان الخير يرحمه الله ولا يحمله علي الانتقام ممن يظلم ··

لذلك يسلط الله علي الظالم ظالما آخر ·· نزعت من قلبه الشفقة والرحمة وكذلك يؤدب الله الظالمين بعضهم ببعض

أما الأخيار فهم مطمئنون حتي الى أن الله لا يكلفهم تأديب الظالمين ·

والذين ينظرون في التاريخ قديما وحديثا يمكنهم أن يقرأوا هذه الحقيقة ·

اننا لا نجد ظالما في الأرض الا وأصابه ظلم من هو أظلم منه ·

والتاريخ الحديث الذي عشناه يشهد ذلك كله ·

فكم من ظالم تم تعذيبه بنفس الأدوات التي استجلبها ليعذب بها الناس ·

كل ذلك مشهود لنا ليطمئننا الله علي أن الله يدفع الناس بالناس ··

فمن يدفع أخاه المؤمن بالكلمة الطيبة والأسوة الحسنة فذلك سنة الأخيار ·

ومن يدفع حتي الظالم بالكلمة الطيبة والأسوة الحسنة فذلك أيضا سنة الأخيار مع الأشرار ·

ومن لا يقبل ذلك ولا يرضي به فان الله يسلط عليه من يلوي يده ويذل عنقه ويذيقه من جنس ما أذاق سواه ·

هذا هو منطق واقع الحياة ٠

فعلي الذين يؤمنون بمنهج الله من مختلف الديانات أن يواجهوا عدوا متحدا عليهم .. وهم الملاحدة الذين ينكرون صلة السماء بالأرض ٠

وعلي المؤمنين جميعا أن يتركوا تصوراتهم فى الله ٠

وعلي المنطق الحق أن يقول ما قاله الله عن نفسه تصورا في ذاته ، وتصورا في صفاته .. فان اقتنع بها أصحاب الديانات الأخري .. فأهلا ..

وان لم يقتنعوا .. فيكفينا أن نقول كما قال الله ،

« لكم دينكم ولى دين »

« سورة الكافرون ـ الآية ٦ »

ومادام منطق الحق في الاسلام قد وجدت له أمة لها غالبية اسلامية .. ودولة نحب أيضا أن تكون اسلامية وسوف يحدث ذلك اذا طبقنا منهج الله ٠

وعلي الذين لا يرضيهم أن نطبق منهج الله أن نناقشهم في تعقل ٠

لنفترض أن قوة من البشر سيطرت علي أمر دولة من الدول وكانت لها غالبية فرضت ما شاءت من القوانين البشرية ..

فهل يكون للأقلية أن تخرج علي ما قررته الأغلبية ؟

لا ..

ان الأقلية مطالبة أن تنفذ ما قررته الأغلبية حتي ولو كان المطلوب من صنع البشر أنفسهم ٠

فاذا كانت الأغلبية قد قررت وارتضت دين الله عقيدة لها .. ولا تستعلي هذه الأغلبية أن تقول هذا من عندي .. حتي لا يقال أن أمة تريد أن تستعلي علي طائفة لتحكمها بما شاءت ٠

نحن لا نحكم بما شئنا ..

انما نحكم بما شاء الله ٠

فاذا كان عند أحد الديانات منهج ينظم حركة الحياة من بدايتها الى نهايتها فليتقدموا به الينا وسيقارنه العقلاء ـ ان وجدوا هذا المنهج ـ بما عندنا من دين الله .. فان وجدناه خيرا مما أنزل الله .. فليطمئنوا الى أننا سنأخذ به ..

ولكن الحق تبارك وتعالى .. لم يدع للناس مجالا .. فقال ما معناه ،

ـ اني أنزلت القرآن علي محمد وجعلت القرآن مهيمنا علي ما سواه ..

وعلي الذين يريدون لمنهج الله في الأرض أن يسيطر فلابد أن يكتلوا كل قواهم لأعداء الله والملاحدة بالله ..

لأن انشغال المؤمنين بالأمور التافهة أو بالتصورات في ذات الله .. وفي صفات الله .. هذا أمر كما قلنا سابقا يتعدي منطقة التعقل .. ومادام أمر قد تعدي منطقة التعقل فليس لنا أن نتعصب له .. الا ان جاء مما اتفقنا علي الايمان به ٠

وعلي الذين يرون في دينهم حقا .. أن يعرضوا الدين بسماحة أهل الدين ٠

لأننا كمسلمين يحكمنا مبدأ واحد هو ،

ـ اننا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ٠

الذي يعصي الله فينا .. لا نكافئه نحن بمعصية الله ٠

والا .. فقد أعطيناه حجة علي أننا متساوون في المعصية ٠

نحن لا نعطي أحدا فرصة أن يري فينا عصيانا لله في معاملته ..

نحن نطيع الله في كل ما حولنا ومن حولنا ..

ذلك هو التأنيب السلوكي الذي يجب أن يكون عند منطق الغالب بمنهج الله في الأرض ..

وعلي أصحاب أي دين أن يعرضوا دينهم في سماحة ..

لأن الحق أعلن ذلك ..

أعلن الحق تبارك وتعالى أنه لا اكراه في الدين ٠

ان الانسان يكره أن يقهره أحد علي شيء ..

الانسان يكره أن يجبره أحد قائلا « يا ابن الكذا .. أسجد لى .. عظمني .. امدحني بشعر .. قل في أحسن الكلام » ..

ان فى ذلك تشويها لقالب الانسان ٠

ولكن لا أحد يستطيع أن يجبر قلب انسان علي الحب ..

لا أحد يستطيع أن يصدر أمرا يقول « احبني »

اذن .. فالعقائد لا اكراه عليها ..

ولو أراد الله أن يخضع البشر جميعا .. لقال كما قال في القرآن ٠

« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .. ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين »

« سورة الشعراء ـ الآية ٣ ، ٤ »

ان الله يقول لنبيه الكريم محمد .. «أشفق علي نفسك يا محمد ولا تقتلها حزناً علي عناد قومك وعدم ايمانهم . ان في قدرتنا أن نأتيهم بمعجزة تجبرهم على الايمان فيخضعوا لأمر الله ويتم ما تتمناه .. لكن الله لا يلجأ الى ذلك . انه يكلف الناس بالايمان دون اجبار كي لا تضيع الحكمة في الثواب والعقاب .

ان الله لا يريد أعناق عبيد .

انما يريد الله قلوب بشر لها كرامة .

ان الذي يفرض بالقهر أحد المبادىء ولو بالسوط وجبروت السلطان .. هذا الذي يحترف القهر لاجبار الناس على مبدأ .. هذا الانسان لا يؤمن بما يقهر الناس عليه . لأنه لو كان مؤمنا .. لقال للبشر ما هو هذا المبدأ .. ولعرض أسس هذا المبدأ .. ولاستقبله الناس بالرضا ..

والله لا يقبل أن يجبر أحدا علي الايمان به بالسوط .

لهذا فان رأي الواحد منا اكراها علي مبدأ أو ارهابا علي رأي .. فلنعلم أن صاحب هذا المبدأ غير مقتنع به .

لذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين . »

« سورة يونس الآية ٩٩ »

ولو أراد الله ايمان كل من في الأرض جميعا لآمنوا .. لكن الله ترك الايمان مع التعقل والاقتناع فلا اكراه في الايمان .

وما دام الأمر كذلك ..

فعلي المؤمن أن يعرض منهجه عرضا سمحا .. ولا يحاول اجبار أحد علي الاقتناع ..

لأن الاكراه علي مبدأ ما هو سوسة تنخر في ذلك المبدأ .

ان الانسان المقهور بمبدأ ما .. يتسلل اليه نفاقا ويفعل كل الشرور لهذا المبدأ ..

ولذلك يؤكد الرحمن الرحيم :

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها والله سميع عليم »

« سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦ »

لا اجبار لأحد في دخول الدين ·
منهج الحق واضح ·
منهج الباطل واضح ·
من اهتدي الى الايمان وكفر بكل طغيان علي العقل فقد استمسك بأقوي لأسباب التي تمنعه من الانزلاق الى الضلال ·
ولذلك حين يعرض الحق منهج الله ويعرض منهج الداعين الى الله .. فهو يطلب أن يكون المنطق سيدا والعقل حكما والقلب محبا ..
ولنأخذ القدوة من رسول الله صلي الله عليه وسلم ·
هل أجبر الرسول خصومه من الكفار والمشركين وأهل الكتاب الذين كفروا به .. ؟ هل أجبرهم علي الايمان بما يحمله من رسالة ؟
لا ..
يقول الرسول الكريم :
ـ الهدي أمر واحد ·
ان محمدا مطمئن الى أن منهجه بحسن العرض لا بد له من الفوز .. لذلك طلب من خصومه أن يقفوا من هذه المسألة بمعيار سليم ..
بمعيار غير غوغائي ولا جماهيري .. لأن الجمهرة تلقي بتبعة الأحكام علي البعض ·
فعندما تقوم مظاهرة ضخمة ينطق كل واحد بكلمة ولكن في لحظة التحقيق يرمي كل انسان تبعة المسئولية علي سواه ..
لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين عارضوا منهج محمد ·

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثني وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة .. ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد »

« سورة سبأ ـ الآية ٤٦ »

ان الأمر هنا أن نقيم العقل مخلصا لله بعيدا عن التقليد .. وأن نتأمل وجود الله وسيطرة منهجه فردا فردا .. أو اثنين اثنين .. ولنفكر في أمر صاحب رسالة الله محمد بعد أن عايشه كل الناس في عصره .. ألم يكن دائما صاحب عقل راجح ينجيكم بأفكاره من الهلاك ·

ان الأمر هنا بأن يجلس البشر كل أثنين معا ولا أكثر حتي لا يتحول الحوار الى مجادلة أو الى محاولة اثبات الانتصار ٠

ان اجتماع ثلاثة ومناقشة اثنين تعني أن كل طرف قد يحاول الانتصار علي الطرف الاخر ٠ أما عندما نجلس اثنين معا ٠٠ فان المنتصر فينا يشعر حلاوة اقتناع زميله والمقتنع يحس حلاوة المنطق الذي اقتنع به ٠

اذن فالحق سبحانه وتعالى حين يعرض علي كل منا منهجه فهو يطلب منا ألا نلقي تبعة عقيدته علي سواه ٠٠

ولذلك يمكننا أن نذكر ما قاله الشاعر أحمد شوقي في رواية مصرع كليوباترا ٠٠

ففي يوم اكتيوما انهزمت كليوباترا ٠٠ وأشاع رجال حكمها أنهم انتصروا وجلس الشعب يردد الانتصار تماما كما حدث في تاريخنا الحديث ٠

ويصور شوقي الموقف تصويرا دقيقا حتي لا يكون عرض الحقائق خاضعا للغوغائية ٠

« اسمع الشعب ديون

« كيف يوحون اليه

« ملأ الجو هتافا بحياة قاتليه

« أثر البهتان فيه ٠٠

« وانطلي الزور عليه ٠

ان الله سبحانه وتعالى يقول ويؤكد أن مسائل العقائد لا يجب أن يركن الانسان فيها المسئولية الى أحد آخر غيره ٠

ولن يشفع ذلك لأحد ٠

فعلي الانسان أن يناقش قضية العقائد بتعقل وتفهم لا بغوغائية تسير وراء الصياح كالأنعام ٠

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا بأمورنا تبصيرا يدفعنا دائما الى منهج الحق ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

وصلي وسلم علي سيدنا محمد رسول الله

وبعد

فقد انتهينا في اللقاء السابق إلى أن الحق سبحانه وتعالى أنصف خلقه حين أوجدهم من عدم .

والمرحلة الثانية في إنصاف الحق تبارك وتعالى للإنسان حين أنصفه ربه **بالإيمان** بالغيب ، ذلك الايمان هو إنصاف للخالق بأن يؤمن كل البشر بأن الله أحسن الخالقين .

وقلنا ان القرآن يتعرض لكل القضايا بدءا من الخلق الى كيف خلق الله الإنسان .

فلما عرض القرآن قضية الخلق للإنسان .. أوضح القرآن أن الإنسان مكين .. أي لا بد أن يوجد في مكان .

و « المكين » هو الشيء الموجود في مكان .

فكل مكين لابد له من مكان .

اذن فحين يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن خلق « المكين » فلا بد أن يصحب ذلك الحديث أيضا ضرورة الكلام عن خلق المكان ..

وإلا فكيف يوجد « مكين » بدون « مكان »

ولذلك يجب أن نفهم جيدا كيف عرض الحق سبحانه وتعالى قضية الخلق الأول .. في أول بلاغ أخبره الله عن ذلك الانسان حين قال للملائكة :

« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. قال إني أعلم مالا تعلمون »

« سورة البقرة ـ الآية ٣٠ »

هكذا أخبر الله عن خلق الإنسان .. وكان قد خلق آدم من قبل .. وهو « المكين »

والخليفة لله في الأرض . وهكذا نعرف أن الله قبل أن يخلق الإنسان لا بد أن يكون قد خلق المكان .. والمكان هو الأرض .

وهكذا صدر البلاغ عن الله ..

اذن فقضية الخلق للكون وللأرض ولما يتبعها من السماوات قضية خلق الانسان ..

كل ذلك سابق علي وجود العقل الواعي للإنسان .

ولهذا يعلمنا الله كيف خلق وكيف تم ذلك بأمر منه .. فقال في كتابه الكريم :

« ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »

« سورة الكهف ـ الآية ٥١ »

وهذا يعني أن البشر لم يشهدوا بداية الخلق .

ومادام الله لم يستدع أحد البشر ليشهد بداية الخلق .

ومادام الإنسان لم يشهد هذه الرحلة فلا يمكن إلا أن نؤمن بما قاله الخالق عن هذا الخلق ..

فحين تكلم الله عن خلق الإنسان ..

قال مرة « أنا خلقت كل شيء من الماء » .

ومرة قال « أنا خلقت الإنسان من تراب » .

ومرة قال « أنا خلقت الإنسان من طين »

ومرة يقول « أنا خلقت الإنسان من حمأ مسنون »

ومرة يقول « أنا خلقت الانسان من صلصال كالفخار » .

تلك ماهية الإنسان ..

وبعد ذلك نفخ الله في الإنسان الروح .

وقد يظن واحد أن هناك تعارضا بين تلك الأقوال ..

قد يتخيل أحد أن هناك تعارضا بين الماء مرة والتراب مرة والطين مرة ثالثة والحمأ المسنون مرة رابعة والصلصال كالفخار مرة خامسة ..

لكنا نقول لهذا الظن أن الذى يدرس هذه المراحل جميعا لا يجد فيها أى تعارض .

فأنا إذا أمسكت برغيف الخبز وقلت :

ـ « هذا من القمح »

أكون صادقا لأنها مرحلة أولى من مراحل صناعة الرغيف .

وإذا قلت « هذا الرغيف من الدقيق »

أكون صادقا أيضا .. لأن الدقيق مرحلة من مراحل صنع الرغيف .

وإذا قلت « هذا الرغيف من العجين »

أكون صادقا لأن هذا مرحلة من مراحل صنع الخبز

واذا قلت : هذا الرغيف من الخمير » .

أكون صادقا .. لأن الاختمار مرحلة من مراحل صنع الرغيف .

فاذا قلت مرة إن الرغيف من قمح .. ومرة أخري أن الرغيف من دقيق ومرة ثالثة أن الرغيف من عجين ومرة رابعة أنه من خمير .. ففي كل قول صدق .. لأن كل قول هو تسمية لمرحلة تمر بها صناعة الرغيف .

والترتيب بين هذه المراحل لا تعارض فيه .

فحين يقول ربك خلقتك من الماء فهو قول صحيح .

وحين يقول ربك .. خلقتك من تراب .. فهذا قول صحيح ..

لأن الماء عندما يختلط بالتراب يصبح طينا ..

وعندما ترك الله الطين حتي يتغير كما يحدث في اناء العجين الذي نضع فيه الطين حتي يتفاعل ويختمر ويصبح حمأ مسنونا فهذا القول صحيح ..

وعندما نترك الطين ليصبح كالصلصال جامدا بعض الشيء وبعد ذلك ينحت منه النحات ما يريد ..

اذن هذه مراحل عديدة .. يخبرنا بها الله .

وتنتهى المرحلة الأخيرة وهي أن الله نفخ في كل إنسان الروح .

هكذا .. يخبرنا الله .. أن البداية كانت الماء ثم التراب ثم الطين ثم الحمأ المسنون أي الطين المتغير ..

والحمأ المسنون هو الطين الذي تخمر وأصبحت له رائحة وبعد ذلك الصلصال •• ثم نفخ الروح ••
وتمت صناعة التمثال الآدمي ثم تأتي مرحلة نفخ الروح وتدب في الإنسان الحياة •

هكذا قال الله عن خلق الإنسان •• ولكن الله سبحانه وتعالى من رحمته بالخلق ومن علمه بأنه سيأتي في المستقبل من يشك في ذلك قال :

« ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »

« سورة الكهف ـ الآية ٥١ »

وفي هذا تحذير لهؤلاء المتغافلين الذين سيأتون بفلسفات عن كيفية الخلق ••
لهؤلاء نقول لماذا الجدل ؟
ان الله يسمي هؤلاء المضلين •
فيقول :
« وما كنت متخذ المضلين عضدا »
انه يخبرنا بأنه سوف يوجد في البشر من يحاول أن يضل خلق الله ويزيف هذه القضية •

فيدعي مرة أن أصل الإنسان قرد أو سمكة •
هؤلاء سماهم الله « المضلين »
ولولا تسمية الله لهؤلاء المضلين ولولا مجيء هؤلاء المضلين لما عرفنا كيفية مناقشة قضية الخلق •
اذن وجود المضلين وقول المضلين أيضا دليل علي اثبات الحق من أجل أن يشك البعض في أسلوب الخلق لما اكتشفنا أصل الخلق ولا أصل الشمس التي انفصلت عنها الأرض •
اذن •• فوجود « المضلين » وتخزية المضلين بواسطة المؤمنين بالله •• انما ليتثبت المؤمن من صدق الله في كل ما قال :

وقد قلت مرة عن البعض الذين يشككون في أحاديث رسول الله .. قلت « انهم دليل علي صدق أحاديث رسول الله » .

كيف ؟

إنهم يقولون أنه لا يوجد الا القرآن ..

ونحن نقول لولا وجود هؤلاء فكيف نصدق الرسول الكريم حين قال :

« يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى .. فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال حللناه . وما وجدنا فيه من حرام حرمناه .. ألا وأن ما حرم رسول الله كما حرم الله »

« حديث شريف »

ولو لم يجيء هؤلاء المضلون ليقولوا ذلك لظن واحد منا ظن السوء وقال إن الرسول خاطيء .. لكن جاء هؤلاء واتكأ منهم من اتكأ .. وقال مثل هذا الكلام .

وهم لا يعرفون أنهم « غافلون » يصدقون قول النبي من حيث يريدون أن يكذبوه .

وهكذا نري الحق سبحانه وتعالى يضع ذلك ذلك لمن آمن به ومن آمن به سيصدق سواء أقيم الدليل علي ذلك أو لم يقم الدليل فيكفي أن يكون الدليل وجود الله الأعظم .

فلماذا قال الله : « ما كنت متخذ المضلين عضدا » .

إنه يريد أن يضع حجرا في فم كل مضل .. فيقيم من أدلة الكون الحسية ما يخرس هؤلاء ماديا . بحيث لا يستطيعون أن يتكلموا في هذا .

لهؤلاء نقول :

ـ خلق الله الانسان غيبا .. قبل أن نعرف نحن .. ولكن نحن نعرف أن الموت مشهود .. كما أن الخلق غيب .

ولنا أن نسأل ..

ـ ما هو الموت .. إن الموت نقض الحياة .. أي أنه كانت هناك حياة ويتم نقضها .

ونعرف أن كل شيء يأتي علي عكس بنائه .

فمثلا عندما تقوم ببناء عمارة من عشرين دورا .. ثم ترغب في هدمها .. فان الهدم يأتي من الدور العشرين .. ثم التاسع عشر وهكذا ..

وعندما تسافر الى الاسكندرية من القاهرة فلابد أن تمر بينها أولا .. ثم طنطا .. ثم دمنهور ثم الاسكندرية ..

وآخر ما مررت به وأنت ذاهب الى الاسكندرية هو أول ما تمر به وأنت عائد منها .

اذن ...

فالله إذا نقض شيئا فإنه يأتى على عكس بنائه .

ولنحفظ ذلك جيدا

إن نقض كل شيء يأتي علي عكس بنائه .

ان الله قد قال لنا انه خلق الانسان من ماء وتراب .

ثم حمأ مسنون .

ثم صلصال كالفخار .

ثم نفخ فيه الروح .

اذن فعندما يأتي الموت فأول ما يفقده الانسان هو آخر ما خلقه الله فيه .. فنري .

أولا ، خروج الروح .

ثانيا ، تنتفخ الجثة ويقال له « فلان شطب » ومعني ذلك انه عاد إلى مرحلة الصلصالية وبعد ذلك تأتي العفونة وتصبح الجثة رمة .. أي حمأ مسنونا ..

وبعد ذلك تخرج منه المياه وتذهب بقية العناصر وتتحلل في الأرض أي التراب ..

اذن ..

فنقض بالموت علي عكس بنائه في الحياة .

إذن فمراحل الموت المشهودة لنا تدل علي صدق الله في الأخبار عن مراحل الخلق التي لم نشهدها .

وجعل الله في ذلك حجة يلجم بها المضلين .

ولذلك يقول إياكم أن تتبعوا آراء المضلين لأنني لم أتخذهم عضدا لى .

أي انني لم أقل لهم ساعدوني في مسألة الخلق حتي أخبركم بها .

إذن فلا مصدر لهذا العلم إلا من الله ٠

فاذا كانت الروح قد دبت في الصلصال الذي كالفخار ومنح الله الإنسان الحياة ·· ومن الحياة يكون التكاثر ٠

إذن فالحياة هي المادة التي نشأت من الروح التي نفخها الله ٠

وهذه مسألة يتساوي فيها كل الخلق والروح تأتي وتدب في الجسم في المؤمن والكافر كذلك ٠

ولما أراد الإنسان ارتقاء الحياة خلق القيم ·· وتعلم آدم منهج القيم في جنة التدريب ·· ونزل إلى الأرض ومعه « افعل » و « لا تفعل » ٠

ولولا ذلك لنشأ الفساد في الكون .

ولذلك أخبرنا الله عن تكليف آدم وتدريبه ·· وكيفية أن الله درب آدم علي المنهج بـ « افعل » ولا « تفعل » ٠ وحتي لا يحدث تضارب بين « افعل » و « لا تفعل » وجهز الله الإنسان بطاقة الحياة وهي الروح حتي يتحرك الإنسان ·· والله يريد ألا يحدث تضارب في حركة الانسان وحتي لا يحدث التضارب كان المنهج للانسان ٠

منهج محدد التكليف ·· بـ « افعل » حتي يعتمر الكون

منهج محدد التكليف بـ « لا تفعل » حتي لا يفسد الكون ٠

وحدد الله حرية الحركة للانسان ٠

واذا كنا نحن البشر نمنع التضارب في حركة القطارات بوضع نظام لها ونضع إشارات ونعين بشرا في مهمة تحويل القطار من قضبان إلى أخري حتي لا يحدث التصادم فان الله يحدد أيضا للإنسان منهجا واضحا ٠

والمنهج لا يكلف به الفرد بمفرده ولكن يكلف به الفرد والمجتمع ··

وقد قلت مرة :

إن الذى يرى أن الله قد قال له « لا تسرق » حتى يحدد حريته فى الحركة وحده ·· هذا الإنسان نقول له :

ـ صحيح أن الله حدد حريتك في الحركة ولكنه لم يحدد حركتك وحدك ··

إنما حدد حرية الجميع ، فكما قال لك « لا تسرق »… قال لكل واحد من الآخرين أيضا « لا تسرقوا »..

إذن فأمام كل أخذ من حريتك عطاء لك..

ولهذا فعندما ننظر الى التكليف لا ننظر علي أنه لفرد واحد.. ولكنه لكل فرد.

فعندما يصدر التكليف من السماء فهو لكل إنسان علي حدة.. وبالتالى للمجتمع ككل..

وعندما يقول الله للغني « لابد أن تخرج زكاة مالك ».. فليس معني ذلك أن الزكاة إجبار.. لكن معناها بمنتهي الهدوء هو أن الزكاة تؤمن حياة الغني نفسه.. فعندما نأخذ منه للفقير.. فعليه أن يعرف أنه لن يخشي الفقر.. لأنه يحيا في أمة متضامنة متكافئة. فساعة أن كان غنيا أخذ منه المجتمع لأخيه الفقير وفي هذا طمأنة للغني أنه لو أصبح فقيرا فلن يحيا في ضيق.. لقد أخذ منه المجتمع من قبل وسوف يعطيه المجتمع لو احتاج.

وهذا هو علم التأمين..

إذن.

فكل تكليف من الله نسميه منهجا.. والمنهج لا يمنح الإنسان حياة عادية..

إن المنهج يمنح الإنسان حياة راقية وسعيدة لا متاعب فيها حياة لا يتأرجح فيها الإنسان بين السعادة والألم.

ولكن يحاول فيها الإنسان إذا كان سعيدا أن يهدي بعض سعادته لمن حوله.. وإذا كان متألما فانه سوف يجد من حوله يتحملون عنه بعض الألم..

وفي هذا نمو للتكافل في المجتمع.

وفي هذا نمو للإنسان نفسه..

ولقد ضربت مثلا..

الولد الصغير الذي يستيقظ في الصباح ويأخذ كتبه الى مدرسته ليجد ويتعلم وينجح..

والولد الصغير الآخر الذي يستيقظ في الصباح ليهرب من المدرسة الى الشارع ليلعب..

هذا الذي يهرب من المدرسة أحب لذته حبا أعمي لأنه بعد سنوات سيجني الخسارة ..

أما الذي يذهب إلى المدرسة ويمتع نفسه بالعلم .. فانه يمنح نفسه متعة دائمة .. دون ألم ..

هكذا الإنسان عندما يتبع منهج الله ..

اسأل الله أن يبصرنا فى الفهم عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله .

وبعد ...

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى أن عرض قضية الإسلام اقناعا وتأييدا ، يجب أن نبنيه على :

- سماحة العرض ..
- لين القول ..
- حكمة الموعظة .
- الجدل الحسن .

لأن ذلك إن لم يقنع الخصم .. فلا أقل من أن يعلمه . ذلك أن الداعى للإسلام إنسان مهذب بأسلوب منهج الله ..

إن الداعى إلى الإسلام لا يمكن أن يعرض على الناس أن يخرجوا مما تعودوا عليه بأسلوب يكرهونه .

لأن الإنسان الداعى للهداية يعلم أن الدعوة بأسلوب مكروه تجعل الناس يتحملون مشقتين :

- المشقة الأولى : هى إرهاق الناس بأن يخرجوا عما اعتادوا عليه وألفوا وتعودوا ..

- والمشقة الثانية : إرهاق الطريق الذى يؤدى إلى الجديد بما قد يحمله أسلوب الإقناع الفج من الوقاحة ، وسوء الأدب ، وعدم الحكمة فى الموعظة ..

ولذلك ..

كان العربى قديما يقول :

ـ النصح ثقيل فلا ترسله جبلا وتجعله جدلا .. واستعيروا للنصح خفة البيان ..
وإذا سألنا ، لماذا يكون النصح ثقيلا ؟

فإن علينا أن نعرف الإجابة ..

إن النصح يدفع المنصوح الى الخروج عما أحب أن يفعله ، لذلك فقد يستثقل النصح .

وقد يكون المنصوح لا يحب إلا من يزين أمر شهوته .

وقد يكون المنصوح لا يحب أن يفكر فى إصلاح نفسه .

ولذلك نجد الأدب العالى فى منهج القرآن ..

فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى تعليم ربه بأن يقول لخصومه :

« قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون »

« سورة سبأ ـ الآية ٢٥ »

إن محمدا صلى الله عليه وسلم يتحدث إلى خصومه بأن كل واحد من البشر محاسب على عمله . فأنتم أيها الخصوم لا تسألون عن « إجرام » أى من المؤمنين .. ونسب الإجرام هنا لنفسه وللمؤمنين .. لأن خصوم الإسلام نظروا إلى الايمان أول الأمر على أنه جريمة ..

ولكن حين أراد الرسول أن يصف سلوك الخصوم قال بلسان الحق .. « ولا نسأل عما تعملون » ..

إن قياس الكلام هنا كان أوجب أن يقول الرسول « ولا نسأل عما تجرمون » .

لكن الله يعلم نبيه ورسوله آداب الجدل .. فلا تأتى سيرة الإجرام حتى بالنسبة لمن يتحقق عند الله إجرامهم ، ومع ذلك لم يجابههم الرسول بالإجرام ..

هذا هو أدب الجدل ..

يعلمنا الله أن نسمو بالجدل .. فلا نلذع الخصم بالسياط ..

ولكن نحن نرتفع عن شهوة البشر فى الاستعلاء ..

ونجادل بمنطق الحق فى السماء .

هكذا يجب أن يكون حال الداعية للاسلام ..

وهكذا يجب أن نستقبل كل خصومة للإسلام ·

ولكن ليس معنى ذلك أن نترك للفتنة بذورا تكبر ·· بمعنى أن خصوم الدين إذا أحبوا أن يعيشوا سالمين فهم أحرار فى تصوراتهم وتبشخصاتهم ·· وهم تاركون لمنهج الله أن يسيطر · وما دامت الغالبية آمنت بالله ولا أحد من الخصوم يقاتلها فى دينها ·· ولا أحد يحاول أن يخرج الغالبية من أرضنا ··

لهذا نترك الخصوم يعيشون فى رحمة هذا الدين ·

وأما إذا فكروا تفكيرا غير هذا ·· فالإسلام يتطلب من المؤمنين به أن يضربوا على أيدى الخصوم من أول الأمر ·· حتى تكون كلمة الله هى العليا ··

وستكون دائما كلمة الله هى العليا ··

لماذا ؟

لأنه إن جاء فى ظاهر الأمر فى بعض الأحيان أن أنصار الحق صاروا دون أنصار الباطل ·· فذلك درس يعلمه الله للبشر ·

الدرس هو ··

كيف يكون أمر الحياة إذا ما علا الباطل فى الأرض ؟ ·· ومن المؤكد أن أمر الحياة يكون سيئا فى حالة سيادة الباطل ·

ونحن إن لم نلدغ بباطل يغلب علينا ويستذلنا ·· فإننا نتعلم من ذلك أن سيادة الحق هى سيادة لمنهج الله ··

والباطل لا يسود إلا إذا انتشر التقصير بين الناس فى أمور الدين ·· عندئذ يستعلى عليهم أصحاب الباطل ·· ويلدغ الباطل أصحاب الحق ··

إننا نتعرف على الفرق بين « الحق » و « الباطل » بالمقارنة بين الاثنين ·· وإن لم يكن هناك تفريق بين الاثنين فنحن لن نتمسك بالحق ·· لذلك يعلمنا الله التفريق بين الحق والباطل ·

ويعلمنا الله ذلك بأدب الجدل ··

ويعلمنا الله كيفية الوصول إلى الحق بقوة البرهان ··

والله لا يستعدى أحدا على أحد إلا بمنطق الحق ··

وعندما نستعرض تاريخ الإسلام الطويل فلسوف نجد أن الإسلام ارتفع بأمرين :

الأمر الأول ، اندفاع المؤمنين به إلى نشره كدين يهدى الناس وفى هذا قوة ..
الأمر الثانى : هو استغاثة المحكومين بالباطل حيث مدوا أيديهم إلى الحق ليأخذ بيدهم ..
ولذلك نجد أن كثيرا من فتوحات الإسلام قامت على أساس من دعوة أهل البلاد المفتوحة .. حيث طلب هؤلاء الناس أن يأتى إليهم المسلمون ليخلصوهم مما هم فيه من شر ..
وهكذا نرى أن الإسلام انتشر وانتصر من خلال :

- قوة اندفاع المؤمنين به لنشر كلمة الله ..
- قوة إقبال المظلومين من الباطل على الدين الجديد لينصفهم من العسف والظلم ..

ولذلك نجد غالبية المسلمين أو كثرتهم فى أمم لم يدخلها الإسلام بالقتال .. بل إن غالبية الأمم المسلمة أخذت الإسلام بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة ..
وشىء آخر علينا أن نلاحظه :
إن الأمم التى دخلها الإسلام بالفتح والجيوش ظلت فيها ديانات معادية للإسلام . ومن هذا نستنتج أن الإسلام لو كان قد جاء لإجبار الناس عليه لما وجدنا ديانات أخرى فى البلاد التى فتحها الإسلام . وذلك يدل على أن الإسلام لم يحمل السيف ليجبر إنسانا على الاعتقاد بالإسلام ..

وما دام الله قد شد أزر المؤمنين بجماعة تؤيد منهج الله لتنظيم حركة الانسان .. فلماذا إذن يعلو السيف ؟ .. إن المثل والقدوة الحسنة والأسلوب الواضح فى الحق .. كل ذلك كانوا جنود الإسلام .. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا »

« سورة الكهف ــ الآية ٢٩ »

هكذا يؤكد الله سبحانه وتعالى منهجه .. الحق هو منهج الله .. والباطل يقود إلى نار تحيط بالإنسان الكافر بالحق من كل الجهات .. ومن يستغث من الظالمين عطشا يسق بماء كالزيت العكر الساخن يحرق الوجوه بلهبه ..

وإذا نظرنا إلى كلمة « إسلام » نفسها .. نجدها قد جاءت اسما ووصفا وعلما ..

والشيء إذا كان وصفا يظل يحمل معناه ..

لكن الشيء إذا كان اسما فإنه يأخذ معناه وأكثر من معناه .

كيف .. ؟

لنأخذ مثلا يدل على ذلك ..

اذا قال أحدنا « هل رأيت القمر ؟ » .. فإن المستمع ينصرف ذهنه إلى الكوكب الفضى المضيء الذى يضيء ليل الأرض ويأخذ ضوءه من الشمس ..

ولكن إذا أسمى واحد ابنته « قمر » فهل معنى القمرية يظل موجودا فى هذه الفتاة ؟

لا ..

لأنها قد تكون غير جميلة ويسميها والدها « قمر » .. تماما كما قد يكون هناك إنسان شقى فى حياته رغم أن والده أسماه « سعيد » ..

لكن كلمة إسلام هى اسم ووصف وعلم ..

لماذا ؟

لأن الإنسان لا يسلم قياده إلا لمَن هو أقوى منه ..

الإنسان عادة لا يسلم قياده لمساويه .. بل يسلم قياده إلى من هو أكثر قدرة وحكمة وعلوا ..

بدليل أن الطفل يسلم قياده لأبيه .. يترك للأب مهمة اختيار الملبس والمأكل ..

لكن عندما يكبر الطفل ويصبح شابا فإنه يرفض أن يشترى له أبوه كل شيء ..

هنا يخرق الابن قانون إسلامه بأبيه .. والسبب هو أن الابن يشعر أن ذاتيته مستقلة ..

ولهذا فالحق سبحانه وتعالى لم يكلف الإنسان إلا بعد البلوغ .. أى بعد اكتمال الذاتية الخاصة بالإنسان ..

والسبب فى ذلك أن الإسلام لو كان قد تم التكليف به كدين قبل البلوغ فقد يأتى الشاب فى مرحلة من مراحل الاستعلاء ويقول :

« لا .. لقد تعاقدت على الإيمان وأنا ناقص العقل » ..

ولذلك لا يكون التكليف إلا بعد البلوغ .. حتى يكون الأمر إلزاما بمعنى الكلمة ..

فإذا كان الأمر هكذا .. فالعاقل لا يسلم زمامه إلا لمن هو أعلى منه ..

والناس كلهم سواء ..

أنت إن تميزت عنى بشىء .. فأنا أتميز عنك بشىء آخر ..

إذن فليس من المعقول أن أسلم زمامى إلى مساو لى وهو الإنسان ..

وكان الإسلام أكثر الأديان فهما لهذه الحقيقة ..

فالإسلام يقرر أن الأديان جاءت ممن هو أعلى من الإنسان ..

تلقى آدم المنهج من ربه ..

وأبلغ آدم أبناءه بالمشهدية ما عرف ..

والرسل تلقوا أمر الإيمان ممن هو أعلى من البشر جميعا .. من الله ..

فاذا أسلم الإنسان أمره إلى الأعلى فلا غضاضة ..

لأن الإنسان فى هذه الحالة لا يسلم أمره إلى مساو له ..

بل كل إنسان يسلم لمن هو أعلى ..

لذلك إذا قرأنا القرآن .. فإننا نجد العبارات تؤدى المعنى تماما .. فكل من قرأ القرآن تعرف على قصة ملكة سبأ والنبى سليمان ويجد فيها عجائب متعددة ..

والله عندما يضرب مثلا بقصة ما فهو لا يضربها للبشر من أجل قتل الوقت ولكن من أجل العبرة التى تصبح دستورا ينتفع بها المؤمن فى حياته ..

وأول قصة سليمان نعرف منها أن الله سخر لسليمان الجن والإنس والطير والريح .. ولذلك لم يستطع أحد من البشر أن يقاوم سيدنا سليمان بقوة ما .. لأن سليمان يملك من القوة ما لا يملكه بشر ..

وعندما نعرف أن سليمان كان ملكا ونبيا .. فإننا قد نتساءل :

ــ لماذا اختار الله معظم رسله غير ملوك واختار أيضا أحد الرسل وكان ملكا ؟

إن فى ذلك مثلا واضحا للإنسان فى أن الله لو اراد ان تستقيم الامور لما استطاع أحد من خلقه أن يرفع رأسه .. فها هو يختار رسولا لا يستطيع أحد أن يرفض له طلبا لأنه يملك القهر والسلطان ..

لكن الله لا يريد ذلك ..

الله يريد أن نذهب اليه طواعية ..

الله يريد أن نسير فى طريقه حتى ولو كان الذين يدعون إليه من الضعاف ..

لأن معنى ذلك أن الحب هو الذى دفعنا إلى الإيمان ..

ونحن نعرف كم تعب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى أول أيام حياته الدينية ..

لم يكن فى قدرة الرسول حماية أصحابه ..

ولعل فى ذلك رمزا إلى أن الله يريد أن يذهب إليه من يملكون قوة الحب وحدها ..

وكانت هذه القوة التى يملكها الضعفاء هى القادرة على الوقوف فى وجه قريش .. قريش التى لا يمكن لعربى فى ذلك الزمان أن يرفع رأسه أمامها ..

إنها قوة لا تقهر .. تملك قريش رحلتى الشتاء والصيف .. وهم شبه ملوك من موقع السيادة .

وأراد الله لرسوله محمد الاختبار . لم تناصره قريش فى البداية ..

لأنها لو ناصرته فى البداية لقال الناس « إنها قبيلة تعودت على السيادة فتعصبوا لواحد منهم ليسودوا به الدنيا » ..

ولو حدث ذلك لكان ما وصل عن الإسلام إلينا هو أنه دين « العصبية » وأنه انتشر بعصبية قبيلة محمد ..

لكن الله أراد أن تقف قريش ضد محمد ..

وأراد أن يكون محمد ضعيفا فى مولده ..

ضعيفا فى مركزه الاقتصادى ..

لكنه قوى بالإيمان والقدرة على الإدراك ..

وهكذا أصبح الإيمان بما جاء به محمد هو الذى خلق العصبية لمحمد ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ..

أحمدك ربى وأستعينك ٠

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وبعد ..

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى تحديد معنى كلمة الإسلام ..

وقلنا :

ـ إن الإسلام هو إلقاء الزمام من المسلم لمن أسلم إليه الزمام ٠

والبشر جميعا متساوون ..

لذلك ٠

فلا يمكن لإنسان أن يلقى زمامه لإنسان ..

فإذا ما جاءت صيحة السماء تقول للناس :

ـ انتبهوا إلى رسالتى ..

فمعنى ذلك أن السماء تنبه الإنسان إلى من يجب على الإنسان أن يسلم إليه الزمام ٠

إن السماء تريد أن تنقذ الإنسان من العبودية لمساو له أو العبودية لمن هو أقل شأنا من الإنسان ..

إن السماء تقول فى رسالتها أننا لا نسلم زمامنا لمساو لنا ..

إنما نسلمَ الزمام لخالق لنا ..

لأن إسلام الإنسان لمن هو أعلى منه بالإجماع .. لا يجعل أحدا يسلم لبشر مثله فيكون ذليلا أو تابعا ..

وقلنا أن الإسلام حينما يكون مجرد وصف .. فإن ذلك الوصف ينطبق على رسالات جميع الرسل ..

لكن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم امتازت بأنها أخذت « الإسلام » وصفا لأنها أسلمت الزمام لله ..

ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم أخذت الإسلام اسما لها وعلما عليها .. وقال الله فى ذلك :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون .. وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل .. وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة .. وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير »

« الآيتان ٧٧ ، ٧٨ من سورة الحج »

ان النص القرآنى هنا صريح ومحدد بأن الإيمان مرتبط بالعبادة . والعبادة ترتبط بفعل الخير .. وفعل الخير يستدعى الجهاد فى سبيل الله الذى اختار الإيمان للمؤمنين واختار المؤمنون الإيمان به وليس فى الدين ما يجعل الانسان فى حرج .. إن الاسلام هو الدين الخاتم . والإسلام هو الدين الأول .. فإبراهيم أبو المؤمنين وقد سمى الله المؤمنين به المسلمين وأنتم مسلمون فى الكتب السابقة على القرآن لرضاء المؤمنين بما شرعه الله فكونوا كما أسماكم الله مسلمين . ولتكون عاقبة إسلامكم هى إتقان هذا الاسلام حتى يشهد الرسول لكم يوم القيامة بأنه بلغكم بالدين وعملتم بما أبلغكم فتسعدوا فى الحياة وفى الآخرة .

وهكذا نرى أن الله سمانا المسلمين .. ولم يصفنا بالمسلمين ..

لأن الاسلام للمؤمن وصف واسم وعلم ..

ولذلك معنى واضح وهو أن الدين عند الله هو الإسلام .

ولأن الاسم أصبح وصفا لنا وعلما علينا ..

لكن الاسلام بالنسبة للسابقين علينا هو وصف فقط ..

إن كل الديانات موصوفة بأنها مسلمة ..

ولكن نحن أتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فنحن مسلمون بالوصف والاسم والعلم .. الإسلام اسمنا وعلمنا وصفتنا وعلامة لنا ..

وإسلامنا للأعلى .. لله خالق الدنيا ليس فيه استذلال ..

لأن الإسلام جاء كدين حتى لا يستذل إنسان بشرا آخرين .

الدين جاء ليحرر البشر من الذل .. وأن يكون منهج السماء هو المسيطر ..

ولعل أهل ريف مصر قد أبصروا ببصيرتهم الحادة هذا القدر من الايمان بالله .. فقالوا ما معناه :

ـ إن الذى يأمر الشرع بقطع اصبعه .. فلا بد أن هذا الاصبع لا ينزف دما أو ألما ..

وفى هذا المعنى اذعان ملىء بالكبرياء .. إذعان للشريعة ثم كبرياء بالمساواة فى ظل هذه الشريعة ..

وفى هذا المعنى أن الحكم عندما يأتى من الأعلى فلا مرارة ولا غضاضة ولا ألم .. وفى هذا الإيمان ما يمكن أن تذهب به الخصومات الفردية ..

فعندما يختصم اثنان فى خلاف .. فان رغبة كليهما في إنهاء الخلاف لا يمكن أن تتم برضاء ناضج وكامل وسمح إلا فى ظل شريعة الله سبحانه وتعالى ..

وعندما تتولد الرغبة فى الصلح بين فردين أو جماعتين .. فإن هذه الرغبة هى قرار سماوى .. ولذلك يهيء الله للفردين أو الجماعتين طرفا ثالثا يمكن أن يضع الله فى حركته ما يسهل الصلح بين الفردين أو الجماعتين ..

وما لم يكن الاثنان أو الجماعتان ميالين للصلح ..

وما لم يكن الطرفان لهما رغبة فى الخروج من دائرة الخصومة ومرارتها .. فان الصلح يتعثر ..

وأيضا مما يؤجل صلح الطرفين ـ أى طرفين فى خصومة ما ـ هو جراح الكرامة ..

إن كل طرف يحرص على كرامته فلا يخطو إلى الآخر ..

لذلك يهىء الله طرفا ثالثا يصبح ستارا للمتخاصمين ..

وقد يقول أحد طرفى الخصومة :

ـ لولا تدخل هذا الطرف الثالث لما تمَ إلصلح ..

لذلك كان الإسلام للأعلى .. هو ستَار لمداراة غرور البشر ..

ولعل الحكاية القادمة ـ رغم أنها تثير الضحك ـ الا أنها تعطى الصورة الواضحة لمداراة غرور البشر ..
الحكاية تقول ان رجلا تخاصم مع امرأته التى يحبها وتحبه وعز على كل منهما إزالة الجفوة ..

الرجل تصلب على رأيه ..

المرأة تصلبت على رأيها .

والوقت يطول ..

وشوق كل منهما إلى الصلح يزداد .

والوقت يمر ..

والكبرياء ترفع الخصومة فى الظاهر وتخفى الشوق فى الباطن ..

والرجل جالس فى حجرته المغلقة ..

والمرأة جالسة فى حجرتها ..

المرأة أرادت أن تعرف حال زوجها .. فسارت على أطراف أصابعها الى حجرة الزوج .. كان باب حجرة الزوج مقفلا .. نظرت المرأة من ثقب الباب على زوجها .. وجدت المرأة زوجها رافعا يديه الى السماء ويدعو الله قائلا بتوسل :

ـ يارب إجعل زوجتى تأتى لتصالحنى ..

وفرحت المرأة أكثر وهى تسمع الزوج يستغيث بأولياء الله ويقول :

ـ يا سيدة زينب لك عندى نذر قدره كذا إذا صالحتنى زوجتى ..

وكان قلب الزوجة يزداد فرحا .. فذهبت إلى حجرتها ولبست أجمل ملابسها . وسارت بخطوات فيها خجل وكأن هناك من يدفعها إلى غرفة الزوج وهى تهمس بصوت مسموع :

ـ لماذا تجبرينى على الصلح معه يا سيدة زينب !!

وهكذا نرى أن التحجج بالسيدة زينب هو ستار للحب ..

والحكاية على طرافتها تشرح كيف يحب كل طرف فى خصام أن يتدخل طرف ثالث ..

وعندما نرى أن الله أراد أن يحفظ للبشر استعلاءهم وكرامتهم فقد وضع من التشريعات السماوية ما يحمى هذه الكرامة وما يؤكد هذه الكرامة ..

ومثال ذلك هو معرفة الحق تبارك وتعالى أن هناك خلافات بين المجتمعات وقد تصل الى الحروب .. والحروب تدمى الطرفين وتزيد آلام الطرفين .. فإذا بلغ الإرهاق مبلغه بكل فريق .. فإن الكبرياء قد تمنع أحدهما من إعلان ضعفه ..

لذلك فإن الله يضع فى تاريخ العام أشهرا حرما .. يحرم فيها الله القتال على البشر ..

وهكذا عندما تأتى شهور رجب وشوال وذى القعدة وذى الحجة فإن الفريق المرهق من القتال يمكنه أن يقول :

ـ آه لو لم يأت شهر رجب .. آه لو لم يأت شهر شوال .. أو شهر ذى القعدة أو ذى الحجة .. آه لو لم تحل الأشهر الحرم .. لولا ذلك لفعلت بعدوى كذا وكذا وكذا ..

إن الأشهر الحرم ستار للضعيف ومراجعة لغرور الانسان وحفاظ على كرامة الإنسان ..

ويصل الأمر بالسماء إلى أن تحدد مكانا لا يدور فيه القتال على الاطلاق .. وهو المسجد الحرام ..

إن تحديد مكان لا يجرى فيه أى قتال يحمى الضعيف بأن يلجأ إليه .. ويمنع القوى من التمادى فى اظهار القوة ..

هكذا نعرف أن الله وضع لنا التشريع الذى يحمى الكرامة البشرية ويشذب غرورها ويؤكد استعلاء الإنسان دون ذل ..

ولنتأمل مرة أخرى قصة ملكة سبأ ..

نتأملها بروح الفهم المتجدد واليقين الثابت بأن الله يطرح لنا قصة ما أو جزءا من رواية ما .. والهدف من ذلك هو أن تتضح لنا العبرة ..

قال الله عن سليمان الحكيم فى سورة النمل :

« وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من

الغائبين .. لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين »

« سورة النمل .. الآيتان ٢٠ ، ٢١ »

إننا بالتأمل لمعانى هاتين الآيتين نرى فيهما أن سليمان تفقد الطير واكتشف غياب الهدهد .. وقرر عقابه على ذلك الغياب ما لم يأت بأدلة وأسباب للغياب .

إنها صرامة ممزوجة بالعدل .

وتلك صفة الحاكم العادل ، الحزم عنده ممزوج بالعدل ..

والقصة تأتى بعد ذلك بأن الهدهد عاد إلى سليمان ومعه الدليل الثابت الواضح الذى يعلنه للحاكم سليمان ..

ويقول الحق تبارك وتعالى عن الهدهد فى سياق القصة القرآنية ،

« فمكث غير بعيد .. فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين »

« سورة النمل .. الآية ٢٢ »

ها هى قوة الله تتجلى لنا فى إقامة العدل ..

ان المتهم فى القصة طائر ..

ولم يستطع سليمان ـ وهو نبى وملك فى آن واحد ـ أن يعاقب الطائر على سلوك لم يعجب به ..

إنما كان على سليمان أن يهضم أولا صفات ومميزات الحاكم العادل ..

إن الحاكم العادل هو الذى يفهم ظروف المحكومين حتى ولو لم يكونوا بشرا ..

وعلى الحاكم العادل أن يترجم هذا الفهم إلى سلوك ..

ولهذا نرى أن سليمان لم يصدر حكما غيابيا ضد الهدهد .. إنما انتظر حتى يعود الهدهد ثم تكون المحاكمة بعد ذلك ..

وعندما عاد الهدهد من مملكة سبأ .. كان يحمل الدهشة ..

لقد رأى هنالك ما أذهله ..

لقد رأى بشرا يسجدون لغير الله !!

لقد رأى بشرا يسجدون للشمس ..

وكانت دهشة الهدهد .. هى دهشة الفطرة ..
لقد تساءل الهدهد « ألا يعرفون من يجب السجود له .. فنسوا السجود لله وسجدوا للشمس وهى إحدى مخلوقات الله ، »
ويحكى لنا الله فى عظمة بالغة وأدب حكيم ..
أن الهدهد يعرف أن سليمان النبى يعرف لغته .. لقد علم الله سليمان لغة الطير ..
ويصف الله تعالى موقف الهدهد .. لقد وقف غير بعيد من سليمان وامتلك يقين الحق فصار قويا .. يقول للحاكم :
ـ أنا أعرف ما لم تعرف .. لقد جئتك بنبأ يقين ..
إن المحكوم هنا امتلك الحق فصار به قويا .. فأعلن قوته للحاكم .
وهذه الحكاية تدلنا على أن الإنسان إن رأى خيرا فى أمته وجماعته فليفعله دون أن ينتظر أو يستأذن وذلك حتى لا تضيع فرصة فعل الخير ..
وتستمر قصة سليمان الملك وهو يستمع باندهاش لما يقوله الهدهد ..
تستمر القصة لتعطينا ارتفاعا فى العقيدة ..
إن الهدهد وهو طائر ـ وهو المسخر بقوة الله لخدمة الإنسان ..
إن الهدهد يعرف أن السجود لله وحده ..
إن الهدهد يعرف أن الله خالق العالم والكون ..
إن الطائر يتعجب ويندهش وهو يحكى لسليمان عن ملكة سبأ ..

« وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »

« سورة النمل ـ الآية ٢٤ »

لقد روى الهدهد الحقيقة ..
ـ إن ملكة سبأ وقومها أخطأوا الطريق فسجدوا للشمس من دون الله ومنعهم الشيطان عن طريق الخير وأصبحوا لا يعرفون طريقا للهداية .. ويتساءل الهدهد باندهاش :

« ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم » ..

« سورة النمل ـ الآيتان ٢٥ ، ٢٦ »

إن الهدهد يعرف طريقه إلى الله . ويعرف الهدهد بإيمان مطلق .. أن الله يعلم ما فى السموات والأرض .. وهو كطائر يعرف أن الله خلق له المنقار الطويل ليبحث به عن الطعام تحت سطح الأرض ..

وتستمر القصة فى مدلولها الإيمانى ..

يأمر سليمان الهدهد بأن يأخذ كتابا إلى ملكة سبأ وقومها :

« إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم .. ثم تول عنهم فأنظر ماذا يرجعون »

« سورة النمل ـ الآية ٢٨ »

ويطير الهدهد حاملا رسالة النبى الملك سليمان .. ويلقيه على ملكة سبأ .. فتقول :

« قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم .. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا على وأتونى مسلمين .. قالت يأيها الملأ أفتونى فى أمرى .. ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون » .

« سورة النمل ـ الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ »

إن ملكة سبأ تعطى الدرس فى فن القيادة .. إنها تتلقى رسالة من الملك سليمان بدعوة إلى الإيمان .. وهى تريد أن تعطى الدرس فى فن السياسة بالرأى ..

إنها تحاول أن تأخذ رأى القادة الذين معها .. ولا تحاول أن تجبر من حولها ومن فى دائرة ملكها على الانحناء بالقوة لما ترى من رأى ..

ولعل الشاعر العربى قد فطن قديما إلى أن الرأى أهم من القوة فقال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان .. هو أولا .. وهى المحل الثانى ..

ولعل ملكة سبأ تحاول أن تتعرف على رأى من حولها .. لكن من حولها من قادة عسكريين يقولون

« قالوا نحن أولو قوة وأولو بأسٍ شديد والأمر إليك .. فانظرى ماذا تأمرين »

« سورة النمل ـ الآية ٣٣ »

هنا قال القادة لها .. نحن مقاتلون وليس لنا فى الرأى السياسى شىء .. أنت التى تقدرين الرأى السياسى وبعد ذلك تصدرين الأمر لنا بالحرب أو بغير الحرب ..

هنا نستشف أن أهل القوة وأهل البطش وأهل العزم ليس من وظيفتهم قول الرأى .. إنما مهمتهم أن ينفذوا ما انتهى إليه أصحاب الآراء ..

لماذا ؟ ..

لأن صاحب القوة والبطش .. ربما دفعت قوته وحماسته قد تدفعه إلى قياس الأمور بمنطق الشدة . والمسألة ليست كذلك .. إن قياس الأمور لا يحتاج إلى البطش قبل الرأى .. إنما قياس الأمور يحتاج إلى الرأى أولا ..

وهكذا يصبح على ملكة سبأ أن تتحمل وحدها مسئولية الرأى وترى الملكة أن الحكمة في كلام محدد وواضح يعرضه علينا القرآن دون أن ينكره .. ولذلك تقول ملكة سبأ ؛

« قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » ..

« سورة النمل ـ الآية ٣٤ »

إن القرآن يعرض الحكمة التى تقولها المرأة ملكة سبأ من أن الملوك عندما يدخلون قرية فافسادها يتم على أيديهم ويجعلون العزيز من أهلها ذليلا .. ويعقب القرآن « وكذلك يفعلون » ..

وهكذا نرى أن القرآن الكريم عندما يعرض لقضية أو حاجة ولا يأتى بنص واضح ببطلانها .. فمعنى ذلك أنه يوافق عليها .. ورغم أن الحكم بافساد الملوك للقرى التى يدخلونها قد جاء على لسان إمرأة .. أن المرأة كاذبة .. لا .. إن القرآن يؤكد الصدق فى الحكمة عندما يقرن حكمة المرأة بقوله « وكذلك يفعلون » . وتفكر ملكة سبأ فى سلوك سياسى .. فتقول ؛

« وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون »

« سورة النمل ـ الآية ٣٥ »

إن الرأى السياسى هو هدية تختبر بها سليمان وقومه .. فإن كانوا يريدون المال والثراء فسوف يقتنعون بالهدية .. إما إذا كانوا يريدون المنهج .. فالمسألة غير ذلك .. ولهذا نرى أن سليمان استقبل الهدية استقبال توضيح لما يريد . إنه لا يريد المال ولكنه كان يعرض فى رسالته منهج الإيمان :

« فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال .. فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون »

« سورة النمل ـ الآية ٣٦ »

وتستمر القصة لتؤكد أن سليمان لم يطمع فى مال .. إنما كان طموحه أن يؤكد منهج الله ..

إن سليمان النبى الملك معزز بالعلم وبالقوة مما يجعله قادرا على أن ينقل عرش الملكة إلى دولته ..

وتعرف ملكة سبأ أن الآية آية منهج .. وأنه لا مفر من الإسلام .

ولترى ملوكية الإيمان ..

ولترى استعلاء العقيدة ..

وتعرف أن ملكها لا يساوى شيئا بجوار ملك سليمان النبى الملك ..

إن سليمان عندما وصله الرسل بمال ملكة سبأ .. أعلنهم أنه يستمتع بنعم الله التى تفوق كل ما يتخيلون . ويأمر الرسل بالعودة ويقول لرسول ملكة سبأ :

« إرجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل بهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون » .

« سورة النمل ـ الآية ٣٧ »

ويجمع سليمان النبى ما أفاض الله به عليه من تأييد المخلوقات أنسا وجنا وطيرا وغير ذلك .. ويقول سليمان :

« قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم

من مقامك وإنى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر .. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم .. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون .. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها .. قال إنه صرح ممرد من قوارير .. قالت : رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » ..

« سورة النمل من الآية ٣٨ الى الآية ٤٤ »

ـ قصة إيمان .. تروى حكمة نبى هو سليمان .. فالمنهج محدد لدى سليمان .. ، لا يرغب مالا .. لأن الله أفاض عليه بنعيم وطاعة .. إنه يستطيع أن يحرك ى مملكة سبأ من الجنود ما لا قبل لأهل المملكة بها .. ويملك الجند القدرة لى إذلال أهل المملكة .. ويحذر سليمان رسول سبأ .. ويتدارس الأمر مع جنوده ن الانس والجن والأنعام . ويعرض القرآن لقوة سليمان .. ويختار سليمان تعبيرا ن القوة .. قدرة من عنده علم من الكتاب ليأتى بعرش ملكة سبأ .. وعندما تحقق معجزة العلم يقابلها العالم ببعض ما فى الكتاب بأن ذلك اختبار من له .. هل يشكر أم يكفر ؟ ..

المنهج واضح هو أن النعمة بلاء تختبر بها السماء البشر .

ـ يشكر فلنفسه ..

ن يكفر فإن الله غنى عن العالمين وكريم ..

أمر سليمان جنده بأن يحدثوا بعض التغيير فى عرش ملكة سبأ .. ويحدث ليل من التغيير ..

ويسأل سليمان ملكة سبأ :

ـ أهذا عرشك ..

فتقول :

ـ كأنه هو ..

ويعلن سليمان ومن معه الشكر لله على نعمة العلم وقوته ..

وتتعرف ملكة سبأ على مصدر القوة .. على الإيمان بالله .. وتلجأ الى الإيمان ..

وعندما تمت دعوتها لدخول قصر سليمان .. رفعت ثوبها عن ساقيها لأنها ظنت أنها ستخوض فى ماء .. لأن قصر سليمان كان صحنه من زجاج أملس .. وتعلن ملكة سبأ إيمانها ..

ولنا أن نتساءل .. هل قالت :

ـ أسلمت لسليمان ؟ ..

لا ....

إنما قالت : « رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

إذن ..

فعظمة الإسلام أن الإنسان لا يسلم لإنسان يساويه .. وإنما يسلم الإنسان لمن هو أعلى من الجميع بإقرار الجميع ..

الكل يسلم لله الواحد القهار .

هذه هى عظمة القرآن ..

فعندما يعرض علينا بعض النماذج .. فالهدف أن نتعلم وأن تبقى فينا الفائدة والقيمة والنتيجة ..

فمثلا قصة موسى عندما يواجه السحرة ..

إن الله قد وضع لموسى منهجا تدريبيا قبل أن يذهب إلى السحرة تماما كما فعل لآدم فى الجنة ..

فعندما ذهب موسى عند النار .. ماذا حدث له ؟

دار حوار بينه وبين الله .

وكان الغرض من الحوار أن يأنس موسى للرسالة القادمة إليه وأن يتدرب على

إتقانها ..

يقول الله لموسى :

ـ « وما تلك بيمينك يا موسى » ؟

ويرد موسى :

ـ « هى عصاى أتوكأ عليها وأهشى بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » ..

ولنا أن نسأل سؤالا يفرضه العقل المؤمن :

هل كان الله لا يعرف ما الذى بيد موسى ؟

إن العقل المؤمن يعرف أن الله يحيط بكل شىء علما .. ولكن سؤال الله لموسى هو سؤال للإيناس حتى يقلل من خشية موسى وخوفه

ولقد كان يكفى أن يرد موسى قائلا : « هى عصاى » ولا يضيف إلى العصا مهمتها التى يعرفها .. « أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى » ..

لكن موسى يرغب فى إطالة زمن الإيناس بالله وفى حدود الأدب أيضا لذلك يقول فى نهاية كلماته « ولى فيها مآرب أخرى » ..

هنا يقول الله فى المهمة التدريبية لموسى عليه السلام :

ـ « ألقها يا موسى »

فيلقى موسى بالعصا .. « فإذا هى حية تسعى » .. وخاف موسى ..

لكن الله يقول :

ـ « لا تخف .. سنعيدها سيرتها الأولى » ..

ولو لم يكن موسى قد خاف لقلنا هذا نوع من السحر ..

ولننتبه إلى أن هناك فارقا بين السحر الذى كان يمارسه بعض قوم فرعون وما جاء به موسى ..

ان القرآن يصف حالة موسى :

« فأوجس فى نفسه خيفة » ..

وهذا دليل على أن عصاه انقلبت إلى حية بالفعل والواقع . ومعنى ذلك أن حقيقة « العصا » قد تغيرت .

وهذا هو الفارق بين سحر قوم فرعون وبين عصا موسى .

إن سحرة فرعون .. يسحرون أعين الناس فلا ترى حقيقة الأشياء .. انما يرى الناس الوهم الذى يضفيه السحرة على أعينهم ..

أما معجزة موسى .. ففيها تغيرت الحقيقة وأصبحت العصا .. حية ..

هكذا نرى معجزة الله ..

مؤانسة لموسى ..

ثم تدريب له ..

ثم تكليفه بالمهمة ..

أقام الله له التدريب حتى يباشر المهمة أمام فرعون ..

« وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصاى أتوكأ
عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ..
قال ألقها يا موسى .. فألقاها .. فإذا هى حية تسعى ..
قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ..

« سورة طه الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ »

هكذا يعلمنا الله أنه لا مهمة دون تدريب .

ولا إنجاز موفق بغير اتقان للتدريب ..

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا فيوضات كتابه وأسرار قرآنه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله

احمدك ربى كما علمتنا أن نحمد ·

وأصلى وأسلم على خير خالقك سيدنا محمد ·

وبعد ··

فقد انتهينا في اللقاء السابق إلى أن رمضان انما جاء لتصعيد الايمان التعبدى للحق ··

وفي رمضان يخرج الناس عما ألفوا من عادة إلى التشريف بالعبادة ·

وقلنا ان التصعيد الايمانى كان سببا في ان يختار الله الصيام في رمضان وهو الشهر الذى اصطفاه الله لينزل فيه القرآن ·

وقلنا ان الصيام لله ·· لذلك فجزاؤه لا يدخل في تقدير الجزاء المعروف لبقية الوان العبادة ·

وقلنا ان للصائم فرحتين ·· فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى الله ·

وقلنا أن رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم وضع سنة الأعتكاف في العشرة أيام الأخيرة من رمضان · ومعنى الاعتكاف هو الزام النفس بالاقامة في بيت منسوب لله · وليقطع الانسان عن كل منسوب لخلق الله · فيخرج الانسان من بيته الأليف ـ إلى بيت ربه الكريم · ويخرج من ألفه الوجود مع الأهل إلى الوجود الكامل في مناجاة الرب ·

ويخرج عن كل ما اعتاد عليه خارج بيت الله ليخلص عشرة أيام ليصحو فيها مع الله ·

وكل ذلك هو رحيل للانسان من الموجودات إلى الانس الكامل مع خالق الوجود · وذلك لأننا كما قلنا قد تكون نعمة الله على الخلق ·· تعود الانسان على الاس ٧ لعادة النعمة ·

ولذلك يريد الحق ان لا تأخذ الانسان نعمة الله من خالقهم ولهذا فحين يأتى الانسان ليعتكف في بيت ربه .. فإنه الله يطلب منا أن نعرف ما معنى بيت الله ؟

هذا سؤال قد يثور في نفس المزمن وخصوصا أن أمة محمد قد خصها الله بأن الأرض كلها صارت لهذه الأمة مسجدا وهى طاهرة .. بينما كانت التعبدات التى كانت قبل رسالة محمد لا بد لها من مكان مخصص لذلك .

ولكن لأن أمة محمد قد فهمت الدنيا واتسعت امامها مدارك الحياة بمنهج الله .

فقد جعل الله كل الأرض مسجدا لأمة محمد .

فالحقل يزرع فيه الفلاح ويسجد فيه لله .

والمصنع يصنع فيه العامل ويسجد فيه لله .

والفصل يتعلم فيه التلميذ ويدرس فيه الاستاذ ويمكن للجميع ان يسجدوا فيه لله .

إلا أن هناك فارقا بين بيت ينتسب لله باختيار خلق الله .. وبيت ينتسب لله باختيار الله .

فإذا جئنا إلى مكان من الامكنة وخصصناه مسجدا ..

فالكل يقول عنه انه أصبح بيتا لله باختيار خلق الله ..

لكنى بيت الله في مكة هو بيت لله باختيار لله ..

ولذلك كان بيت الله بمكة هو اختيار من الله ليجعله قبلة لكل المساجد ..

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا لله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين »

« سورة التوبة الآية ١٨ »

وحين خصص الناس بيوتا لله وأقر الله في قرانه انها بيوته .. فان لحرمة هذه الأماكن مايقتضى الا تتداول فيها حركة الحياة . انها للصلاة وللعبادة .

لذلك حين راح رجل يبحث عن شيء ضاع منه في المسجد .. قال له رسول الله « لارد الله عليك ضالتك » .

لماذا ؟

لأن المسجد هو المكان الذى لا يجب أن يخطر في بال الزائر إليه سوى ان يكون مع الله ٠

ان المسجد هو المكان الذى يصفو فيه العبد إلى الرب وأى صفقة يعقدها أناس في بيت الله فلا بد أن نحكم عليها بأنها صفقة خاسرة ٠

ان الله قد ترك للانسان كل الأمكنة خارج المسجد ليتدبر الناس في هذه الأمكنة ·· فإذا دخلوا إلى بيته وهو المسجد فلابد أن نخلع وأن نترك على باب المسجد كل حاجات ليكون الواحد منا في رحاب الرحمن حقا وصدقا ·· وأن نكون في أنس مع الله ٠

لذلك فعلى المؤمن إذا دخل المسجد فلينو الاعتكاف مدة التواجد في المسجد لأن الانسان لو تحدث في أمر يتعلق بغير الله فيلعلم انه غير ناجح ٠

إن بعض الناس قد تعود على التواعد في المساجد لينهوا في هذه اللقاءات صفقات أو تجارة أو أى مسألة من مسائل الدنيا ٠

ولكن على هؤلاء الذين يفعلون ذلك وهم يجهلون حقيقة أن التواجد في المسجد هو للعبادة أو تلقى العلم ·· على هؤلاء أن يعرفوا أن أى أمر من قبيل الصفقة أو أى مسألة من مسائل الدنيا لا يمكن أن تحل فيها البركة لو أن اتمامها كان بالمسجد ٠

لأن أمور الدنيا عندما يدخل فيها الانسان فقد يمتلىء بالصراع أو الحنق أو المداهنة أو الصوت العالى أو غير ذلك مما يشوش على أى انسان يلقى الله ويقف بين يديه ٠

ان التواجد بالمسجد مع اخوة في الايمان هو لقاء المحبة لالقاء الصراع ٠

ان اللقاء مع الله في المسجد ينشر الطمأنينة في النفس ·· فلماذا هذا التواجد من أجل الدنيا وأمورها ونحن في رحاب الرحمن ٠

ثم ··

هناك بعض الناس من يدخل الى المسجد ليجلس فى مكان محدد ٠

وهؤلاء ينسون أن النبى قد نهى عن استيطان الأماكن فى المسجد ·وهذا يعنى ان الانسان يجب ألا يخصص لنفسه مكانا محددا في المسجد ويتخطى رقاب المصلين

ليصل إلى ذلك المكان الذى خصصه لنفسه ·

ان أى مكان في بيت الله هو لمن سبق إلى نداء الله · وقد يظن انسان ان الصلاة في الصف الأول لها ثواب أكثر من ثواب الصف الأخير ·· لا ·· ليس ذلك صحيحا ·· لأنه ليس من المعقول أن يأتى انسان إلى نداء الله متأخرا ويتخطى رقاب الناس ويضايقهم ليصل إلى الصف الأول ·

إن الله هو الذى يرتب الصفوف ··

ان الانسان عليه أن يسأل نفسه سؤالا واضحا ·· كيف أدخل بيت ربى بهذا الأسلوب الذى اتخطى فيه رقاب الآخرين ·

ان على الانسان المؤمن أن يجلس في أى مكان في المسجد دون مزاحمة لأن المعنى في دخول المسجد ان يتفرغ الانسان من الانانية وصراع الحياة الدنيا ويتفرغ تماما بالتعلق بمحبة الله ·· وان الوجود في المسجد هو تجديد لايمان الانسان ·· هو تنقية الروح بصفاء جديد ·

وإن صح التشبيه ·· فإننا نقول ان « بطارية » القلب يتم شحنها بالصفاء والارتقاء بالوجود في رحاب الرحمن ·· ولحظة ان يمتلىء القلب بالصفاء والارتقاء فعلى الانسان أن يخرج إلى الحياة ليبدأ حركة بهمة ونشاط بعد أن أخذ من المسجد فيض الايمان والتقوى والبر ورضاء الرحمن ·

وهكذا نرى إن الحق سبحانه وتعالى حين يقول رسوله صلى الله عليه وسلم ان الاعتكاف في العشرة أيام الأخيرة في رمضان هى سنة فهذا ارتقاء وتصعيد للتكليف ورغبة في، ان يكون المسلم في تمام الصفاء · لأن رمضان عندما جاء تم تدريب الانسان على حرمان اشياء كانت حلالا ··

ولأن العشرة أيام الأخيرة في رمضان هى سنة للاعتكاف ·· ففى ذلك اختيار أن يظل الانسان في بيته وبين أهله ·· واختيار للانسان أن يخرج من الألفة مع المكان والأهل ·· ولعل ذلك تدريب للانسان ان يخلص أياما لله ·· فيخرج إلى مسجد عشرة أيام ويتدرب على الصفاء الذى يضىء الاعماق عندما يترك الانسان أهله وماله وفي هذا تدريب لرحلة أخرى ·· هى ركن خامس من أركان الاسلام ·· وهى

الحج .. تلك الرحلة التى يترك فيها الانسان بلده وماله وجاهه ويذهب إلى بيت الله ٠

هكذا يصبح الاعتكاف تدريبا على التقوى .. وأعدادا لرحلة الحج .. لاستكمال أركان الاسلام ..

وهكذا تصبح سنة الاعتكاف تدريبا على الذهاب إلى الكعبة التى يتجه إليها كل مؤمن بالقلب ويزيد بها علم اليقين وكأنه يراها عين اليقين ٠

وهكذا تصبح سنة الاعتكاف بداية استعداد للذهاب إلى بيت الله ليؤدى الانسان مناسك الحج ٠ ويبقى للانسان بعد ذلك ان يكمل بناء اسلامه ..لأنهأقام أركان الاسلام من شهادة لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأقام الصلاة وأدى الزكاة وصام رمضان وحج البيت ٠

وقد يتساءل أحد .. ما هو بناء الاسلام للمؤمن ؟٠

والاجابة هى :

ـ ان بناء الاسلام هو كل حركة من حركات الحياة فيها مراعاة لله ٠

ولهذا نجد أن الاسلام يتعرض لاشياء لا تخطر على قلب الذين شغلوا أنفسهم بالتشريع لصالح الناس ٠

فمثلا الجزار الذى ينفخ في الشاة بعد ذبحها ليسلخها .. يحرم عليه الاسلام أن ينفخ بفمه .. انما لابد وأن تتم عملية النفخ بمنفاخ حتى لا يذهب نفسه إلى لحم الذبيحة .. حدث ذلك قبل ان نعرف ان الهواء الخارج من فم الانسان يحمل ثانى أوكسيد الكربون الذى يضر الانسان ٠

إن الاسلام مثلا يقرر ان الانسان الذى يتولى عجن الخبز للناس لابد ان يضع لثاما كلثام الأطباء على فمه وأنفه مخافة ان يعطس فيذهب الرذاذ إلى العجين ٠

والتشريع يقرر ان الذى يعمل في « حمام » يدخله الناس للنظافة لابد ان يدلك يديه بقشر الرمان حتى لا تصبح ناعمة وذلك حتى يدلك المستحم جيدا ٠

إن التشريع الاسلامى تعرض لهذه الجزئيات البسيطة وتعرض لأهم منها ..

مثلا يفرض التشريع الاسلامى أن على والى المسلمين أن يعين قائدا مبصرا لأى مكفوف وان يكون أجر هذا القائد على بيت المال ٠

إن التشريع الاسلامى له هدف واضح هو ان ينظم كل حركة في الحياة .

بين أن على من يقص شعر الرجال لا بد أن يمتنع عن العمل في اليوم الذى يأكل فيه البصل .. لأن انفاس من يقص الشعر وأنفه تقترب من أنف « الزبون » .

ان الذين يتهمون شرع الله بأنه ناقص .. تقول لهم ان النقص في ايمانكم .

انكم لم تستطيعوا تطبيق منهج الله .. فحاولتم ان يكون الله على دينكم لانكم لم تستطيعوا أن تكونوا على دين الله ..

اذن فحركة الحياة منظمة تمام التنظيم في الحياة الاسلامية .

ان أى خلل في الوجود .. وأى قبح في الوجود له سبب واحد دائما .

السبب هو ان منهجا من مناهج الله قد تعطل .

نعم ..

ولنضرب مثلا بسيطا .

قد يحاول أحد القادرين الذهاب لشراء فاكهة من بائع تربطه به صداقة .. فيقول له البائع « الفاكهة التى عندى اليوم لا تليق بك » .

ان معنى ذلك ان الضمير الايمانى لهذا البائع مفقود .

لماذا ؟!

لأنه يعامل الناس بمعاملتين ..

بشر لا يرضى ان يبيعهم فاكهته التى ليست طيبة .

وبشر يبيع لهم فاكهته التى ليست طيبة .

هنا تقول لمثل هذا البائع .

ـ ان قضية الايمان عندك مختلة .. لأن الرسول أوصى ان يحب الانسان لأخيه ما يحب لنفسه .. وأنت صنعت ميزانا آخر دون ميزان الله .. فالناس كلهم سواسية .. فلماذا تفضل انسانا آخر .

وقد نلاحظ مثلا أن البعض يشترى الفاكهة في غير أوانها . فيقطع مزارع العنب قبل أن ينضج .

لماذا ..

يقول حتى ألحق السوق ..

فيأكل الناس العنب فيكون بلا طعم .. فيسخط الشارى على النعمة .
لكن لو فهمنا عن الله لعلمنا ما يلى :
ان الله يريد ان يمتع عين الزارع والمشترى .. قبل أن يمتع الأفواه ..
فيقول :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء .. فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا .. نخرج منه حبا متراكبا .. ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»

« سورة الانعام الآية ٩٩ »

الهدف اذن ان يمتع الانسان عينه قبل ان يمتع فمه فيحصل على اشباع من النعمة فيشكر الله عليها .. وهكذا نري ان كل من يعطل منهجا من مناهج الله فإنه يسبب السخط .. فيكفر الانسان دون ان يدرى بنعمة الله .
وياليت الناس تحسن التعرف على منهج الله .
وإلى لقاء قادم إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله .. ولا إستعانة إلا به .
والحمد لله ولا ثناء إلا عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد رحمة الله إلى العالمين . ومسك الختام للأنبياء والمرسلين ..
وبعد ...

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى أن الله سبحانه وتعالى حين نسلم زمامنا إليه .. يكون فى ذلك براءة من استعلاء بعض البشر على بعض البشر ..
ولذلك يقول بعض العارفين من الصوفية :
« والسجود الذى تجتويه من ألف السجود فيه نجاة »
« اعمل ا‌ٍرجه واحد يكفيك كل الأوجه »
لأن البعض منا أو ممن سبقنا كره أو يكره أن يضع جبهته للأرض . لكن السجود لله الواحد هو انقاذ من تكرار السجود لمظاهر القوة فى الأرض .
وهكذا يصبح الإيمان إعزازا للنفس البشرية ..

وضربنا المثل وقلنا إن ملكة سبأ عندما أسلمت قالت :
- « أسلمت مع سليمان لله رب العالمين »
ولم تقل « أسلمت إلى سليمان » ..
لقد كان سليمان وسيلة للغاية .. وهى الله .
وضربنا المثل بقصة موسى ..
وقلنا ان ما جاء به موسى من معجزات لم يكن بالسحر .. إنما كان بتغيير الحقيقة .. وإن كان ما جاء به موسى قد كان من نفس النوع الذى قد يفهمه البعض على أنه سحر . والفارق بين ما جاء به موسى وبين ما جاء به السحرة أن الحق سبحانه وتعالى حينما صنع التجربة مع موسى .. خاف موسى ..

ومعنى خوف موسى أنَّ العصا انقلبت حية بالفعل ..
ولو كان الأمر سحرا .. لما خاف موسى . لأن موسى الذى تعلم فى الصغر فى بيت آل فرعون يمكنه أن يميز بين السحر وبين الحقيقة .

إن الساحر يلقى بالعصا وتظل عصا ولكن المسحور هو الذى يراها غير ذلك ..

لذلك ها هى دقة القرآن فى العطاء ..

« وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين .. حقيق على ألاَّ أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل .. قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين .. فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين .. ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم . وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين . قال : نعم وإنكم لمن المقربين . قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين .. قال ألقوا .. فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم .. وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون .. فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين .. قالوا آمنا برب العالمين .. رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون .. لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين . قالوا إنا إلى ربنا منقلبون .

وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » ..

« سورة الأعراف من الآية ١٠٤ الى الآية ١٢٦ »

إن دقة الأداء القرآنى تصور القصة كاملة . موسى أرسله الله إلى فرعون بعد أن دربه على المعجزة التى يحملها وكانت المعجزة مصحوبة برسالة إلى فرعون .. لكن فرعون وقف عند المعجزة ولم يستوعب الرسالة . حاول فرعون أن يقهر معجزة الله بالسحرة . جمع لموسى كل السحرة . وأمام الجمع من البشر خرجت معجزة الله تلقف سحر البشر .. فآمن السحرة برسالة موسى وهارون .. وقالوا « آمنا برب موسى وهارون » ورغم الهزيمة التى وقعت بهم إلا أنهم آمنوا .

تلك هى عظمة الايمان ..

إنهم يعرفون أن الذى هزمهم هو الله وليس موسى . لذلك أسلموا الزمام لله ..

وهذه هى عظمة الإيمان .

فى الإيمان أنت لا تسلمنى زمامك ..

فى الإيمان لا أسلم لك زمامى ..

فى الإيمان أنا وأنت نسلم زمامنا لله ..

إذن ..

فليس هناك طغيان لواحد منا على الآخر ..

وتكون الكلمة هنا لله ..

وهكذا فالذين يفرون ويهربون من أن يحكم منهج الله حريصون على أن يستذلوا الناس بإسلامهم لمناهجهم لكن لو أرادوا الخير حقا لقالوا ..

ـ أنا وأنت نسلم وجهنا لمن هو أعلى منا .. فما هى الغضاضة فى ذلك ؟

إذن فالإسلام أخذ اسما .. وأخذ وصفا ..

اسم لرسالة محمد .

ووصف للمؤمنين برسالة محمد

تلك هى ميزة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ..

إن كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم هى امتداد لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ·

ولأنه لم يبق هناك رسل ، ولا أصبح هناك أنبياء ··

إذن فكيف يستقيم أمر رعاية منهج الله ؟

لقد حفظ الله المنهج ··

ولم يعد هناك سوى مهمة البلاغ للمنهج الربانى ·

ولذلك ·· فالعلماء الذين يحملون منهج الله للناس ··

هؤلاء الذين يسمونهم كأنبياء بنى اسرائيل ··

لماذا ؟

لأن هؤلاء يحملون المنهج للناس ··

الناس تظن خطأ ·· أن العلماء الذين يحملون المنهج للناس ·· هم من يرتدون زيا معينا ·· كزى خريجى الأزهر ·· والذين يعملون فى صناعة الدعوة ··

لا ··

إن هذا اعتقاد خاطىء ·

إن كل من علم حكما من أحكام الله فهو عالم به ·

لذلك قال الرسول عليه السلام هذا الحديث الشريف :

« نضر الله قلب امرىء سمع مقالتى فوعاها وأداها الى من لم يسمع ·· فرب مبلغ أوعى من سامع »

« حديث شريف »

إذن ··

ما دمت تعلم حكما من أحكام الله فأنت عالم ·

هنا يجب أن نلتفت لفتة ·· ·

اللفتة هى :

أننا نحمل أمانة الإسلام كعلم

ونحمل أمانة الإسلام كتطبيق ·

ونحن نريد تحقيق الإسلام ·

ونحن نريد تطبيق الإسلام ··

ولنفترض أننا أصابتنا كارثة أن حاول قوم أن نبتعد عن تطبيق الاسلام كمنهج سلوكى للبشر .. فماذا نفعل ؟

كيف يكون موقفنا ؟

اننا فى ذلك الموقف مطالبون على الأقل بأن نكون أمة تحقيق الإسلام ..

وهذا يعنى أن نحمل الإسلام كعلم .. إلى أن يأذن الله لخلقه برجل يحمل مبادرة سماوية ويقول :

ـ العلم الإسلامى والتطبيق الإسلامى يجب أن يكون الآن ..

أما أن نقف دون تحقيق الإسلام .

أما أن نترك العلم بالإسلام ..

فهذا ما نقول له : لا ..

إننا يجب أن نحفظ شمعة الإسلام مضيئة .. ولنحافظ عليها .. لعل واحدا يأتى .. فيأخذ من هذه الشمعة قبسا ، ويصنع من هذا القبس نورا وهاجا ..

إذن .. فأمة مصر إن لم تكن قد حققت الإسلام منهجا وسلوكا فهى مطالبة بنعمة الله عليها بالأزهر أن تحافظ على الإسلام علما وتحقيقا .. حتى تحفظ دين الله للدنيا .. وحتى يأذن لمن شاء أن أن يجرى الخير على يديه .. فيطبق منهج الله ..

إياكم أن تقولوا « وما لنا بعلم الإسلام ؟ »

لأننا نحن دار إسلام .

ولأن علينا تقع مسئولية تحقيق الإسلام .. وإن لم يكن مطبقا ..

وليطبق كل منا الإسلام فى مجال ولايته ..

وأنا قلت قديما ما يلى :

ـ لو طبق كل منا الإسلام فيما ولايته فيه على نفسه لبحث الحكام عن تطبيق الإسلام .. ولسقط الحاكمون بغير الإسلام عن إصرار وكراهية للإسلام ..

وعندما يرى الحاكم أن الناس تحب منهج الله ويطبقه أفراد المجتمع على أنفسهم ، فلابد أن يتقرب الحاكم إلى شعبه بتطبيق منهج الله ..

إن الحكام فى أى زمان ومكان يبحثون عن رضاء شعوبهم . وإذا طبق كل فرد

من الشعب منهج الله فيما ولايته فيه على نفسه لعلم الحكام أن المحكومين يعشقون منهج الله · ولتقرب الحكام إلى شعوبهم بتطبيق منهج الله ··

إذن ··

فمهمتنا كمصر الوطن وبيت الأزهر ·· أن نسعى ونلح ونجاهد فى أن نطبق الإسلام · وأن نحقق الإسلام كعلم ·

علم يجلى عقيدة الإسلام الصافية ·

ويبين حقيقة القرآن ··

وبأن الله كنز فى القرآن كنوزا ·· تحتاج الى جهد علماء المسلمين ليصلوا بالمسلمين إلى السبق فى اكتشاف أسرار هذه الكنوز ·· وبذلك نجعل عمل اليوم علما ، ونجعل زمن الغد كشفا لكنوز القرآن ·· ويتحقق بذلك أن القرآن ليس من كلام البشر ·· لكنه الكتاب الجامع ·· لأنه تعرض لأشياء لم تخطر ببال البشر أيام أن نزل القرآن على قلوب البشر ··

لذلك ·· فعملنا كمسلمين الآن ،

- أن نجلى الإسلام عقيدة ·
- أن نجلى الإسلام عبادة ·
- أن نكتشف بالعلم كنوز القرآن ··
- أن نجلى الإسلام تعاملا ··

وإذا سأل أحد منا كيف نجلى عقيدة الإسلام ؟

فإننا نجيب ،

ـ العقيدة كما قلنا هى الإيمان ·

والإيمان هو اطمئنان القلب إلى قضية ما ·· بحيث لا تطفو لتناقش من جديد ··

هذا هو معنى الإيمان ··

الله موجود ،

الله قادر ··

الله خالق ··

هذه مسائل عقائدية ·· لا تطفو مرة أخرى لتناقش من جديد ··

لأن هذه المسائل إن طفت إلى العقل لتناقش من جديد فهى ليست إيمانا .. بل هى مشروع إيمان ..

وهناك فرق بين أن تؤمن بأشياء متعقلة أى عن طريق العقل .. وبين أن تؤمن بأشياء متصورة ..

المطلوب دائما أن نتعقل المسائل .. لأن التعقل يعطى الإيمان ..

مثلا .. هذه الأحاديث التى تقرؤها الآن تم تسجيلها للتليفزيون المصرى بمسجد الإمام الحسين ..

وهنا لا يقال أنا أؤمن بأن هذه الأحاديث تم تسجيلها بمسجد الإمام الحسين .. لأن هذا أمر حسى .. وليس أمرا إيمانيا ..

الإيمان يكون بالأمور الغيبية ..

وعندما يستقر هذا الإيمان بالغيب وبقوة الدليل عليه .. فإن الايمان يصبح يقينا ..

لكن هذا اليقين له مراحل ..

مرة يكون علما فقط واسمه علم يقين ..

ومرة يكون عين يقين .. أى انتقل إلى شىء من الحس ..

ومرة يكون حقيقة يقين ..

إذن ..

اليقين الإيمانى ثلاث مراحل ،

علم ..

عين ..

حقيقة ..

ما هى حكاية « العين » و « العلم » و « الحقيقة » ؟

لقد ضربت مثلا لأبنائنا الطلاب بتجربة سفر قمت بها إلى أندونيسيا ..

قلت لتلامذى ..

ـ افترضوا أننى قلت لكم أنى رأيت فاكهة فى أندونيسيا ..

حجمها .. حجم البطيخ ..

ولونها .. لون البرتقال ..
وطعمها طعم الموز ..
ورائحتها .. رائحة التفاح ..
وبما أننى أستاذ لتلاميذى فقد صدقونى ..
هنا يقال أننى نقلت لهم صورة علمية .

أى أصبح عندهم علم يقين ..
ولكن .. بعد أن مرت عدة دقائق خرجت من حجرة الدرس إلى حجرتى وعدت إلى تلاميذى وأنا أحمل نفس الفاكهة التى حدثتهم عنها ..
هنا تنتقل معلوماتهم من دائرة « علم يقين » إلى دائرة « عين يقين » .
وبعد ذلك أحضرت سكينا وقطعت الفاكهة وأعطيت كلا منهم قطعة .. قطعة ..

هنا تنتقل معلوماتهم من دائرة « عين يقين » إلى « حقيقة اليقين » ..
إذن فحقيقة اليقين هى أعلى مستوى فى اليقين ..

ولذلك عندما سأل النبى حذيفة :
ـ كيف أصبحت ؟
قال حذيفة :
ـ أصبحت بالله مؤمنا حقا ..
لكن النبى قال :
ـ « حقا » هذه لا يجازف بها أحد ـ لأن لكل حق حقيقة .. فما حقيقة إيمانك ؟ ..

قال حذيفة :
ـ عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها « أى تساوى الذهب والتراب » وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة ينعمون .. وأهل النار فى النار يعذبون ..

قال محمد :

ـ عرفت فالزم ..

إذن فالحق سبحانه وتعالى حين أراد أن يعطى لنا هذه المراحل اليقينية .. فقد أراد أن يعطيها لنا على مراحل .. فقد قال سبحانه وتعالى :

« ألهاكم التكاثر .. حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون .. كلا لو تعلمون . علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين »

« سورة التكاثر الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ »

لكن فى سورة أخرى يقول لنا حقيقة اليقين :

« فلا أقسم بمواقع النجوم .. وانه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم .. فى كتاب مكنون .. لا يمسه إلا المطهرون .. تنزيل من رب العالمين .. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون . وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون . فلولا إذا بلغت الحلقوم .. وأنتم حينئذ تنظرون .. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين .. ترجعونها إن كنتم صادقين .. فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين .. وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم .. وتصلية جحيم .. إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم » .

« سورة الواقعة من الآية ٧٥ الى الآية ٩٦ »

وقد نسأل ..

لماذا جاء بحق اليقين فى مسألة الكفار به ، ولم يقلها فى مسألة المؤمنين ؟

إن الاجابة هى .

ـ إن المؤمنين أهل الجنة مكتفون من الله بعلم اليقين .. أما الكفار فهم الذين يتشككون إلى أن يأتى لهم حق اليقين فى النار ويصطلوها ...

أسأل الله أن يجعلنا من المقربين إليه المؤمنين به .

وإلى لقاء آخر ان شاء الله ..

بسـم الله الـرحمن الـرحيم

بسم الله .
ولا استعانة إلا به .
والحمد لله .
ولا ثناء إلا عليه .
وصلى الله على محمد وسلم فهو الرحمة الخاتم ..
وبعد ..

فقد وقفنا فى اللقاء السابق إلى أن الله حين شرع أركان الاسلام .. إنما شرعها ليديم ذكر الإنسان للإله الواحد الأحد ..

ويديم ذكره للرسول الذى بلغنا عن الله رسالة الإسلام ..

ويديم الإنسان منا الولاء للرحمن علانية كل يوم خمس مرات ..

ولكن الله لم يلزم الإنسان بترك العمل إلزاما واضحا إلا فى صلاة الجمعة ليؤديها الإنسان مع الآخرين علانية ووضوحا واجتماعا ليرى الانسان فضل وجوده في مجتمع إنسانى متساو .. فقال الله :

« يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»

« سورة الجمعة ـ الآية ٩ »

لأن الله لا يريد استدامة الولاء الفردى فقط .. وإنما يريد استدامة الولاء الجماعى ..

لأن الولاء الفردى قد يعلنه الإنسان بمفرده ..

لكن الولاء الجماعى .. هو إعلان من كل إنسان بالعبودية لله أمام بقية مخلوقات الله ..

وحينئذ ينقطع من البشرية مظهر استعلاء إنسان على إنسان ..
يعلن لنا الله بالأمر أن يؤكد كل منا عبوديته لله .. لا من وراء بعضنا البعض ..
ولكن باجتماعنا معا فى لحظة واحدة هى وقت إقامة الصلاة فى يوم الجمعة ..
لماذا ؟
لأن الضعيف منا فى الجاه أو المال أو النفوذ .. أو فى أى مظهر من مظاهر الحياة الخارجية .. عليه أن يرى القوى منا فى الجاه أو المنصب أو النفوذ .. على الضعيف أن يرى أن القوي عنه في حركة الحياة الخارجية مساو له في سجوده لربه وخاضع مثله لمن له العلا في الأرض والسماء والكون ..

عندئذ يستقر فى ذهن الضعيف أن القوى يساويه ..
عندئذ يستقر فى ذهن القوى أن الآخرين الضعفاء شاهدوه فى موقف العبودية للخالق ..
وهنا يتلاشى مظهر التعالى بين البشر ..
ولذلك
يلزمنا الله أن نعلن العبودية له جماعة كل أسبوع مرة ،

« يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع

« سورة الجمعة الآية ٩ »

لماذا هذا اللقاء الأسبوعى ؟
كأن هذا اللقاء تذكير لكل منا بعظمة الله الحق ..
لأن الانسان عرضة أن يغفل إذا مر عليه أسبوع ..

وهذه الغفلة قد تقود إلى العلو أو الاستكبار من القوى على الضعيف .. فيتخيل القوى أنه أكثر قوة ..
والغفلة قد تكون فى نفسية الإنسان الضعيف المزيد من الضعف ولكن الاحساس الإنسانى بالمساواة أمام القوة الخالقة .. تعكس انحدار الضعيف إلى مزيد من

الضعف وتعكس انزلاق القوى الى وهم أنه أكثر قوة ..

لا ..

صلاة الجمعة .. تذكير بأن كلا منا عبد .. يستوي الناس جميعا في العبودية .

فاذا رأى الضعيف منا رئيسه وقد وقف خاشعا أو مستجديا لله .

ماذا يؤثر فى الضعيف هذا المشهد ؟

إن الضعيف يشاهد من يعتبره القوى فى كل مظهر ، يشاهده لحظة صلاة الجمعة مساويا له .. هنا يشعر الإنسان بالمساواة مع كل البشر ..

ودقة الأداء القرآنى تؤكد كلمة « وذروا البيع » أى اتركوا البيع ..

لماذا ذكر الله وجوب ترك البيع أثناء صلاة الجمعة .. ولماذا لم يأت ذكر الشراء؟.

إن الله علمنا أنه لا يوجد بيع إلا إذا وجد شراء ..

ولماذا إذن اختار الله أحد ركنى الصفقة « البيع » وترك الركن الآخر « الشراء » ؟

لماذا إذن قال الله « ذروا البيع » ؟

إننا جميعا نعرف ونلمس أن البائع يحب أن يبيع ما عنده ..

لكن المشترى موقفه مختلف ..

ان المشترى قد يذهب إلى الشراء وهو كاره ..

لذلك يضرب الله المثل والأمر بضرورة ترك البيع لحظة صلاة الجمعة .. لأن البيع هو أهم ركن فى الصفقة .. ذلك أن البائع يحب عملية البيع والمشترى موقفه يختلف .. إنه يعيش موقفا غير محبب وهو الشراء . بل إن المشترى قد يبحث عن سبب لا يشترى من أجله ..

لكن البائع يبحث دائما عن ربح عاجل ..

لذلك آثر الله فى الصفقة التجارية أن ينهى عن البيع لأنه لا شراء دون بيع ، ولأن أهم أطراف الصفقة هو البيع ..

ولماذا حدد الله التجارة والبيع كنموذج يأمر بالامتناع عنه وقت صلاة الجمعة ووجوب تركه والذهاب إلى الصلاة ؟

إن الله جل جلاله يعلم أن لكل عمل من الأعمال ميلادا زمنيا ..

فعندما نقول للطالب « اترك المذاكرة » .. فالمذاكرة لن تظهر حصيلتها إلا فى آخر العام ..

وعندما نقول للفلاح « اترك الزراعة » فالزراعة لن تظهر حصيلتها الا مع المحصول ..

لكن فى الصفقة التجارية عندما يصدر الأمر بايقافها وقت الصلاة .. فاان ذلك يعنى أن الصفقة التجارية ذات الطبيعة الخاصة التى تظهر فيها النتيجة على الفور والتى يتحدد فيها المكسب لحظة البيع . هذه الصفقة فى العادة محددة النتيجة ذات الطابع الفورى .. فأنت إذا كنت بائعا واشتريت بضاعة بعشرة قروش وبعتها بخمسة عشر قرشا .. فأنت تعرف مكسبك لحظة البيع .. إن الربح عاجل ..

لذلك جاء المنع فى أمتع ما فى التجارة وأهم ما فيها ..

إذن عندما يطلب الله منك أن تترك شيئا ستأتى ثمرته بعد عام .. فهو أولى بأن تتركه لتذهب إلى ذكر الله ..

وهكذا نرى أن ترك البيع والسعى لذكر الله من أجل هدف واضح هو تجديد الولاء الجماعى لله سبحانه وتعالى ..

وهذا ما يجعل كل فرد فى المجتمع يحس بالعدل ..

يحقق فى المجتمع « الاستطراق » أى مساواة أقدار الناس واحترام كل إنسان لنفسه ولمن حوله .. ويلغى التعالى أو الكبر أو استذلال القوى للضعيف أو خنوع الضعيف أمام القوى ..

كلنا متساوون أمام القوة الأعلى .. الحق .. المتعال ..

وأيضا ..

اذا نظرت إلى توجيه الله لنا حين تقرأ فاتحة الكتاب ،

« بسم الله الرحمن الرحيم

● الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين »

« سورة الفاتحة الآيات من ١ الى ٥ »

نرى أن كلا منا يساوى نفسه بالآخرين .. كل منا يعترف نيابة عن نفسه وعن بقية المؤمنين بالعبودية لله والاستعانة به .. ولماذا إذن يدعو كل واحد منا لنفسه ونيابة عن الآخرين ويؤكد وجوده بين المؤمنين ؟ ..

لماذا « يحشر » كل منا نفسه فى العبادة والاستعانة ..

لأن هذا معناه أننى قد لا أطمئن إلى أن عملى مقبول ..

وإذا أوجدنى الله فى جمع بشرى كبير ، فإن هذا الجمع لا يخلو من أن يكون به أحد العابدين أو أحد المستعينين بالله له عمل مقبول .. وإذا دعوت عن نفسى وعن الذى يقبل الله عمله فإن الله يقبلنى ما دمت فى زمرة آخرين يتقبل الله منهم أعمالهم ..

إن الواحد منا قد يقول لنفسه :

« وهل سيقبل الله عملى وأنا كذا .. وأعمالى كذا » .

إن كلا منا يعرف نفسه وعمله أكثر من أى إنسان آخر وكل منا يعرف عيوبه ، لذلك فعندما يحشر الإنسان منا نفسه وسط زمرة المؤمنين فإن الله قد يقبلنا ..

لقد عودنا الناس عندما نشترى منهم ألا نختار الأجود وألا نترك الأسوأ .. إن البائع يقول للواحد منا إما أن نشترى الصفقة كلها أو نتركها كلها .. فإذا كان الله قد وضع هذا الرأى عند البشر .. ألا يمكن أن يطبقه معنا نحن العباد ؟

ان الله وضع هذه الآية « إياك نعبد وإياك نستعين » ليجعل السىء فينا أن يتلمس موضعه مع الأفضل فينا ..

ومن هذا تتعلم أنك عندما ترى واحدا مقبلا على منهج الله .. وأنت غافل عن منهج الله .. فإياك أن تحتقر هذا الانسان أو تقلل من قيمة ما يفعل لأنك ستأتى فى زمن تتمنى الوقوف بجانبه حتى يقبل الله عملك وبفضل صلاته ..

ولذلك فمن الخير أن يوجد أناس منقطعون إلى الله .. بينهم وبين الله ود ، لأن خيرهم سيأتى إليك عندما تقول :

« إياك نعبد وإياك نستعين » .

لهذا فلا يجب أن يكون حظ البشر الذين نراهم منقطعين لعبادة الله هو السخرية

منهم .. أو نلمزهم أو أن نحتقرهم .. لأنك إن فعلت ذلك .. فإنك أنت الذي تضع نفسك في الضيق ..

لماذا ؟ ..

لأنك أنت الذى تقلل من فرص أطواق النجاة أمامك فى هذه الحياة ..

ولذلك فعليك أن تكثر من أطواق النجاة أمامك فى هذه الحياة ..

وذلك يسير عليك وفى استطاعتك ..

إنك عندما ترى أحد العابدين لله فأنا لا أطلب منك أن تكثر من احترامه .. ولكن .

أنا أطلب منك ألا تحتقره أبدا ..

لأن ذلك العابد لله .. قد يقدم لك طوقا من أطواق النجاة حين تشترك معه فى أداء أحد فروض الصلاة .. أو فى أى عمل من الأعمال ..

إنك قد تتفرد بالقيام بعمل ولا يقبله الله منك .. أما إذا دخلت مع هذا العابد لله فى عمل فهو مقبول .. إذن فمن مصلحتك أن تجد أناسا طيبين عابدين لله ..

وهكذا نجد أن الولاء الجماعي يحقق استطراق العبودية والمساواة أمام الخالق .

وهكذا نجد أن الإنسان يجد طوقا من أطواق النجاة .. ملقى إليه من أى عابد لله ..

وقد قلت من قبل وفى أحاديث سابقة أن الانسان مرحوم بالجماهير .. ولنفترض أن مظاهرة قد قامت .. وهتفت أنت هتافا يغضب بعض الناس .. وكررته الجماهير وراءك .. وتأتى السلطة التى يمكن أن تعاقب على هذا الهتاف .. فيقول الانسان « لا .. لست أنا » .. وهكذا يتدارى الفرد فى الجماهير ..

إذن حين يرغم الله الناس أن يذهبوا إليه يوم الجمعة فى جماعات .. فهذا لمصلحة البشر ..

ان الله يخرج كلا منا من ظنونه أو مخاوفه أو تعاليبه أو ضعفه بالوقوف أمامه صفوفا خاشعين ..

لكن ماذا عن الناس التى تكسل عن الصلاة .. لأن الواحد منهم قد يتوهم أن

الصلاة ستأخذ منه بعض الوقت .. وأنه قد يتوهم أنه فى هذا الوقت سوف تتعطل حركته العملية فى الحياة ..

هنا نسأل هذا الانسان ،

ما قيمة الوقت ؟

ما الذى تفعله بالوقت ؟

يجيب هذا الانسان ،

ـ انه وقتى وأتحرك فيه .

وإذا سألنا هذا الانسان ،

ـ إذن .. ما قيمة حركتك فى هذا الوقت ..

ستكون الاجابة ،

ـ حتى تكون لى جدوى فى الحياة ..

ويترجمون جدوى الانسان فى هذا العصر بالنقود غالبا ..

هنا نسأل ..

ـ أليس من الاطمئنان أن يسرع الانسان إلى الانتماء إلى نوعه الانسانى لحظة الصلاة .

إن الإنسان قد يحس القليل من الوقت الذى يضحى به .. وقد يخسر القليل من النقود .. ولكنه يكسب الإحساس بأنه ينتمى إلى عباد الله إلى نوع من بشر يرتقى بالحياة فوق صراعاتها من أجل أن تكون الأعماق بعد ذلك صافية .

وأيضا إذا ما تحرك الإنسان فى الحياة بالعمل وجاء بالمال .. فان الله يريد أن يديم على الإنسان امتحان العبودية له .. فيؤكد للإنسان أن هذا المال الذى تظن أنه قد جاء إليك من حركتك فى العمل .. فإن الله يريد أن يأخذ بعضه لإخوانك الضعاف ولذلك يشرع الله الزكاة ..

إن المؤمن عندما يقرأ القرآن فسوف يجد أن القرآن لا يأمر بالزكاة فقط ..

لا ..

إن القرآن ينص على التأكيد بـ « افعل لقصد الزكاة »

وهناك فرق بين « أد الزكاة » وبين « إفعل واعمل وتحرك فى الحياة بقصد الزكاة »

كيف ؟

تجيب كلمات الله فى سورة المؤمنون :

« قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون »

سورة المؤمنون ـ الآيات من ١ إلى ٤ »

كأن حركتك وعملك فى الحياة .. تلك الحركة وهذا العمل الذى تمتلىء فيه نيتك بالعمل على أن تكسب لتعول نفسك وأسرتك .. فإن الله يضع ضمن مسئولياتك للبشر الذين فى مجتمعك والذين لا يقدر الواحد منهم على العمل .. فتعطيه من فضل الله عليك ..

إذن فأنت لا تفكر فى نفسك فقط حين تقرر أن تعمل .. انما الآخرون أيضا لا بد أن يكونوا موجودين فى بالك حين تعمل وحين تكسب ..

إن عليك أن تحمل مجتمعك فى رأسك وأنت تفعل ..

أى أنك تفعل وتعمل فقط وأفكارك محصورة فى أن تمتع نفسك أنت ومن تعول ..

لا ..

إن الله يقرر أن الضعيف عير القادر على العمل لا بد أن يكون له فى مال من يعمل ويكسب نصيب .

وهكذا يصبح أمر الرحمن لنا :

« والذين هم للزكاة فاعلون »

« سورة المؤمنون الآية ٤ »

ذلك لأن غير المؤمن يفعل ويتحرك فى الحياة لنفسه ويتحرك فى الحياة و بعمل من أجل أهله ..

إذن فما فائدة الدين فى هذه الحياة ؟

إن فائدة الدين تتجلى عندما تتصاعد حركة المسلم بالعمل فى هذه الحياة ·· ويضع من ماله نصيبا لغير القادر على الحركة أو العمل ··

إن الدين يقرر أن الإنسان إن لم يكن متدينا فسوف يعمل من أجل الكسب لنفسه ولأهله ··

ولكن المؤمن يعمل لنفسه ولأهله ولمن لا يقدر على الحركة أو العمل ··

هكذا يصبح الإنسان مسئولا عن مجتمعه ··

فعندما يكون هناك فائض عند الإنسان فإنه ينفق فى سبيل وجه الله ·

فكأن قضية الزكاة من المال تظل فى بؤرة شعور الإنسان المؤمن وهو يعمل ··

وذلك الإحساس عليه أن يصاحب الإنسان المؤمن وهو ينتج ويعمل فى الحياة ··

إنه لا ينتج على قدر استهلاك الفرد والأسرة ولكن الانسان ينتج لمن يحيا معه فى دائرة مجتمعه وفى الكون ··

إن المؤمن مطالب بأن يتذكر ويقول ،

ـ لست وحدى فى ذلك الكون ·· إن الكون فيه أناس كثيرون بعضهم لا يقدر على العمل ·· وقد جعلهم الله صورة ومثلا فى الحياة لا ضنا منه عليهم بالرزق ، ولكن زراعة للذكرى فى نفس الانسان حين يرى وهو قادر على الفعل والعمل ·· يرى غيره غير قادر على الفعل ··

وكلنا من خلق الله ··

وفى لحظة أن يرى المؤمن القادر على العمل ·· المسلم مثله غير القادر على العمل فإن ذلك يدفع فى نفسه « أريحية » ورغبة فى أن يعطى غيره من فائض عطاء الله له ··

إن المؤمن القادر عندما يرى غير القادر يشعر على الفور بمشاعر من لا يقدر على العمل ··

وعندما تمر عليك أيها المسلم هذه المسألة ·· رؤية عدم القادر على العمل ··

فمن المؤكد أنك ستحس بمشاعره وتفترض فى نفسك أنه قد تمر عليك هذه اللحظة ·· وتقول لنفسك « كنت أحب فى مجتمعى أن يتحرك القادر حركتين ··

وأن ينتج ضعفين .. حركة وإنتاجا من أجل نفسه وأن يسع عمله وانتاجه من يعول ومن لا يقدر على العمل » ..

ومن المؤكد أن المؤمن يشعر وهو يعطى الضعيف ان هذا العطاء شكر لله لأنه جعله قادرا ورفع عنه الضعف فى هذه الحياة .. وكلنا نعرف أن للحياة أغيارا ..
ومعنى أغيار الحياة هو عدم ثبات المتحرك فى الحركة فى هذه لحياة .. فنجد إنسانا قويا قد أصبح ضعيفا .. وكذلك أنا .. من الممكن أن أكون قويا اليوم وأصبح ضعيفا فى الغد ..
وما دمت قويا اليوم وقد أصبح فى الغد ضعيفا .. فمن مصلحتى أن أساعد بحركتى الضعيف .. حتى يمكن للقوى عنى فيما بعد أن يعين فترة ضعفى ..
لذلك جعل الله الأيام دولا ..
لم يخلق قادرين على طول الخط .
لم يخلق عاجزين على طول الخط .
بل جعل من قضية القدرة والعجز .. قضية مستطرقة فى الخلق جميعا .. حتى يظل الإنسان وهو القادر .. سيعانى يوما من العجز .. وحين يستشعر أنه سيعجز فيكون من مصلحته أن يتحرك القادر ويعمل وينتج حركة وانتاجا وعملا يتسع لأهله وللضعفاء من أبناء مجتمعه .
وإلى لقاء آخر تستكمل فيه حكمة الزكاة .. وحكمة إحساس المؤمن القوى بإحساس المؤمن الضعيف ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله استعانة وبركة

والحمد لله ثناء واستزادة ..
وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا الرحمة الخاتم :
وبعد ..

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى أن الحق تبارك وتعالى شرع أركان الإسلام استدامة لإعلان الولاء لله الذى آمن به المؤمنون .
وذلك حتى يخرج الإنسان من غفلته ونسيانه ..
وأن لا تشغله نعمة الوجود عن مسئولياته فى الوجود .
وقلنا فى الصلاة ما قلنا ..
إنها تضحية ببعض الوقت من حركة الحياة حتى يبارك الله سبحانه وتعالى فى بقية وقت الحياة .. بركة تعوض ما فات من قصور الوقت .
وقلنا :
ـ إن الحق سبحانه ونعالى أراد عمومية إعلان الولاء من كل انسان أمام الآخرين فشرع صلاة الجمعة ..
ولو أننا تنبهنا إلى قول الحق .

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ..

« سورة الجمعة ـ الآية ١٠ »

لو تنبهنا إلى هذا القول لعلمنا أن وقت الإنسان يجب أن يكون مقسما بين أمرين :
الأمر الأول : أن ينشغل الانسان بمن أنعم عليه بالحياة وبكل شىء فيها ..
ليأخذ الإنسان من خالقه شحنة الطاقة التى تدفعه إلى الحركة والعمل والحصول على النعمة ..

الأمر الثانى ، أن ينشغل الإنسان باتقان حركته وعمله ليحصل على النعمة بجهد وعمل .

لهذا يمكننا أن نرى الأمر الأول مركزا فى الآية التى تقول ،

« يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

« سورة الجمعة ـ الآية ٩ »

ويمكننا أن نرى الأمر الثانى مركزا فى الآية التى تليها وتقول ،

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

« سورة الجمعة ـ الآية ١٠ »

وكل من الأمرين صادر ممن له حق الأمر فى خلقه وهو الله الذى خلق الكون .. وإذا طبقنا الأمر الأول وهو « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » فإن علينا أن نطبق الأمر الثانى وهو السعى فى الأرض بالحركة والعمل .

وإن لم نطبق الأمر الثانى وهو « التحرك فى الأرض والعمل » فإننا بذلك نخالف جزءا مهما فى تكليف الرحمن لنا ..

فالضرب فى الأرض والسعى إلى العمل هو الهدف الأساسى لخلافة الانسان فى الأرض ..

فإن لم يضرب الناس فى الأرض بالحركة والعمل .. واقتصروا على ما تخرجه الأرض من خيراتها .. فإنهم بذلك يكونون قد قصروا فى منهج الله سبحانه وتعالى ..

وما دام الضرب فى الأرض للحركة والعمل .. فإن الله يحب أن يربط هذه الحركة وهذا العمل بما يهم الانسان أولا .. وهو رزق نفسه فيقول سبحانه وتعالى ،

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »

« سورة الملك ـ الآية ١٥ »

أى أن الله سخر الأرض فى خدمة عمل الإنسان لينتج لنفسه من الأرض الرزق ..
وقول الله « امشوا » هو أمر بالحركة والعمل .
وقول الله « فى مناكبها » أى فى دروبها التى قد تمتلىء بالمشقة والتعب ، وهذا يعنى أن كل حركة وعمل فى الحياة قد يكون فيها حركة ومشقة ..

ولذلك يجب على الذين يعملون أى عمل ألا ينظروا إلى أجر العمل وحده .. ولكن عليهم أن يتقنوا العمل الذى يقومون به حتى يكون رزقهم عن هذا العمل حلالا ..
إن الكثير من الناس العاملين يقسمون حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصفين .. رغم أن كل نصف فى الحديث يكمل النصف الآخر ..
إن الكثير من الناس العاملين يأخذون قول الرسول صلى الله عليه وسلم « أعطوا الأجير أجره » ويغفلون إكمال الحديث وهو « قبل أن يجف عرقه »
معنى ذلك أن العمل يجب أن يتقنه الإنسان .. وأن يكون العمل قد أعرق من قام به .. ذلك أن قيام الإنسان بعمل صورى أو شكلى يدفع صاحبه إلى الهموم ..
وأى عمل لا يعطى الانسان العرق والمجهود لا يجعل أجر الانسان حلالا .
وكل فساد الدنيا من شكلية العمل دون العرق فى العمل .. هذا هو فساد الدنيا كلها .. « شكلية العمل » ..

إن الإنسان الذى يقوم بعمله دون اتقان مقصود وبكل مقصود ، . ويدعى الشكلية فى العمل ومظهريته ليخلى نفسه من مسئولية المسيطر عليه ـ رئيسه فى العمل ـ هذا الاجراء لا يحلل للإنسان أجره ..
لأن المسيطر على الانسان ليس هو الإنسان ذو البصر المحدود والرقابة المحدودة ..

إن المسيطر على الإنسان هو القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ..
ولهذا فعلى الإنسان منا أن يعرف أن رقابة الإنسان المماثل لك لا يجب أن ندفعه إلى ادعاء الانهماك أو محاولة إجراء العمل بصورة شكلية .. لأن رقابةالحى الذى لا ينام هى الباقية .

إن كل فساد فى الحياة الآن ، وكل مشقة نشقاها الآن وكل مظاهر المتاعب الآن من أهم أسبابها أن الناس يذكرون أجر العامل ولا يذكرون عرق العامل ..

وإن أردنا أن تستقيم لنا أمور الحياة فلابد أن نذكر أن أجر العامل يجب أن يتساوى مع تعبه ، وقد قلت لكم من قبل أن الذى يخدع .. لا يخدع سوى نفسه .. لأن الإنسان لو كان يحيا تحت رقابة من يساويه لهان الأمر أن تستغفله .

أما أن تكون تحت رقابة حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ..

فاعلم أن كل حركة لك محصية عليك .

واعلم أن حسابك لن يتأخر إلى الآخرة ..

انك لابد أن تلقى حسابك فى الدنيا .. وذلك حتى يعصم الله فساد حركة الحياة من الذين لا يؤمنون بالآخرة .

إذن فالحركة فى الحياة .. والعمل فى الحياة والمشى والضرب فى مناكب الأرض يجب أن نلحظ فيه الاتقان .

وليتذكر كل منا أنه قادر وليس عاجزا .

فلماذا لا نستخدم ما أنعم الله به علينا من قدرات فى إتقان أعمالنا .

ولماذا نركن إلى « الشكلية » فى العمل دون إتقانه .

لماذا نجعل قدراتنا عاجزة رغم قدرتنا على أن نستخدم هذه القدرات بشكل ينتج لنا ولغيرنا ؟

إنك اليوم قادر وقد تصبح عاجزا فى الغد .

ولعل العجز الموجود فى بعض سمات الأفراد .. لعله درس بليغ من السماء لنا .

نجد العجز الشاذ فى خلق الله هو القلة .. نجد بلدا تعدادها عشرة آلاف .. فإذا ما صنعنا إحصاء للشذاذ فى هذا البلد ..

نجد أن « المجانين » عددهم « كذا » ..

والعرج عددهم « كذا » .. .

وفاقدى البصر عددهم « كذا » .

ونجد أن مجموع هؤلاء العجزة أقلية بالنسبة لتعداد البلد نفسه .

وكأن الله قد قدر هذه الأقلية وجعلها بنسبة بسيطة ليلفت الناس إلى نعمة القدرة ٠

وكأن الله يريد بهؤلاء العجزة ان يثير انتباه الغافلين عن نعمة عليهم بالقدرة وعدم العجز ..

إنك لا تشعر بنعمة عينيك إلا عندما ترى فاقدا للبصر يتعثر .. حينئذ تفيق إلى نفسك ..

انك لا تذكر قوتك وقدرتك على السعى إلا إذا رأيت أعرج ..

إنك لا تتذكر قدرتك على الحركة وخضوع جوارحك لإرادتك إلا حين ترى إنسانا لا تستطيع جوارحه أن تنفعل لإرادته .. يحاول أن يتحرك فلا يتحرك لأن عصب الحس قد انتهى .. فانتهت منه كل قدرة على الحركة ..

إذن فهؤلاء العجزة جعلهم الله وسائل إيضاح ليذكر خلقه بالنعم التى أنعم عليهم بها ٠

ولذلك كانوا قلة ..

لكن لمَاذا اختار الله هؤلاء ليكون فيهم المثل ؟ ..

ما ذنب هذا ليكون أعمى .. ؟

وما ذنب ذلك ليكون أعرج ؟..

إنك أيضا عندما تنظر إلى السطح فقط فأنت لا ترى إلا ما أخذه الله منه .. لكنك تغفل عما أعطاه الله له نظير ذلك ٠

فلو أنك نظرت إلى مسلوب ظاهرة من ظواهر القدرة وأخضعت للتحليل الدقيق كل نعم الله عليه لوجدت أن الله قد أعطاه نعمة قد تعوضه المفقود منه ٠ ولنتأمل قول الشاعر :

عميت جنينا والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاب ضياء العين للقلب رائدا
لعلم إذا ما ضيع الناس حصلا

إننا نعرف عباقرة ينشئهم الرحمن حتى من منطقة عجزهم ..

وهؤلاء الذين يأخذون صورا من صور العجز فى أجهزة الحياة .. هؤلاء قد يكونون مصدر القوة فى أشياء أخرى ..

لأن الإنسان إذا ما رأى نفسه قد فقد شيئا دون بقية البشر .. فانه يحاول جاهدا أن يجد فى نفسه موهبة أو ملكة ينميها حتى يعوض النقص الذى فات منه ..

وكثير من العباقرة كانوا أصحاب نقص فى بعض أجزاء أو أجهزة البدن .

إذن ..

فالحق سبحانه وتعالى حين سلب شيئا أعطى شيئا آخر . ولأن الله لم يتخذ ولدا .. لذلك فجميع الخلق بالنسبة إليه سواء .. يعطيهم بمجموع متساو وإن اختلفت الدرجة من مجال إلى آخر ..

ولذلك فقد وضع الإنسان نظرية قديمة .. تقول أن الإنسان اللبق .. الدقيق فى حساب قدرات الإنسان .. لو عاد إلى الاحصاء وصنع للإنسان عدة زوايا وأعطى كل زاوية درجة من الدرجات .. لوجد فى النهاية أن مجموع الدرجات متساو

فلو حسبنا للصحة درجة ..

وللسعادة درجة

وللذكاء درجة

ولنجاح الأبناء درجة ..

ولا تساع الرزق درجة .

وجمعنا كل هذه الدرجات لوجدنا مجموع كل إنسان يساوى مجموع أى انسان ..

ولكن التفاضل عند الله يكون بالتقوى ..

لكن الناس عندما ينظرون مميزات الآخرين .. فإن عيون الانسان تنظر إلى ما يميز إنسانا آخر ويغفل عن مميزاته الخاصة ..

فإذا رأيت نفسك نظيفا فى الهندام ورأيت انسانا آخر غير ذلك .. وإذا كنت عاقلا عقلا إيجائيا لكان يجب أن تلتفت وتسأل .

« ترى ما هى الميزة التى يتميز بها هذا الذى دونى فى الزى ودونى فى الهندام حتى يعوض ما أنا فيه من حسن زى وهندام ؟ » لأنك لا يجب أن تحتقر إنسانا

لأنه ناقص فى هذه .. ولكن عليك أن تعرف ما أنت ناقص فيه فيما يقابل الزائد فيك .. ولذلك يقول الحق :

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم »

« سورة الحجرات الآية ١١ »

لماذا ينهانا الله عن السخرية ؟
لأن الانسان قد ينظر إلى السطح وإلى ما أعطاه الله لك ؟
وعلى الانسان أن ينظر إلى الأعماق وتبصر ما أعطاه الله للآخرين من قدرات قد تجعل الواحد منهم أفضل .
ولأن كلا منا قد أخذ من العطايا بميزان .
وقد سئلت مرة ..
ـ وما دام الأمر كذلك .. فماذا أخذ المجنون من ميزة فى هذه الدنيا ..

وكأن السائل يريد أن يقول أن المجنون إنسان والانسان مكرم بعقله فماذا إذن أخذ المجنون من حظ الحياة ؟
وقلت :
ـ ماذا يريد العقلاء الأذكياء من كل أجهزة أجسامهم . الإنسان يريد أن تكون له الكلمة . فإذا قال قولا لا يرده أحد ولا يلومه أحد .. وهذا حظ المجنون فى الحياة يضرب المجنون عاقلا .. فيضحك له العاقل ولا يسأله عن فعله ولا يسأله الله يوم القيامة عن فعله .

وليس هناك إنسان أخذ هذا الحظ من الدنيا الا المجنون ..
وهكذا نرى الغاية التى يسعى اليها الانسان يأخذها المجنون !!
ولذلك نجد العجب .. بينما نسمى واحدا مجنونا لأنه فى حركة الحياة لا ينتج ولا يتسق مع المجتمع .. فإذا بالله يجعله فى لحظة من لحظات حياته قويا بقوة عقل عاقل فى كل حياته ..
كيف ؟

الانسان منا قد يعرف الحقائق .. لكن عقله يستر عن النطق بها ..
أما المجنون فيقول كلمة الحق ولا يبالى .
ولقد تمت تسمية العقل عقلا لأنه يعقل الانسان ويقيده فلا ينطق بأشياء .
لكن المجنون يقول الحقائق ولا يبالى .

قد يمشى المجنون فى مجتمع مقهور بسلطان ظالم فيهتف بسقوط الظلم والشرطة تضحك له والدنيا تضحك له ..
إذن هو فى لحظة من لحظات جنونه قد أخذ ما لم يستطع عاقل أن يأخذه فى كل لحظات عقله ..
إذن فالحق سبحانه وتعالى حين يوزع رزقه فى جميع جهات الحياة على خلقه .. فهو يفعل ذلك بالتساوى .. لكن الله لا يريد أن يكون كل انسان هو تكرار لإنسان آخر .. فلا يحتاج أحد منا للآخر ..
لا ...

إن الله يريد أن يربط الوجود بعضه ببعض ربطا نفعيا .. فيكون كل انسان مضطرا ومحتاجا لأخيه الانسان ولا يتحقق ذلك إلا إذا اختلفنا فى مواهب الحياة.
الذين يأخذ الله منهم هذه المزايا ويعطيهم بعض مظاهر العجز لو فطنوا الى ذلك لاحترموا قدر الله فيهم لأن الأعمى قد يعطيه الله بصيرة تفوق بصيرة المبصر .

لكن الأعمى قد يحاول بينه وبين نفسه أن يقلد المبصرين ..
والقصير قد يحاول أن يصنع لنفسه حذاء له كعب كبير ويصبح مثيرا للسخرية لأنه لم يحترم قدر الله فيه .
ورحم الله من قال فى ريفنا هذا المثل القديم « من يعطى العمى حقه .. فهو مبصر » ..
وإلى لقاء آخر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله

أحمدك ربى وأستعينك وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ٠

وبعد ..

قلنا ان استدامة اعلان الولاء لله الذى نؤمن به .. تتركز في أركان الاسلام أولا ..
وأول هذه الأركان الشهادة بأن لا اله الا هو .. وأن محمدا عبده ورسوله ٠
ثم اقامة الصلاة التى تأخذ بعضا من الوقت ٠
ثم تأدية الزكاة التى تأخذ بعض ثمرة العمل ٠
وكان ذلك تأمينا للحياة للأقوياء وللضعفاء معا ٠
فان تصلى .. فانك تخشع وأنت قوى أمام الحق الكامل وهو الله وأن تصلى وأنت ضعيف .. فانك تقف بجانب القوى .. كلاكما خاشع ومتساو أمام الحق الكامل والقوى العادل ٠
ان في ذلك تأمينا لك بأن قوتك لها حدود ولها خالق اذا كنت قويا .. وفي ذلك تأمين لك بأن ضعفك لا يتركك فيه الرحمن الرحيم .. وهو خالقك ٠
وكذلك الزكاة .. تؤمن حياة القوى بأن تعرفه أنه يحيا في مجتمع اسلامى يعطي القوى فيه الفقير بعض الحق .. فان انقلب الغنى فقيرا .. كان له من قوة وعمل الأغنياء حقا ٠

وقلنا إن الانسان المؤمن يجب أن يتحرك في الحياة حركة تتسع لحاجة نفسه ولحاجة من يعول ٠

وأن الانسان المؤمن يجب ألا يهمل حاجة الانسان الضعيف ..
لأن الضعيف مخلوق لمهمة تقوية الحياة .. فيجب ألا يضيع هذا الضعيف ٠
لقد جعل الحق سبحانه وتعالى مظاهر التغيير في القوة والضعف حتى يجعل النفس البشرية تلتفت إلى أن الغنى الذى تأخذ الزكاة بعض ماله لا بد وأن يقدر انه قد يأخذ يوما ما زكاة ممن سواه ٠

والآفة أن ينظر الانسان في التكليف بالزكاة إلى ما أخذ منه أو ما فرضه الله عليه .. ولا ينظر إلى ما أعطاه الله له .

وعدالة الحكم تقتضى إن ننظر إلى الأمرين معا .

أن تنظر إلى ما يؤخذ منك حينما تكون قادرا ..

وأن تنظر إلى ما يعطى لك حينما تكون عاجزا ..

وهذه الحركة في الحياة يسميهما الله زكاء .

يسميها الله نماء .

يسميها الله طهرا ..

وانظروا إلى تسميات الحق تبارك وتعالى للأشياء .. وقارنوا بينها وبين تسميات الذين يتجاهلون قوانين الله .

إن الحق تبارك وتعالى يسمى ما يؤخذ منك في قوتك زكاة وقد تبدو التسمية متناقضة لمحدودى الأفق أو من الشكل الظاهرى .. ويسمى الله « الربا » أى الفائدة المالية التى يفرضها المرابى على من يقترض منه .. « الربا » المفترض فيه أن يزيد به رأس المال .. هذا الـ « الربا » يسميه الله « محقا » .

من النظرة المتسرعة تبدو مقاييس الحق غير مقاييس الخلق ..

المرابى يقرض مائة ليستردها مائة وعشرة .. وهذا في مقياس المرابى نماء .

ولكنه عند الله « محق » .

والزكاة قد تأخذ بعض المال .. المائة عند المزكى تصير سبعة وتسعين ونصفاً ..

هذا نقص واضح .

لكن الله يسمى ذلك نماء .

إن النظرة العميقة لمنهج الله نجدها ترشد وترتفع وترتقى بفهم الناس إلى حقائق الأشياء .

لأن الغاية بالربا تصير إلى محق ..

والغاية بالزكاة تصير إلى نماء وإلى طهر .

ولنشرح ذلك وسنجد أنها مسألة غاية في البساطة .

الزكاة تتطلب عناصر هى ..

١ ـ رجل يملك مالا هو المزكى ·
٢ ـ مال يزكى عنه ·
٣ ـ انسان يتقبل الزكاة لأنه ضعيف ··

إن صاحب المال المزكى قد تدخل عليه الغفلة في بعض مكاسبه ·· فيأخذ شيئا قد تكون فيه شبهة الحرام ·· فيأتى الله بالزكاة لينقص المال ويطهر صاحبه من تلك الغفلة ·

أما الانسان الذى أصابه الضعف في حركته فانه عندما يجد أن الزكاة تأتيه ·· فهو يعرف أن مسئوليته عند المسلمين كاملة ·

ولكن لماذا يأتى النماء من الزكاة ؟

ما الذى تنميه الزكاة عند المزكى ؟

نقول ··

وهل تعتقد أن النماء في الأشياء هو الزيادة فيها فقط ؟

إن ذلك من غفلة الناس في تقدير الأرزاق ·

الناس دائما ينظرون إلى رزق الإيجاب أى الرزق الذى يزيد النقود ··

لكن الناس لا ينظرون إلى رزق السلب ·

وقد يسأل انسان « وما معنى رزق السلب ؟ »

لنشرح ذلك ·

لنفترض أن واحدا دخله مائة جنيه ·· ولكن الله يفتح عليه أبوابا تحتاج إلى مائة وخمسين جنيها ·· هذا الرجل لا تكفيه المائة جنيه · لكن ·· هناك رجلا آخر رزقه الله مائة جنيه ·· ومنع الله عنه أشياء وأحداثا تسلب منه خمسين جنيها ·

لو قارنا حالة الرجل الأول وحالة الرجل الثانى ·· نجد أن الرجل الأول يعيش في كدر وهم ·· ونجد أن الثانى قد فاز بالطمأنينة وراحة البال ·

إذن فهناك رزق اسمه « رزق الايجاب » وهو الزيادة في الدخل ··

وهناك « رزق السلب » وهو التقليل من أبواب تأخذ المال وتلتهمه ·

ولنرى ماذا يعنى التقليل من المصرف ·

مثلا يدخل الرجل بيته فتقول له زوجته « ابنك حرارته مرتفعة » ويستقبل

الرجل هذا الخبر باطمئنان . وهذا الاطمئنان مصدره الله .. لأن رزق هذا الرجل قادم من حلال .. ويستدعى الطبيب فيؤكد قول الرجل وتمر الأزمة بسلام .

أما رجل آخر .. فيدخل على زوجته فتقول له زوجته « ابنك حرارته مرتفعة ».. ولكن رُزق هذا الرجل قادم من مهاوش ومن تظاهر بالعمل وليس باتقان العمل .. فعندما يتلقي الخبر يزداد قلقه .. هل الابن مصاب بتيفود أو غدة نكفية أو شلل أطفال .. ويدور وراء الأطباء فيحتارون معه ويظل يجرى تحاليل طبية .. وأدوية وخلاف ذلك من أدوات العلاج .

لو حسب هذا الرجل كم كسب من مهاوش ومن عدم اتقان عمله .. وكم صرف على ابنه .. لوجد أن الذى صرفه أكبر بكثير مما كسبه من مال ليس فيه الحلال ..

لماذا ؟

لأن الله يراقبنا جميعا .. ولنرى عظمة الله فيقول :

« قل لخلقى ناموا ملء جفونكم لأنى لا انام » .

« حديث قدسى »

هو الحي القيوم الذي لا ينام ولا يستطيع أحد أن يستغفل أحدا أو يضحك علي أحد ، لأن الله لا يستطيع أحد أن يخدعه والذي يخدع لا يخدع إلا نفسه .

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون »

« سورة البقرة الآية ٩ »

إن من يظن أنه قادر على خداع الله فهو واهم . إن الله مطلع على خفايا الصدور . والذى يخدع .. لا يخدع سوى نفسه لأن ضرر عمله لاحق به .

وفي توضيح آخر بالقرآن الكريم .. يقول الحق تبارك وتعالى :

« قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »

« سورة الكهف ــ الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ »

إن من يظن أنه قد أوتى من الذكاء ما يخدع به الناس ويأخذ قروشهم ويضحك

على هذا وذاك .. ويخدع فلانا وعلانا ويذهب إلى عمله فلا يتقنه ويطالب بأجره دون عمل ، أو حتى لا يذهب إلى عمله انما يوقع على الحضور والانصراف دون أن يذهب إلى عمله .. ان من يظن نفسه كذلك هو الخاسر .. لأنه يكفر دون أن يدرى بأن له ربا رقيبا عليه لأن الرقابة ليست في استعمال الذكاء ضد الآخرين .. وليست في الاستيلاء على مال الناس وليست في دفتر التوقيع دون إتقان العمل .

لأن الرقابة لو كانت كذلك لفسد أمر الحياة من البداية .

ان الرقابة هى رقابة الله .

ورزق السلب أحد وسائل الرحمن .. وهو مهم في الحياة .. لذلك نجد أناسا كثيرين يعيشون في أمن واستقامة ، ويربون أولادهم جيدا ويعيشون جيدا .

ويتعجب الناس سائلين ..

كيف يعيش هؤلاء ؟

انهم يعيشون من بركة الله في رزق الايجاب ولو قليلا ويعيشون من بركة الله في رزق السلب أى لا يأتى إليهم بما هو فوق طاقاتهم .

وهناك بنود أخرى عند الله .

إذن فعندما تأتى الزكاة لتصبح نماء .. فإنها تمنع عنك كوارث قد تسرق معظم المال .. وبهذا يزيد المال .. لأن من عنده مائة .. ويدفع عنها الزكاة لتنقص وتصبح سبعة وتسعين ونصفا .. فمعنى هذا أن الله منع عنك مصرفا أو كارثة تأخذ من أصل المال نصفه .

فكأن الله وهب للانسان مائة وخمسين .. لا ينقصون سوى مبلغ الزكاة .

هنا نتساءل هل زاد عطاء الرحمن أم لا ؟

هذا هو النماء .

هذا من ناحية المزكى ..

أما كيف نراها من ناحية المزكى عليه ؟

كيف تكون الزكاة تطهيرا و نماء ؟

ان الزكاة تطهير للمزكى عليه لأنه ضعيف ينظر إلى الأقوى منه .. وقد تتحرك في نفسه قوى الغيرة والحقد والكراهية والغل .

لكنه حين يرى انسانا أنعم الله عليه .. ثم يمد هذا الغنى يده ببعض نعمة الله إلى المزكى عليه .. هنا يقول المزكى عليه « إن نعمة الله على الغنى قد نفعتنى »..

إذن فلا مجال للغل أو الحقد في نفس المزكى عليه .. وفي هذا تطهير لنفس الضعيف .

ان الزكاة تعطى للضعيف مالا تعطيه حركته في الحياة .

وأيضا تدل الضعيف على حقيقة قد تكون خافية عليه .. وهى أنه يحيا في مجتمع متكامل مؤمن . وأنه لا يستقبل أحداث الحياة وحده . وهو ليس غريبا عن مجتمعه . فإذا داهمته كارثة فإخوانه المؤمنون جميعا من حوله . اذن فهو لا يبالى بأحداث الحياة .. مادام هناك أناس تربطهم به أخوة ايمانية . والخير عند المؤمنين يمتد إلى الضعفاء منهم .

وهذا هو النماء لانسانية الضعيف .. نماء يجعله يشعر بالقوة وبالكرامة .

اما إذا انقبض الناس عن الضعيف وداهمته مشاكل الحياة وهو أعزل .. فإن ذلك يؤكد غربته في المجتمع ويثقل الضعف من مظهر العجز عن الحركة في المجتمع إلى عجز الروح عن مواجهة الأزمات .. فهذا هلاك له وهلاك لآماله في الحياة . وتربية للحقد في نفسه وللغل في روحه وللحسد في نظرته .

لكن عندما يجد الضعيف نفسه وسط مجتمع مؤمن متكافل ، فان الضعيف يذوق حلاوة عطاء المزكى لينقذه من الضعف ويرى ذلك العمل جميلا .. وقد تثير فيه

هذه المسألة أن يسعى بالعمل فى الحياة ليزكى هو أيضا عن عمله ..

إذن فالزكاة شرعها الله تطهيرا ونماء .

وإن بدت الزكاة في ظاهرها انها نقص .. إلا أنها ليست كذلك .. انها نقص بقول ومنطق محدودى الأفق من البشر لكنها بمنطق الله ومقاييسه هى فوق ذلك كله .

فاذا تحرك الانسان وعمل في الحياة وفي مخيلته أنه يعمل ويسعى نفسه وللضعفاء من حوله .. هذا الاحساس يجعله مستريحا إن واجهه الضعف يوما في متغيرات الحياة . سيجد أناسا تتحرك وتعمل لنفسها وله أيضا .

وذلك هو التأمين على الحياة ·

وفي ذلك يحس الانسان أنه لا يوجد حد ما يخيفه من حياته · إن الحق سبحانه وتعالى حينما شرع المنهج الايمانى ·· ضمن للناس مقدمات حياتهم في ضوء ما قاله الله :

« إياكم ان تنشغلوا بالرزق انشغال تعب القلوب · »

« حديث قدسى »

وهكذا نرى أن هناك فرقا بين أن يتعب بدنك وبين أن يتعب قلبك ·

إن الذى ينهى عنه الله في أمر الرزق هو تعب القلب · لأن الرزق أما مطمور في الأرض ·· فإن كنت قويا فسوف تذهب إليه لتجده ·· وإن كنت ضعيفا فسيذهب إليه المؤمن القوى ويجده ويزكى منه على الضعيف ·

إذن منهج الله يضمن هذه المسألة · ومادام منهج الله يضمن هذه المسألة ·· هنا يجب الا تنشغل والا تتعب تعب قلب ولكن يمكنك أن تتعب بجوارحك ·

وهناك بشر لا تستطيع التفريق بين تعب الجوارح وبين تعب القلوب ·

ونحن نقول لهم

ـ إذا سمعت حديثا أو كلاما أو حكمة تنهاك عن التعب من آجل الرزق ·· فقل لنفسك إن المقصود به أن تبتعد عن تعب القلب ولا تشغل نفسك بالأوهام أو القلق ·· ولكن ليس معنى ذلك أن تركن إلى الكسل وانما عليك أن تكدح بعملك وجوارحك فحواسك وتركيزك في اتقان عملك وبحثك الدائم عن اتقان هذا العمل ·· كل هذه هى جوارحك التى يجب أن تتعب فيها وبها من أجل الرزق ··

إن الجوارح تعمل والقلوب تتوكل ··

تلك هى مسألة المؤمن ·

أما أن يقول واحد توكل فقط ولا تعمل ·· فهذا القول يجب أن نرفضه ·

قد يرفع أحدهم حجة في وجوهنا ليقول ،

« لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطيور ·· تغدو خماصا وتروح بطانا » ·

« حديث شريف »

تقول إن الطيور تغدو وتروح .. هذا عمل الطيور .. والعمل واجب لكل انسان .
وقد يأتى إليك بعض محترفى التقوى واليقين ويكسل عن عمله ويقول انه متوكل على الله .

هنا نقول له ، سنجربك في مسألة بسيطة في حكاية التوكل هذه .

سنأتى لك بمائدة شهية. ونضع لك الأكل على المائدة . وعليك « بفهلوة » التوكل الا تمد يدك وأن تجعل اللقمة تقفز من الطبق الى فمك .

لا أحد يستطيع ذلك ..

هنا نقول

- لماذا لم تتوكل هنا ؟

هذا النوع هو « كذاب التوكل »

لأن الصدق في التوكل يعنى « أن يتعب بدنك ويرتاح قلبك » .

لذلك فالله جل وعلا يطمئن المؤمنين الذين يصيبهم القلق والخوف من بطش ذوى السلطان .. فى مسألة الرزق فقال ،

« فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

« سورة قريش الآيتان ٣ ، ٤ »

فهاتان المسألتان هما سبب أرهاق الناس كلها .. لذلك يقول لنا الرحمن .. اتركوا هاتين المسألتين لى لأنى أضمنهما للمؤمن وعلى المؤمن ان يتقن عمله فيما دون ذلك .
ولذلك فالحديث القدسى الذى نزل من رب العزة جاء ليعدل ميزان المجتمع يقول الله فيه ،

« لا تخافن من ذى سلطان .. مادام سلطانى باقيا .. وسلطانى لا ينفد أبدا . يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق فخزائنى ملآنة .. وخزائنى لا تنفد أبدا .. يا ابن آدم لا تطلب غيرى وأنا لك فإن طلبتنى .. وجدتنى .. وإن فتنى .. فُتك وفاتك الخير كله .. يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب وضمنت لك رزقك فلا تتعب »

« حديث قدسى »

وقد يظن البعض أن العبادة هى اقامة فرائض الدين .. كالصلاة والزكاة والحج .. لكن فرائض الدين لا تتضمن ايمان الدين فقط .. لكن يضاف إليها العمل .. لأن العمل عبادة للهلأنه استخلفنا في الأرض .

المالك فعلينا أن نتقن العمل ولا نحمل هموم الرزق .

وقديما قالوا :

« ليس بحمل ما أطاق الظهر ».

« ما الحمل ما وعاه الصدر »

أى ان ما تستطيع أن تحمله فوق ظهرك .. فليس بحمل لأنك قادر عليه . لكن الهم في الصدر أكثر عذابا من أى شىء ثقيل

ومازلت أذكر لأحمد شوقى أمير الشعراء اثناء تكريم مصر لسيد نصير بطل حمل الأثقال فى العالم .

قال أحمد شوقى :

شرف النصير ارفع جبينك عاليا
وتلق من أوطانك الاكليلا ..
قل لى نصير وأنت بر صادق
أحملت انسانا عليك ثقيلا ..
أحملت دينا فى حياتك مرة
أحملت يوما فى الضلوع غليلا ..
أحملت طغيان اللئيم إذا اغتنى ..
أو نال من جاه الحياة قليلا ..
أحملت ظلما من قريب غادر
أو كاشح بالأمس كان خليلا ..
أحملت مناً في النهار مكررا ..
والليل من مسد إليك جميلا ..

أحملت في التاج الغبى إذا التقى
من مادحيه الحمد والتبجيلا ..
هذى الـــحـــياة وهذه أثـــقالـــها .
وزن الـــحديد بـــها فـــعاد ضـــئـــيلا

يشرح شوقى ألوان الهموم في الحياة أن يكون واحد غبيا لكن حوله من يمجده ويبجله .. أولا يعرف الكلام فيقال عنه تصيح العرب .. أو بخيل فيقولون له أنت أكرم من حاتم الطائى .. أو أن يقدم لك أحد الناس جميلا فيظل يمن به عليك طوال الوقت .

تلك هى هموم الحياة التى يتضاءل أمامها وزن الحديد .
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب في مطلوبات الله
وأن يكفينا شر الغفلة عما يطلبه .
وإلى لقاء قادم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي واستعينك ·
وأصلي وأسلم علي خير خلقك سيدنا محمد ·
وبعد ··
فقد انتهينا فى اللقاء السابق الى أن الله طلب من عباده أن يتحركوا فى الحياة حركة تنتج لهم ما يسع حاجاتهم أولا ·· وتتسع أيضا لمن تكون مسئوليته ملقاة على عاتق العباد ·· كالأبناء ·· والضعفاء ·

ويميز طلب الله جل وعلا ·· من عبده المؤمن أن يعمل عملا يتسع للضعيف الذي لا يقدر علي الحركة · وقلنا ان الفارق بين المؤمن بالله والكافر به ·· هو هذا المعني ··

لأن الكافر يستوي مع المؤمن في أنه يتحرك في الحياة لحاجة نفسه ولمن يعولهم ··
لكن المؤمن يتلقي تكليفا بأن يتحرك تحركا آخر ·
ان علي المؤمن أن تسع حركته الضعيف العاجز من خلق الله .
وليس هذا الضعيف العاجز من المواهب · ليس هذا الضعيف عالة علي المجتمع كما يفهم الناس ·

ان الله خلق هذا الضعيف العاجز ليري الناس المثل وانه الضعف والعجز عندما يتجسد فهو يصحح عقائد الناس ويلفت كلا منهم الى النعمة التي أنعم الله بها عليهم من صحة وموهبة ·
اذن ··
فللعاجز مهمة في الحياة ·
وهذه المهمة يجب ألا يضيع في الكون بسببها · ولذلك فرض الله علي المؤمن المتحرك في الحياة ·· القادر علي أن يتكسب بالعمل ·· لذلك فرض الله علي هذا

المؤمن أن يعمل وينتج بما يتسع لحاجات هذا الضعيف أيضا .. هذا الضعيف الذي جعله الله نموذجا يلفت المؤمنين الى نعمة الله علي خلق الله ..

وقلنا ان الحق سبحانه وتعالى عندما يقول :

« والذين هم للزكاة فاعلون »

« سورة المؤمنون ـ الآية ٤ »

أنما المقصود من هذا القول ليس مجرد تأدية الزكاة . ولكن الله يقصد أن ينوي العبد العمل بنية أن يفيض من ناتج عمله ما يزيد عن حاجة المؤمن ليعول المؤمن ذلك الضعيف الذي لا يقدر علي الحركة ..

وهكذا نري أن فعل وعمل المؤمن مقرون بنية الزكاة للغير ..

وقلنا ان الحق سبحانه وتعالى بني الاسلام علي اركان يريد بها استدامة اعلان الولاء له هو الواحد الأحد .. ويريد استدامة الاعلان بأنه لا بلاغ عن الله الا لمحمد رسول الله ..

ويريد الله أن يتأكد في نفوس المؤمنين هذا الاستطراق في المعني العبادي والعبودي .. فيجمعنا الله للصلاة أمامه وله في خضوع وخشوع .. ويأمرنا أن نتحرك حركة لها ثلاثة أهداف :

- أن نعول أنفسنا .
- أن نعول من نحن مسئولون عنهم .
- أن نعول الضعفاء العاجزين

ولأن الحياة تتميز بأن الانسان يكتسب فيها بعض العادات في السلوك .. فان الحياة أيضا لها شرف العبادة للحق الواحد الأحد ..

لذلك فالله يريد من المؤمن أن يفرق بين العادات التي يكتسبها الانسان وبين ما يجب علي الانسان أن يتبعه لينال شرف العبادة ..

ولنوضح ذلك ...

قد يعيش الانسان ولا يري خمرا .. أي لم تدخل الخمر في حياته بسبب البيئة الايمانية التي عاش فيها .. لذلك فهذا الانسان لا تهفو نفسه الى الخمر ولا يخطر له علي بال أن يجربها .. وكذلك بالنسبة الى لحم الخنزير .. وكذلك بالنسبة الى

السرقة .. كل هذه المسائل المحرمة لا يكفي فيها أن تكون مجرد عادة .. انما علي المؤمن أن يتذكر دائما أنه لا يفعل كل ذلك من المحرمات لانه ترف يتعبد به الى الله .

لذلك فعلي المؤمن أن يتذكر دائما أنه امتنع عن كل محرم امتثالا لأمر الله لا لمجرد أنه تعود علي ذلك ..

ولذلك كانت الأعمال بالنيات ..

فالذي يصوم مثلا لأن الطبيب أمره صحيا بالصوم .. هذا النوع من الصيام لا عبادة فيه .. لأن التعبد لله يقتضي أن يقبل المؤمن علي تنفيذ أمر العبادة لأن الله هو الذي أصدر الأمر ..

وهكذا نعرف أن النية يجب أن تسبق السلوك . وليس أن ننفذ السلوك لأن حاجة من حاجات الحياة قد دفعتنا اليه .

ان الأمر العبادي يجب أن يعايش الانسان . ولهذا فكل عمل فيه مظهر الطاعة وهو بلا نية العبادة فهو عمل لا تحتسب فيه العبادة .

ان الله أراد بالنية أن تسبق السلوك العبادي وذلك حتي يتعرف الانسان علي حرارة الايمان وحتي لا تنشأ الطاعة في النفس الانسانية لمجرد التعود .

ولذلك شاء الله أن يجعل أحد أركان الاسلام مختصا بتحريم ما أحله الله في بقية العام .

لأن العادة قد جرت بأن يأكل الانسان ويشرب ويمارس الحقوق والواجبات الاسرية والزوجية في أي وقت من أوقات الليل والنهار .

ويأتي الحق تبارك وتعالى فيحرم المؤمن من أشياء هي حلال في كل وقت ويحدد تحريمها بميقات معين في ساعات معينة ولمدة محددة .. التحريم لهذه الأشياء في رمضان هو لعدد الساعات بين ما قبل الفجر الى آذان المغرب ويستمر ذلك لمدة شهر .. هو شهر رمضان ..

لماذا ؟!

الاجابة الواضحة هي ليستديم الرحمن علي المؤمن شرف الشعور بحرارة التكليف العبودي .

ذلك أن العادة جرت أن تأكل وأن تشرب وأن تتحرك في لقاء أهلك في أي يوم ..
لكن يأتي رمضان فيأتي الحق جل وعلا لينزع المؤمن من هذه العادات التي أحلها له في غير رمضان ...

يحدث ذلك ليستعيد المؤمن . شرف الاعتزاز بالعبودية للحق جل وعلا .. الذي أصدر هذا الأمر.

ان الصوم هو تذكير بالخروج مما تعود عليه الانسان حتي لا تفتن الانسان حياة العادة وأسبابها .. لهذا كان الصوم شهرا هو التذكير بأن وراء كل الأسباب خالقا ينصرف الانسان علي طاعته له بأمانة لا يعرفها الا العبد والرب .

ان الانسان يصعد بالصوم درجات في الايمان . وترتقي نفس المؤمن فترتفع بالامتثال لأمر الله بأن تحرم مما تعودت عليه .

ولا مقياس للمؤمن أمام غيره من المؤمنين الا مقياس الأمانة مع النفس . لذلك فأصفي ما يكون المؤمن عبودية لله في منهجه في شهر رمضان . حيث يترك المؤمن ما هو حلال له في بقية الأيام امتثالا لأمر جديد هو أن تترك هذا الحلال فترة من الوقت مأمورا بذلك من الله .. ثم يأتي المغرب فتسمع الآذان فيأمرك الله أمرا اجباريا أن تأكل .. هكذا يضبح الامتناع امتثالا للأمر عبادة .

وهكذا يصبح تناول الطعام ساعة المغرب عبادة أخري ..

وهكذا نري أن ممارسة الحرمان عبادة .. وممارسة الاتيان عبادة .

يخرج الانسان من عاداته ويصعد بالحرمان درجة ويصعد بالاتيان درجة ويختار المؤمن وضعا عباديا نورانيا .

وقد اختار الله هذا الزمان « رمضان » كزمان كان الصفاء فيه مكتملا للانسان .. ففي مثل هذا الشهر نزل منهج الله « القرآن » الى الناس أجمعين .

وان الانسان لو نظر الى الصوم الذي شرعه الله في رمضان شرعا الزاميا .. هذا الصوم نفسه يستطيع الانسان أن يتطوع به الى الله في أيام أخري غير رمضان ..

ان الصيام الزام في رمضان .

ان الصيام تطوع في غير رمضان .. هذا اذا اكتشف الانسان أن في ذلك خفة لبدنه وراحة لاشراقه .. واستدامة لتنويره .

وهناك فرق بين أن تلتزم بالطاعة وبين أن تقبل أنت في غير وقت الالزام علي الطاعة .. لأن الله سبحانه تعالى يفتح للمؤمن باب الطموح العبادي اليه .. ولكنه يجعل قدرا ضروريا للجميع ٠

يحدث ذلك في كل تشريعات الله .. هناك قدر ضروري مفروض علي الجميع .. ثم هناك الطموح الايماني ٠

ان الباب دائما مفتوح للانسان أن يتسامي وأن يعلو ..

فمثلا اذا ما آذاك انسان .. فالأمر العبادي أن تعاقب من آذاك بمثل ما عوقبت به ذلك قدر مشترك بين الناس جميعا ..

ولكن المؤمن حين يحاسب نفسه بدقة وأن يسأل نفسه بوضوح ٠

« وهل أستطيع أن أعاقب بمثل ما عوقبت به » ؟

« هل عندي ميزان دقيق يحقق العقوبة بقدر ما نالتني » ؟

ان الاجابة الحاسمة الواضحة ٠

ان العقاب والرد عليه بالضبط مسألة فيها نظر .. وفيها أيضا تضارب .. وفيها هوي ..

هنا يقول المؤمن لنفسه :

« وما يجب علي أن أدخل في هذه المتاهة ؟ .. لماذا لا أكظم غيظي وأنتهى » ؟

ان الله يفتح بـ « كظم الغيظ » باب الترقي ..

ومعني كظم الغيظ ان الغيظ يوجد في قلب المؤمن علي من آذاه .. ولكن المؤمن لا ينفعل انفعالا نزوعيا ليرد علي هذا الغيظ ٠

وأيضا يفتح الله باب الترقي أكثر ..

فلماذا « لا ينزع المؤمن الغيظ في قلبه ويرتقي الى العفو »

وهكذا يقترب الايمان بأن يذوق المؤمن حلاوة القرب من الله ٠

ولنضرب مثلا .. وليس في المثل ٠ الا أن نترجم صفات الله التي صارت له أسماء الى سلوك في حياتنا .. فمن صفات الحق جل وعلا انه رحمن ورحيم وعفو وكريم .. والانسان علي قدر طاقته عليه أن يمتثل لصاحب هذه الصفات ..

وبالتنزيه المطلق لله الحق .. نحاول أن نضرب مثلا في حياتنا .. ولله المثل الأعلي .

ان الرجل اذا دخل بيته ووجد ولدا من أولاده قد آذي أخاه .. فمع من سيكون قلب الأب ؟ ..

ان قلب الأب سيكون مع الذي ناله الأذي .

وانفعال الأب سيكون ضد الذي سبب الأذي ..

وسيحاول الأب ارضاء من أوذي وليمسح عنه عنت الأذي وقد يكافئه بأشياء ربما يكون قد طلبها ولم تأت له .. ولو أن الابن الذي ناله الأذي فطن الى هذا العطف والحنان والرحمة وكل هذه « التعويضات » التي انهالت عليه من أبيه لعلم أن أخاه الذي آذاه كان سببا في ذلك .. فبدلا من أن يمتليء بالغيظ منه والحقد عليه .. بدلا من ذلك يمكن أن يقول « ان ايذاءه لى سبب لى نفعا ممن هو أعلى منه .. اذن فهو يستحق أن يكافأ أيضا بشيء من الشيء الذي نالنى من حب أبي ومن عطفه » .

نحن نقرب هذا المثل تقريبا ليفهمه من يسمع .. وما بالنا بعطاء الرحمن هذا الذي يتنزه عن التشبيه وهو فوق أن ندرك ونحس ويملك من العطاء فوق ما نتخيل وله دائما وابدا المثل الأعلي ..

لذلك يقول الله ترقيا وتصعيدا للمؤمن :

« الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »

« سورة آل عمران الآية ١٣٤ »

ولعل فيما قاله الحسن البصري ما يحمل فائدة هامة للمؤمن ..

سئل الحسن البصري : كيف يطلب مني الايمان أن أحسن الى من أساء الى ؟

قال الحسن البصري لسائله : أو لست صنعة الله ؟

قال السائل : نعم ..

قال الحسن البصري : أو ليس الذي أساء اليك وآذاك معتديا علي صنعة الله .

قال السائل : نعم ..

قال الحسن البصري ، وحين يعتدي أحد علي صنعة صانع فمن يغار علي صنعته ؟ .. انه الصانع .. وغيرته تكون باصلاح الصنعة .. اذن أفلا أحسن لمن جعل الله في جانبي ..

هكذا نري تصعيد الايمان .

وهكذا نري أن الحق سبحانه وتعالى حين يصعد الايمان في رمضان بأن يكلف المؤمن أمرا بالحرمان في وقت معين من أشياء كانت محللة له كل الوقت في غير رمضان .. ان الله حين يخرج بالمؤمن من دائرة العادة الى شرف العبادة فانه يؤكد حرارة التكليف الايماني .

ومادام العبد في قمة التصميم .. فان الله اصطفي رمضان ليكون الشهر الذي نزل فيه منهجه الى الناس أجمعين .

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

« سورة البقرة الاية ١٨٥ »

اذن فالحيثية التي جاءت أولا أنه الشهر الذي نزل فيه القرآن .. ومادام قد أنزل فيه القرآن فيجب ان يكون هو أيضا الوقت الذي يتم فيه تصعيد الايمان تصعيدا يديم علي المؤمن حلاوة العبادة ويخرج فيه من أسر العادة .

الله سبحانه وتعالى حين يأمرنا أن نشهد ألا اله الا وهو وأن نشهد أن محمدا رسوله صلي الله عليه وسلم وأن نقيم الصلاة وأن نؤدي الزكاة وأن نصوم رمضان ..

لو نظرنا الى هذه العبادات لوجدنا فيها أمورا للعبد وأمورا خالصة لله .. والصوم خالص لله ..

والى لقاء قادم .

بســم الله الـرحمن الـرحيم

بسم الله ..

اللهم انى أدعوك وأصلى على خير خلقك سيدنا محمد ٠

وبعد ٠

فقد انتهينا في اللقاء السابق إلى أن جميع أركان الاسلام هى للمؤمن بالاسلام ٠

ويتميز الصوم بأنه لله ٠

ونريد في هذا الحديث أن نوضح هذه الحقيقة .. حين يقول المؤمن :

ـ لا إله إلا الله ٠

وحين يعلن المؤمن هذا الايمان .. ففى هذا الاعلان الايمانى راحة للمؤمن لأنه لن ينحنى لأحد غير الله ولن يرضخ لمخلوق لأنه عرف عزة عبادة الخالق ٠

وهكذا نرى أن الله عندما وضع هذا الشرط لاعلان الايمان به هو في جوهره عزة للمؤمن وراحة له وتأكيد لكرامته بحيث يعرف كل حلق الله ان هذا المؤمن له من العزة والكرامة مالا يمكن لمخلوق أن يستذله .. فالمؤمن باعلان « لا إله إلا الله » ضمن لنفسه الاحترام من المخلوقات جميعا ٠

وحين يشهد المؤمن « وأشهد أن محمدا رسول الله » فان المؤمن بهذه الشهادة وناطقها يقرر أنه لا منهج يؤمن به في هذه الحياة إلا ما وصلنا عن محمد رسول الله .. وعلى هذا فليس لأحد من الخلق أن يستزيد شيئا أو يضيف من عنده إلى النهج الذى جاء به محمد من عند الله ..

والمؤمن عندما يشهد برسالة محمد ومنهج الله الذى جاء به محمد فقد أراح المؤمن نفسه من أن يتلقى منهجا من انسان آخر يساويه ٠ ان اعلان الايمان برسالة محمد .. هو انقاذ للمؤمن وبقية البشر متساوون يتلقون المنهج ممن هو أعلى منهم جميعا .. وفي ذلك عزة للجميع .. فلا تبعية من انسان لآخر .. ولا استذلال من انسان لآخر ٠

وحين يعلن المسلم ولاءه لله بالصلاة كل يوم خمس مرات
وحين يعلن ولاءه ضمن بقية المؤمنين ومعهم في صلاة الجمعة .. فإن احساسا بالمساواة يتحقق باننا جميعا متساوون في العبودية لله .. فلا يبرز واحد ويفرض جبروته على الناس .. لأن الولاء العبودى قد أعلن للناس جميعا ٠
وحين يتحرك الانسان في الأرض ليعمل .. فإنه يتحرك لنفسه ولمن يعول .. ويتحرك أيضا لمن لا يقدر على الحركة .. وذلك بتقدير لزمن قادم يصبح فيه القادر على الحركة الآن غير قادر على السعى للرزق .. فاذا جاء هذا الزمن فإنه سوف يجد مؤمنا يتحرك من أجله ٠
ولعل الأنظمة المعاصرة في كل من الشرق أو الغرب تأخذ بهذه الجزئية .. ورغم أن بعضهم كافر بالله إلا أنهم تعلموا من الاسلام أن يأخذوا من القوى تأمينا له ولمستقبله عندما يصبح ضعيفا ٠

اذن فشهادة لا إله إلا الله .. وشهادة أن منهج الله الذى جاء به محمد هو سيد المناهج جميعا لأنه قادم من عند الله .. واعلان الولاء لله كل يوم خمس مرات ومشاركة المؤمنين تأدية صلاة الجمعة .. والسعى إلى الرزق بما يضمن حاجة الانسان ومن يعول ومن لا يقدر على الحركة .. كل ذلك من الأعمال تعود على ذات الانسان ٠
ويمكن أيضا أن تحدث هذه الأعمال من عبد لعبد آخر ٠
فمن الممكن أن يوجد قاض يشهد له الناس بأنه لا قوى سواه .. وأنه لا أمر دون أمره .. وقد يمنحه بعض البشر أوصافا قد تكون لله وحده عز وجل وتنزه .. تماما مثلما فعل قوم فرعون مع فرعون .. وكما فعل فرعون مع قومه .. حدث ذلك قديما .. وتكرر الصورة بشكل أو بآخر في المجتمعات الحديثة .. فالنظرة البسيطة إلى الكرة الأرضية سنجد فوقها أكثر من فرعون ٠

وقد يأتى عبد ليقف أمام عبد اخر وهو خاضع وذليل .. وربما انحنى هذا العبد لذلك العبد .. وربما سجد بين يديه قربانا له وإعلانا للولاء ٠
هذه الصور موجودة في المجتمعات التى يقال عنها إنها متخلفة نرى الفرد يستبد

ويظن ان الآخرين مجرد أتباع عليهم اعلان الولاء بالفاظ وسلوك فيه ذلة لآخرين ·

وقد نجد انسانا يقدم بعض ماله هدية لأصحاب الشأن كما يقدم المسلم الزكاة ·

وربما يأتى عبد ليحج إلى بيت عبد ويسجل اسمه في سجل التشريفات اعلانا للولاء ∴ تماما كما يذهب المسلم الى بيت ربه ·· الكعبة ·

لكن ··

هل رأيتم عبدا يتقرب إلى عبد آخر بأن يصوم له ؟

لا يوجد في دنيا البشر هذا اللون من التكريم ولا من القرب ·

لماذا لا يوجد هذا اللون من التكريم ·

لأن أشد الناس نفاقا لا يستطيع أن يقول لعبد آخر ·· « انا نويت الصيام لك هذا الشهر » ··

ان العبد قد يستطيع ان ينافق أو يخضع أو يوهم أو يخدع بألوان من الولاء التى وضعها الله لصون كرامة الانسان ·· بأن يحاول المنافق وضع انسان آخر في مرتبة أعلى ··

قد يقول عبد لآخر « ليس هناك في الدنيا إلا أنت عظيم وكريم».. تماما كما يقول المسلم « لا إله إلا الله » ·· قد يذهب عبد لبيت عبد آخر تقربا ·· كما يذهب المؤمن إلى بيت الله الحرام ·

لكن لا يوجد بين البشر من يقول لآخر ·· « انا اتقرب إليك بأن أصوم يوما أو شهرا !! »

لماذا ؟

لأن الصوم إذا كان تقربا من عبد إلى عبد آخر ·· فهذا نوع من الايذاء لمن يتقرب إليه العبد ··

كيف ؟!

لأن الانسان الذى قد يتقرب إليه آخر بالكلمة والانحناء قد يقبل هذا اللون من السلوك لأن نية المتقرب إليه خافية عنه ولكن لا أحد يستطيع ان يراقب انسانا آخر اثناء الصوم لأن أحدا لا يطيق مراقبة أحد حتى يراه صائما لأن الانسان إذا

تقرب إلى عبد آخر بالصيام له .. فان القهر سيكون من نصيب من قبل أن يصوم امامه عبد آخر .

بهذا نجد حكمة الحق جل وعلا قد قررت ..

« كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » .

« حديث قدسى »

هكذا نرى أن الصوم يتفرد بين أركان الاسلام بأنه خالص لله وحده .. ولذلك يقدر الله جزاء الانسان .. وكل العبادات لها جزاء عند الرحمن .. فالحسنة بعشرة أمثالها وقد تصل إلى سبعمائة ضعف .. وكل عمل عبادي محسوب الجزاء عند الله يكتبه ملاك الحسنات .. لكن الصوم يخرج من دائرة حساب الكاتب .. ان تقدير الجزاء فيه للاعلى الرحمن القهار .. وهو فوق قدرة وطاقة أى أحد .. ان الله وحده صاحب تقدير جزاء الصيام .

وهكذا كانت شارة الصوم .

وهكذا كانت هذه المنزلة الرفيعة للصوم . التقرب به خالصا لله .. وهو سر لا يمكن أن يحكم به أحد على الآخر . لا يعرف فيه أحد حقيقة صوم الآخر .. ان الصوم بقدر الايمان وبقدر هيمنة الايمان على المؤمن . ولذلك نجد أن الجزاء عليه يكون من اعدل العادلين الرءوف الرحيم ..

« للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »

« حديث شريف »

ولهذا نجد أن الانسان قد يكون من أسرة كلها قوم صائمون وقد يجرب الانسان التظاهر بالصوم رغم أنه غير صائم .. فيدخل إلى دورة المياه ليشرب من وراء ظهر الجميع .. ويمسح آثار المياه من على فمه .. ثم تأتى لحظة الافطار في المغرب .. ورغما عن أنف المفطر الذى يدعى الصيام يجد لنفسه أمام لحظة خزى .. صوت المؤذن يقول « الله أكبر » ووجوه الصائمين الحقيقيين مليئة بالفرحة ووجه مدعى الصيام عليه الخزى .

هذا هو معنى للصائم فرحتان ..

فرحة عند الافطار لأنه نجح في الالتزام العبودى الذى يصعد به إلى درجة أعلى من الايمان ..

بينما من تظاهر بالصوم وهو مفطر فقد أدرك الاحساس بالخسارة والهوان .

إن الانسان يستطيع أن يدرك من صام خالصا .. ومن تظاهر بالصوم وهما على مائدة الافطار .. ان من تظاهر بالصوم يجلس مملوءا بالاستخزاء أمام نفسه .. والصائم حقا مملوء بالايمان .

أما من يدعى الصوم فهو يمتلىء بالاستخزاء للنفس . والاستخزاء أمام النفس شر من الاستخزاء أمام الناس أجمعين .. لأن الانسان يحب ان يكون رأيه في نفسه جيدا .. لا يشعر بالدونية ولا يشعر بفقدان الكرامة أمام نفسه .. ولذلك فالذى يرى ان رأى الناس فيه أهم من رأيه فى نفسه فهو يضع نفسه دون نفس من سواه .. وان الذى يفطر ويتظاهر بالصوم دون سبب شرعى للافطار فهذا الانسان يحكم على نفسه بأنه دون سواه .

ولذلك يكون الصوم سرا بين الحق وبين الخلق .. ولا يكون الصوم مكتملا إلا إذا تحكم الانسان في كل مطلوبات نفسه ..

وهكذا يكون الصوم تصعيدا للتكريم في العبادة .. وقد قلنا في معنى التصعيد في العبادة .. ان الانسان ينفذ حكمة الرحمن في ان يحرم على نفسه في وقت محدد ما كان حلالا بالأمس .. ويصبح الايمان بذلك تصعيدا لدرجة الرقى في تنفيذ مشيئة الحق ..

وهكذا نرى الايمان رقيا بالانسان .. ويرتفع التصعيد درجة أخرى .. يقول الرسول الكريم ..

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه »

« حديث شريف »

وعندما نتأمل هذا الحديث قد نتساءل .

ولماذا يفترض الاسلام ضرورة الصدق وعدم قول الزور .. وضرورة إيقاف العمل

بالزور كشرط لصحة الصوم ؟

لماذا يرتبط الصوم لا بالامتناع عن متع الطعام والشراب والزواج فقط .. ولكن بالامتناع عن قول الزور والعمل به ؟

وقبل أن نستجلى هذه الحقيقة .. لابد لنا من استجلاء حقيقة أخرى وهى ان نتعرف على معنى « الزور » .

قد يقول قائل إن « قول الزور » هو الوقوف امام القاضى والشهادة بغير الحق ..

لا .. إن هذا معنى محدود للزور .. ولاستجلاء حقيقة الزور نجد أن شرط الامتناع عن « العمل بالزور » يوضح الحقيقة .. إن « العمل بالزور » معناه القيام بأى عمل يجافى الحق . وهكذا نجد ان « قول الزور » هو كل سلوك في الحياة لا يوافق حقيقة التكليف الا يمانى .

وإذا جاء رمضان .. فإن الحق تبارك وتعالى يجدد الفرصة أمام الانسان ليعيد تصحيح مسار حياته وأن يصحح علاقة الانسان بالا يمان .. وإذا كان الصوم علاقة بين العبد والرب .. والرقيب في هذه العلاقة هو العبد رقيبا على ذاته وأفعاله .. مخلصا في كل فعل مع الله تبارك وتعالى .. لذلك يكون رمضان هو شهر التصعيد الا يمانى .. هو ان يكون الانسان مخلصا مع الله في نفسه .. وإذا كان الانسان كذلك في شهر رمضان .. فإن رمضان يكون شهر صفاء .. وإذا تعود الانسان على صفاء الروح من براثن الزور قولا وفعلا .. وتسامت أعماله سلوكا .. فإن رمضان الذى يستعيد فيه الانسان صفاء الروح يمكن أن يستطرق في كل الزمن ..

ان الانسان الذى يذوق حلاوة التكليف وحرارة الا يمان وصفاء العقيدة وخلو القلب من ارهاق الزور قولا وفعلا .. هذا الانسان يمكنه أن يتعلم كيف يعيش بقية الشهور في صفاء .

فإذا كان الله قد اصطفى رمضان شهرا .. فإن الانسان يمكنه ان يرى في رمضان مثالا حيا لبقية الشهور فيحياها ويسلك فيها دون زور القول وزور العمل ..

ان الله يصطفى من الأزمنة زمانا ليدرب الانسان على حلاوة التكليف .

ان الله يصطفى من الأمكنة .. بعضها ليعلم الانسان فائدة اللقاء مع مؤمنين مثله تتجدد معهم حرارة الا يمان

ولكن .. ·

هل معنى الاصطفاء أنه تجليل وتبجيل لمن اصطفاه على من سواه ·

لا .. ليس التجليل والتبجيل مجردا .. لكنه التجليل والتبجيل لما فيه من معنى ومعاناة ..

فحين يصطفى الله رسلا .. فلم يصطفهم ليجللهم ويحملهم على رقاب الناس ولكن اصطفاهم ليتحملوا المتاعب في ايصال الدعوة ومنهج الحق إلى الناس .. وليكون كل منهم أسرة سلوكية ومعنى حيا لكيفية أن يحمل الانسان منهج الله أولا ويتعب ويشقى ويكد لينتشر منهج الله عقيدة وسلوكا ·
وبعد ذلك نأتى لمن اصطفاه الله حصيلة الجهاد فنجد أنه لا يورث مالا .. بينما غيره من اتباعه يرث منه الابناء ·

هكذا تميز المصطفى محمد ..
فالذين من سلالته لا يرثون .. لا ملكا .. ولا مالا .. فالفقير من أمة محمد له حق الزكاة .. لكن الفقير من سلالة محمد لا يأخذ من الزكاة ·
وهكذا نرى ان اصطفاء الرحمن لمحمد لم يكن ليتميز ولكن ليتحمل تبعة ·
لماذا ؟!

ان الله اصطفى محمدا ليشيع الاصطفاء سلوكا فيمن اتبعه .. فيصبح الصفاء لا صفاء واحدا .. ولكن صفاءات متعددة لتعدد الأسباب ·
كذلك حين يصطفى الله المكان ..
هل اصطفى الله المكان ليبجله على جميع الأمكنة ؟

لا ..
ان الله اصطفى المكان ليكون قبلة لجميع الأمكنة ..
اصطفى الله الزمان كما اصطفى رمضان ..
هل اصطفى الله رمضان ليدلله أم اصطفاه ليشيع صفاءه في كل الأزمنة ·

لقد اصطفى الله رمضان شهرا نزل فيه القرآن الذى يحمل منهج الله ليشيع المنهج في كل الأزمنة .

ولو أن الناس فهموا الاصطفاء من الحق وقارنوه باصطفاء الخلق .. لعلموا الفارق الأعلى ..

ان اصطفاء الحق لشيء من اشياء كونه انما ليشيع اصطفاءه للجميع ..

ولكن اصطفاء الخلق على غير هذا الاساس .. انه اصطفاء للتمييز .

يصطفى الفرد آخر ليميزه ..

يصطفى ليغمض عيونه عن اخطاء من اصطفاه .. فلا يعامله هو وغير المصطفى بقانون واحد ..

هذه هى اصطفاءات البشر .

اما إصطفاءات الحق فتختلف .

ان الحق يصطفى البشر والزمان والمكان ليستطرق المصطفى إلى بقية ما يماثله ..

وهكذا يكون اصطفاء الحق له تبعات .. هذه التبعات إذا قدرها الانسان .. فإنه يجد ان الحق سبحانه وتعالى يشاء دائما ان يجعل في أحبابه الأسوة لخلقه .. ومادام الأمر كذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأخذ من الزمان والمكان والبشر عبرة علينا أن نفهمها فإصطفاؤه لمحمد وجعله خاتم الانبياء وحامل المنهج القرآنى ..

جعل من محمد مثلا لكل مؤمن واصطفاء الله للكعبة بيتا له ..

الانسان يتمثل في ذهنه الكعبة وهو يصلى في أى مكان آخر .

واصطفاء الله لرمضان شهرا يعيد الانسان فيه صفاءه مع الله .. جعل رمضان فرصة دائمة التجدد للصفاء عندما يريد الانسان الصوم في أى يوم أو شهر آخر من شهور وأيام السنة .

وذلك يقودنا إلى اصطفاء الرسول الكريم للعشرة الأيام الأخيرة من رمضان ليختارها أياما للاعتكاف في المسجد .. تلك سنة عن رسول الله ..

ومعنى الاعتكاف هو الخروج عن الأهل والولد وعن كل ما اعتاد عليه الانسان من مكان وبيت ليعيش الانسان في بيت الله وحيدا .

لعل في ذلك تمهيد ..

تمهيد لماذا ؟

نسأل الله أن يعيننا على ايضاح ذلك في الحديث القادم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربى وأستعينك ٠

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ..

وبعد ...

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى أن الإسلام معناه إلقاء زمام الحركة الاختيارية فى الإنسان إلى منهج الله ..

وترك الله للإنسان حرية الاختيار ..

وحدد الله للإنسان قواعد منهج الله في أوامر من الله هى « افعل »

وحدد الله للإنسان أسلوب الامتناع عمّا قال عنه الله « لا تفعل » وحركة الحياة بالنسبة للأمر والنهى فى منهج الله ليست كلها خاضعة لـ « افعل » و « لا تفعل »

إن سلوك الإنسان الذى يحدده منهج الله بـ « افعل » و « لا تفعل » هو فى الأمور الاختيارية التى ينفعل بها الإنسان ..

أما أمور الحياة الضرورية والتى تستقيم بها حركة الحياة .. فلم يتركها الله للإنسان ..

ولكن ترك الله للانسان منهجا .. إذا سار عليه استقامت حياته .. وإذا لم يسر الإنسان على هذا المنهج فإن الضرر يقع على الإنسان لا على حركة الحياة .. لأن ضرورات الحياة محكومة بمنهج الله ٠

أما ما بقى بعد ذلك فهو فى مجال اختيار الانسان أن « يفعل » أو « لا يفعل » ولن يترتب على الفعل أو عدم الفعل ضرر يتعلق بالحياة لأنّ الحياة تستقيم بمنهج الله فيها ولا دخل للبشر فى ذلك ..

ولكن إقبال الإنسان على تقييد حركته الاختيارية .. لا ينشأ إلا إذا كان الإنسان موصولا باحترام أمر المكلف وهو الله ..

واحترام أمر المكلف لا يكفى فيه أن تؤمن به وبقدرته وبعظمته ولكن على الإنسان أن يوالى ويديم تذكير نفسه بهذا الإيمان ..
فقد يؤمن الإنسان بشيء ولكنه لا يظل فى بؤرة شعور الإنسان دائما ..
فكل إنسان يؤمن بالتأكيد أن نهايته هى الموت ..
لكن ذلك لا يستقر فى بؤرة شعور الإنسان ..
الإنسان يغفل عن حقيقة نهايته بالموت وكأنه خالد فى الحياة ..
ويصور الرسول ذلك فيقول فى حديث شريف ،

« لا أرى يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت »

« حديث شريف »

إن الموت يقين ، لأنه لا يوجد من لا يعرف أنه سوف يموت ..
لكنه يقين أشبه بالشك .. لأن الانسان يغفل عن هذا اليقين فى حركته فى الحياة . إن الإنسان يسلك دائما وكأنه مخلد خالد .. ولذلك أبهم الله أجل الإنسان . كان الله رحيما بالإنسان عندما أخفى عن كل إنسان ميعاد نهايته فى الحياة ..
ولهذا لم يجعل الله للموت عمرا محددا ..
ولم يجعل الله للموت سببا محددا ..
ولم يجعل الله للموت شكلا محددا ..
وذلك حتى يكون الإنسان على استعداد دائم أن يلقى الله فى أية لحظة ..
ولكن هل يرتب الإنسان حركة حياته على أساس اليقين بأن الموت قادم لا محالة ؟
لا ..
إن كل إنسان متيقن من أنه سيموت .. لكنه يقين أشبه بالشك .
وحتى يذكرنا الله بهذه النهاية .. فإنه يعطى الموت فى الحياة صورا متعددة ..
نجد جنينا يجهض فى أسابيع أو شهور ..
ونجد طفلا يموت فى أعوامه الأولى أو شهوره الأولى ..
ونجد فتى يموت فى سنوات فتوته ..

ونجد يافعا شابا يأخذه الموت فجأة ..

ونجد مريضا على شفا الموت يهبه الله العافية .. وكل ذلك له أسباب .. لكن صانع كل الأسباب يريد أن يؤكد لنا قضية الموت .. ويبرزها إبرازا لتظل فى بؤرة الشعور ..

إذن فمطلق اليقين بقضية لا يكفى وحده لتأكيدها ..

انما على الانسان أن يتذكر القضية التى يؤمن بها حتى لا تذهب إلى حاشية الشعور وتختفى تحت تراب النسيان ..

بل يجب على الإنسان أن يحتفظ بالقضية التى يؤمن بها فى بؤرة شعوره دائماً ليتصرف ويسلك فى الحياة على ضوئها ..

وكذلك الإيمان بالله ..

كل منا على يقين بأن الله موجود ..

كل منا على يقين بأن لله الكمالات المطلقة ..

كل منا يوقن بذلك ..

ولكن هل كل إنسان يتصرف ويسلك على ضوء هذا الإيمان ..

لا .. إن بعضنا لا يعمل بمقتضى ذلك ..

وليس ذلك لأن الإنسان قد غفل فقط عن قدرة الله ..

لكن لأن الإنسان قد تشغله أسباب الحياة فلا يصير التفكير والإيمان بوجود الله فى بؤرة الشعور ..

صحيح أن الإنسان لو جلس ليتذكر فإن الذاكرة والتفكير يقودان دائما إلى الاعتقاد والإيمان بوجود الله ..

لكن الله يريد أن يديم على الإنسان قضية الإيمان به استدامة لا يغفل عنها أبدا ..

وذلك حتى تصدر كل حركة للإنسان فى الحياة وهى موافقة ومتسقة ومنسجمة لمنهج الله الذى أنزله ..

فماذا يصنع الله من أجل ذلك ؟

يقول الله للإنسان :

ـ لا يكفى أن تؤمن .. بل لا بد أن تجدد ولاءك الإيمانى دائما ..
وكيف يجدد الإنسان الولاء الايمانى وما الأسلوب الذى يتم به تجديد الولاء الإيمانى بالله ؟

إن الله ينادى الإنسان كل يوم خمس مرات ..
إن صوت المؤذن ينطق كل يوم « الله أكبر » ليذكر الإنسان أن الايمان بالله هو أولى من كل حركة تشغله عن الله فى الوجود ..
وحينئذ على الإنسان أن يتذكر أن الله أكبر من أى شىء يشغله عن الله ..

لأن الله هو واهب حركة الإنسان ..
لأن الله هو واهب فكر الإنسان ..
لأن الله هو واهب المادة التى يتفاعل معها الإنسان ،
فلا يجب أن يقول الإنسان « شغلنى كذا عن الله » .
إن الله يقول لك : الله أكبر من كل ما يشغلك عنه ..
لأن الذى شغلك عنه من عطائه ..
مكيف يشغلك عطاؤه عنه ؟
هل أنت تريد فقط أن تكون مع النعمة !.
لا ...
إن الله لا يريدك أن تفتنك النعمة ..
لذلك فإذا دعاك المنعم عليك .. فعليك أن تترك النعمة وتذهب إليه ..

ذلك هو جلال اليقين الإيمانى ..
ولهذا شرع الله للإنسان تجديد الولاء الإيمانى بالصلاة ..
يدعو الله الإنسان للصلاة كل يوم خمس مرات .
وإذا ما تأمل الإنسان هذا الولاء الإيمانى ..
فإن الإنسان يرى أن الله لم يتركه كمجرد تشريع فقط ليفكر فيه الانسان وينفذه كل يوم خمس مرات ..
لكن الله أضاف إلى فرض الصلاة شعارا يتوحد به قلب كل مؤمن ويناجي به

المؤذن نداء الإيمان في قلب كل مسلم .. وتصبح « الله أكبر » شعارا ينادي الإيمان في كل قلب . لنتذكر جميعا أن الله ينادينا ..

ولنفهم حيدا معنى « الله أكبر » ..

هذا معناه أن الله أكبر من كل ما يشغلك عنه .

ان الله بـ « الله أكبر » يدعوك إليه ..

إن الذى يدعوك هو ربك ..

وربك لا يدعوك كل يوم خمس مرات لتأخذ إليه شيئا من نعمته عليك ولترده إليه ..

إنك عندما تصلى وتلبى نداء الله لك ودعوته لا تدخل على الله بهدية ..

إنما يدعوك الله لتأخذ منه الهداية والهدية ..

إذن ..

فالله يحب لصنعته ـ أنت ـ أن ترتقى ..

ولذلك يجدد لقاءه بك ..

فيأمرك تكليفا أن تذهب إليه وأن تلبى دعوته لك خمس مرات كل يوم ..

وهذا هو الفرق بين خالق الدنيا .. وبين أى مخلوق يسيطر على بعض البشر ..

هل رأينا أحدا يسيطر على جماعة يأمرهم ويكلفهم أن يذهبوا إليه ليأخذوا من خيرات الود .. ولو مرة واحدة ..

إن الإنسان قد تمر حياته كلها ولا يحظى بلقاء الحاكم مرة واحدة ..

وإذا ما فكر الإنسان أن يطلب من حاكمه شيئا .. فإنه يطلب اللقاء ويكثر ويلح ويطرق الأبواب حتى يلقاه ..

وإذا ما سمحت الظروف لإنسان أن يقابل حاكمه .. فما الذى يحدث ؟

فى بعض البلاد يحددون لك أسلوب الملابس .. وأسلوب الحديث ومدة اللقاء ، ويحذرونك من أن تطيل وليس للإنسان أن يحدد هو الزمان الذى يريده أو يحدد المكان الذى يلقى فيه حاكمه .. والسبب بطبيعة الحال أن الحاكم بشر من نفس طينة المحكوم .. يعيش امتحانا خلقه الله له وهو القدرة على أن يوازن أمور البشر المحكومين ومستقبلهم ..

لكن الخالق الأعظم .. المستغنى عنا جميعا .. يقول لكل منا :
ـ أنا أدعوك إلى رحابى كل يوم خمس مرات . وأنا لا أقتصر على لقائك فى هذه المرات الخمس فقط .. إن أردت أن تلقانى فى كل لحظة .. فمرحبا .. أنا لا أمل منك حتى تمل أنت .. وإن أردت أن تديم معى وقتك كله فأنا لا أمل حتى تمل أنت .. .

ولذلك يجد ويحس المقربون إلى الله أنهم بفرضية الصلاة أعزهم الله وجعلهم فى رحاب حضرته ليديم عليهم عطاءه . ولهذا نرى الرجل المقرب إلى الله يعبر بإدراك عن هذه المسألة التى تمر على كثير منا دون فكر ودون وعى .. نجد الرجل المقرب إلى الله يعبر عن ذلك بالشعر ..

حسب نفسى عزا بأنى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الأعز ولكن
أنا ألقى متى وأين أحب

أى فى أى وقت أريد أن أذهب فيه إلى الله .. فأنا ألقاه .
ومن العجيب فى أمر الله مع خلقه أن يترك الله الأعلى مسألة إنهاء المقابلة للعبد ..
لقد جرت عادة العظماء أن يُنهوا هم المقابلة بأن يقفوا .. إن وقوف أى عظيم معناه انتهاء المقابلة ..
ولكن الله يظل مع العبد فى صلاته إلى أن ينهى العبد اللقاء .
أى عظمة تجعل الإنسانَ يفخرُ بأنِ خالقه المستغنى عنه يدعوه إلى رحابه كل يوم خمس مرات .. وإن أراد العبد المزيد من لقاء الله فالدعوة مفتوحة وقائمة وتحت إمرة العبد لا الخالق .
ولنتأمل مسألة أخرى ..
إن الإنسان إذا ما دعا ضيفا إلى بيته .. فما الذى يحدث إن الداعى يحاول إكرام

الضيف .. يتحفه بالافضال والاكرام بما يناسب منزلته .. هذا يعطى قهوة وهذا يقدم حلوى وشايا ، وذلك يقدم فاكهة .. وكل يعطى حسب قدره وقدرته ..
فما بالنا بقدر الله وقدرته ..

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » ..

« سورة النحل ـ الآية ٤٩ »

« ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم »

« جزء من الآية ٦٠ من سورة النحل »

ما بالنا نحن العباد إذا ما دعانا الله إلى حضرته كل يوم خمس مرات ..
وما دامت التحية على قدر الداعى .. فكيف يكون عطاء الله لنا إذا ذهبنا إليه فى بيته ..
ماذا يعطى الله عبده ؟
إن الله يعطى العطاء الخفى .. لأن كل معط يعطى على قدر صفاته وذاته ..
والعبد يذهب فى الصلاة إلى خالقه وصانعه ..
فماذا يعطينا الطبيب مثلا إذا ذهبنا إليه ؟ إنه يعطينا الدواء وماذا يعطى الصانع لما صنعه عندما نذهب به إليه ؟ إنك إن ذهبت إلى صانع التليفزيون ليصون لك جهاز التليفزيون فإنه قد يصل سلكا مقطوعا أو يركب مسمارا صغيرا كان فقدانه يعطل الآلة ..
إنك عندما تذهب بشىء مادى إلى صانع مادي .. فهو يعطيك من جنس ذاته .. إصلاحا ماديا ..
أما عندما نذهب فى الصلاة إلى خالقنا وهو غيب فهو يعطينا من ذاتيته وغيبه ·
فلا تقل ماذا أخذت ؟ .. لأن العطاء الربانى غيب ·
أعطاك الطاقة التى لا تراها وتحس بها وأنت تواجه المشاكل ·
أعطاك الشحنة التى ترتفع بها كرامتك أمام كل المخلوقات ·

أعطاك اليقين بأنه موجود تلجأ إليه ٠
كل ذلك من عطاء الله سبحانه وتعالى ٠

وأنت تكرر هذه التلبية لدعوة الله وتديم بها ولاءك للحق تبارك وتعالى ..
وأنت تذهب إلى بيته ويعطيك من فيض غيبه ..
ويقول لك فى قرآنه « افعل كذا » وأنت خارج بيتى ٠ « ولا تفعل كذا » ..
هنا تدوم استدامة ولائك لله ..
هنا تتعدى الصلاة حدودها كنداء من الله لتصبغ يومك بسلوك الايمان ..
اذن فمشروعية بعض الأركان الاسلامية هى الأساس الذى يقوم عليه احترام أوامر الله بـ « افعل » ونواهى الله بـ « لا تفعل » ٠
وأنت عندما تسمع نداء الله .. وتذهب إلى الصلاة فى المسجد .. فقد تتعطل بعض حركتك فترة من الزمن .. وهنا قد تقول « إن حركتى تتعطل » ٠
وهنا نقول :
ـ إن عليك قياس الأمر بمقياس الذكاء .. فالمهم فى الحصيلة والجدوى .. فقد يطلب منك أحد شيئا ينقص ما عندك ولكن قد يزيد لك ما نقص منك أضعافا مضاعفة ..

الأحمق ينظر إلى ما نقص منه ..
والعاقل ينظر إلى ما يعوض ذلك الذى نقص ..
ما معنى ذلك ؟
لنشرح المسألة ..
لنتخيل أن هناك فلاحا وفى بيته أردب من القمح .. ورأى الفلاح أن أرضه تتطلب نصف الأردب كبذرة يزرعها قمحا ..
الفلاح الأحمق يقول : « هل أنقص ما فى بيتى نصف أردب وألقيه فى الأرض كبذور .. إننى لا أعرف هل ستخرج الأرض قمحا أم تصاب الأرض بعاصفة وتقلبات تفسد الزرع ؟ » ٠
لكن الفلاح العاقل يقول : « لا .. سأنقص ما فى بيتى نصف أردب من القمح

وأزرع به الأرض ليرتدلى بعد رعايتى للأرض وتوفيق الله عشرة أرادب »
إذن فالحازم العاقل لا ينظر إلى نقص عاجل .. ولكن ينظر إلى نماء قادم ..
والإنسان آلة تتحرك فى الحياة التى خلقها الله ..
وحين يناجيك ويناديك لتكون فى حضرته .. لك أن تتصور كم عطائه الخفى الذى هو من ذات الله ..
هذه المسألة تتكرر كل يوم خمس مرات ..
والذى خلق الآلة والحياة يرسل نداءه خمس مرات .. ومعنى ذهابك إلى صانعك هو أن تخرج من لقائه وقد أمدك بطاقة تعوض عليك الزمن المفقود ..
تجعل من كل حركة لك هىْ حساب على ضوء « إفعل » و « لا تفعل »
إذن فالولاء الإيمانى الذى يريد الله سبحانه وتعالى أن يتتابع فيك ولك .. هو بركة لكل الوقت وإن عطلت بعض الوقت ولذلك يشرح الله هذه القضية فى قمتها حين يقول :

« يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ..

« سورة الجمعة ـ الآية ٩ »

وعند كلمة « البيع » هذه لنا وقفة قادمة ان شاء الله نجلى فيها اختيار الله لهذا اللفظ الذى حمله القرآن ليستمر به العطاء إلى أن تقوم الساعة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ·

الحمد لله ·

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ·

وبعد ·

فقد انتهينا في اللقاء السابق إلى أن الاسلام قد تميز بأن الله قد وضع له أسسا وأركانا يعتمد عليها .. وتقوم على هذه الأسس والأركان البنية الاسلامية ·

والبنية الاسلامية هى كل حركة في الحياة يتم تخطيطها بالفكر الذى خلقه الله ·

ومدى تفاعل هذه الحركة مع المادة التى خلقها الله .. وبالطاقة الجسدية التى خلقها الله ·

فاذا ما رأينا شيئا ينقض جمال ذلك الكون فيجب أن نتهم أنفسنا بأننا قصرنا فى حق من حقوق الله ·

وأول متطلبات الحركة في الحياة .. أن نحفظ على الناس بقاء النوع الانسانى وبقاء أنفسهم ·

وبقاء النفس وبقاء النوع مرتبط أولا بوجود الأقوات في الأرض ·

والأقوات في الأرض موجودة كعناصر تتكون منها هذه الأقوات ·

وقد قلنا من قبل ان الحق سبحانه وتعالى طمأننا على هذا الأمر حين قال :

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا .. ذلك رب العالمين · وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين » ·

« سورة فصلت الآيتان ٩ ، ١٠ »

إذن فالأقوات التى يحتاجها خلق الله إلى أن تقوم القيامة موجودة في الأرض ·

ولو أردنا الدقة في فهم العبارة القرآنية لوجدنا أن الأقوات مطمورة في الجبال ·

فكأن الجبال التى نراها صخورا منصوبة في الأرض هى مفاتيح أقوات البشر ·

وشاء الله أن تكون الجبال صلبة لأنها لو كانت رخوة وامطرت السماء لحدث استطراق في الرخو كله ولتبدد الخصب في بقعة على سطح الأرض · هذا الخصب الذى يستحلبه النبات كغذاء له ·· وقد تفسد الأرض لوزادت فيها هذه المواد ·· أو على الأقل تجف منها الخصوبة في وقت قصير ·· لذلك شاء الله أن تكون الجبال صخورا جامدة ·· ثم ينزل منها بقدر ·

إن عوامل التعرية التى تحدث بفعل البرودة والحرارة وإتجاه الرياح تصنع الشقوق فى سطح الجبال ·

هذه الشقوق إذا مانزل عليها ماء المطر فإنها تأخذ بعض الأتربة المليئة بالعناصر التى تنزل مع مياه المطـر إلى الوديان وتمتزج بتربة الأرض ويتكون ذلك الخليط الذى نسميه الطمى ·· الذى يحمل القدر اللازم من الخصوبة للأرض ·· وقد يغطى جزءا من الأرض الضحلة فتتحول إلى دلتا ·

ومثال ذلك الوجه البحرى من مصر ·· كان قديما مجرد بحيرات ضحلة ·· وتكونت الدلتا من الخصب القادم من خلال النيل ·· من خلال مياه الأمطار على الجبال في قلب افريقيا ·· كان الطمى يترسب ويترسب فيعطينا الخصب كاملا ·

ولذلك نجد أن الدلتا وهى أماكن الخصب ·· تكون معكوسة في شكلها على عكس تكوين الجبال · فالجبال رأسية مدببة في سطحها ومنبسطة في قاعدتها ·· وهى تشبه الدلتا ولكنها رأسية ·

فالمياه النازلة على قمم الجبال تغطى الالتقاءات بين الوديان وكلما زاد الزمن تزيد الرقعة لانها مثلثة ·

تنقص المياه من الجبال وتزيد فى الوديان ·

وهكذا نرى أن معظم ما نأخذه من قوت كان مطمورا في هذه الجبال ثم زرعناه بالنباتات التى خلقها الله فتكاثرت ·

إن الله يطمئننا أن الأقوات موجودة ·· لكنه ربط الحصول عليها بضرورة حركة الانسان ·

ولنضرب مثلا ·· بعنصر واحد من عناصر الحياة ·· وهو الماء ··

إن الكمية التى خلقها الله منذ بداية الخلق ·· ستظل هى كمية المياه إلى آخر الخلق بدون نقص ·
فإذا ما شرب الانسان منا مثلا اثناء حياته عشرين طنا من المياه فإنه يفرز بالتبول والبراز والعرق والمخاط كمية ما ·· مساوية لما شربه من الماء ·· ولا يظل في جسم الانسان سوى تسعين بالمائة من وزنه ·
وعندما يقضى الله أجل الانسان ويموت فإن ما فيه من ماء يتسرب إلى الأرض ويساعد على تخمر الجثة ويتبخر بعد ذلك بفعل الحرارة ·· ويذوب الجسد في التراب وتعود المياه إلى الكون ·
إذن فالقدر الموجود في القوت الأساسى لا ينقص ابدا ··

كذلك أقدار الأقوات في الأرض ·
وكذلك كل ما ينشأ في الكون ·· الوردة مثلا ·· تراها نضرة بما فيها من حياة ومياه ·· وتراها جميلة بما فيها من لون وعطر ·· فإذا ما قطفت الوردة ·· فإن ما فيها من الماء يتبخر وتذبل وتعود بكل عناصرها إلى الكون ·
إذن
اذا أراد الانسان أن يستبقى نفسه في الوقت فما عليه إلا أن يعمل عقله وطاقته في مادة الأرض وعناصرها ··
ولهذا فأنا أقول دائما ،
ـ ان رأى الانسان خللا في الكون أو الرزق فلنعلم أن قضية من قضايا الاسلام معطلة ·
وكسل الانسان عن العمل من أجل القوت أو عمل الانسان من أجل القوت مسألة جعلها الله قضية أساسية ··
لقد جعلها في مستوى الايمان به ·
لم يجعل الله قضية مساوية للايمان به ·· أو الكفر به سوى قضية النعم ··
ودليل ذلك قول الحق تبارك وتعالى ،
« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله . فأذاقها الله لباس
الجوع والخوف بما كانو يصنعون »

« سورة النحل الآية ١١٢ »

وهكذا ساوى الحق تبارك وتعالى بين الكفرية والكفر بنعم الله

فإذا قال واحد « فلان كفر بالله » فإننا نفهم أن فلانا هذا أنكر وجود الله .. أى أنه ستر وجود الحق الموجود .. هذا معنى الكفر بالله .

ولذلك قلت قديما إن كلمة الكفر كلمة مؤمنة لأنها تفضح عجز الكافرين .. فالكفر تعنى الستر .. وتعنى أن الكافر يريد أن يستر وجود الله .

ولحظة أن يقول كافر « كفرت بالله » فهو لا يدرى أنه يقول « انا سترت وجود الله » .

ومادام يستر وجود شيء .. فالشيء موجود ..

وتعالى الله عما يقول المنكرون له .. رغم ان انكارهم دليل وجوده .

فكأن الحق موجود ..

لذلك جاءت الكلمة حجة عليهم ..

ونعود إلى القرية التى كانت آمنة مطمئنة ثم كفرت بأنعم الله .

نفهم من ذلك ما يلى :

ـ ان هذه القرية لم يستخدم أهلها الذكاء والعمل والبحث والاتقان في النعمة التى منحها الله وهى الأرض .. وهذا ستر وتجاهل للنعمة أى كفر بها .

وعندما ندقق بالتحليل لمعنى « كفرت بأنعم الله » فإننا نجد أن الكفر كما قلنا هو ستر الوجود .. ومعنى « كفرت بأنعم الله » أى أنها سترت نعمة الله ..

وإذا سألنا :

ـ كيف تستر قرية نعمة الله ..

فإن الاجابة انها تركت النعمة مطمورة في الوجود ولم تبحث عنها ولم تنقب .

وهذا كسل .. تركوا الأرض ـ مثلا ـ تحتاج إلى مياه حتى يتم استزراعها .

وهذا ما يقال عنه في العصر الحديث « مجتمعات متخلفة » وهناك « ستر » من نوع آخر .

هو « ستر » النعمة عن مجال النفع بها .. صحيح عمل أهل القرية وأخرجوا النعمة لكن لم يعم خير النعمة كل المحتاجين لها .
كأن يأخذ وال كل النعمة وخيرها له ..
هذا ستر للنعمة ..

اذن ف « ستر النعمة » أى « الكفر بالنعمة » له أكثر من وجه .
ألا يبحث عنها المجتمع بالعمل ..
أو .. ان يبحث عنها المجتمع وتذهب إلى من يسترها عن الخلق وهكذا يكون العقاب « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » وقد قلنا ان الجوع يخص الرزق ..
والخوف هو أن يوجد في الحياة ما يفقد الانسان الأحساس بالامان ..
وقد قلنا من قبل ان الله عندما يحب مجتمعا فانه يطعم أهله من الجوع ويؤمنهم من الخوف .

وقد قلنا من قبل ان الحديث القدسى يؤمن الفرد المؤمن في المجتمع المؤمن :

« يا ابن آدم لا تخش من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا ..
وسلطانى لا ينفد أبدا ..
يا ابن آدم
لا تخش من ضيق الرزق وخزائنى ملآنة وخزائنى لا تنفد أبدا .
يا ابن آدم ..
خلقتك للعبادة فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب ..

يا ابن آدم

ان رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا ..
واذا أنت لم ترض بما قسمته لك .. فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في

البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما ..

« حديث قدسى »

ونقف عند معنى « تتعب » إن معناها تعب القلب .. والهم بالرزق ..

وإلى لقاء قادم لنواصل فهم معنى الكفر بنعم الله ·
ودعاء الى الله أن يفتح أمامنا أبواب منهجه لنحقق الأمن من الخوف والطعام من جوع ونحقق المجتمع السعيد ·

بســم الله الـرحمن الـرحيم

أحمدك ربى كما علمتنا أن نحمد .

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ..

فقد انتهينا فى اللقاء السابق إلى أن الكفر بنعمة الله هو جبر وقسر وسوء معاملة لهذه النعمة ..

وسوء معاملة نعمة الله يأتى على لونين :

اللون الأول : هو أن نهمل العمل على استخراج نعمة الله بالعمل والكد والجد ، وأن نهملها فلا نرعى ما فرضه الله علينا من ضرورة التفاعل مع الكون لاستخراج ما أنعم الله به علينا من خيرات مغمورة فى الأرض ..

واللون الثانى : هو أن نستخرج أنعم الله من الأرض .. ونستأثر بها ولا نفيد كل الآخرين بقدر عملهم وبقدر ما يكفل للضعيف منهم حق الحياة وما يكفل للغنى إحساس الأمان لو داهمته ظروف الزمن ..

وحين ينتشر فى الوجود أحد هذين اللونين من الفساد ... فإن الأرق والقلق والجوع والخوف هو العقاب الحياتى الشامل ..

ولننظر إلى دقة التصوير القرآنى :

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان .. فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

« سورة النحل ـ الآية ١١٢ »

ولنتأمل معنى هذه الآية . إن الله يضرب لنا المثل بقرية تحيا فى اطمئنان يأتيها الرزق من كل اتجاه .. لكنها لم ترع حدود الله فى هذا الرزق .. لم تعمل على

استخراجه ولم توزع عائده بما يرضى عدل الله .. فجعل الله لأيامها مذاق الجوع والخوف .. وكان هذا المذاق شاملا لحياتها فى كل التفاصيل .. بحيث لا يوجد فيها إنسان لا يشمله الجوع والخوف .. وكأن الجوع والخوف لباس يضم كل عناصر حياة أهل هذه القرية .

واذا سألنا .. كيف يحدث ذلك ؟

فإن الاجابة تأتينا بتصور وضع هذه القرية .. إن الجائع فيها سيهدد الذى شبع .. وهنا يصيب القلق الجائع والشبعان .. وهكذا ينبت الخوف فى أعماق الجائع وأعماق الشبعان معا .

هنا يصبح القلق والخوف هما لباس كل إنسان فى هذه القرية ..

وهنا يصبح مذاق الخوف المتبادل بين الجائع والشبعان ..

ومذاق القلق والجوع متبادلا بين الجائع والشبعان .. الجائع جائع لطعامه .. والشبعان جائع لأمانه ..

وهنا لا يصبح هناك مفر من الجوع والخوف ..

وهكذا يصور لنا الحق سبحانه وتعالى هذا الموقف بدقة حيث لا يشقى واحد فى الكون فقط . ولكن يشقى الكون كله .

ولا يقتصر التعب على فرد واحد .. ولكن ينتشر التعب فى الكون كله .

والسبب فى ذلك أن حدا من حدود الله قد تعطل .

وحدوث هذا الجوع وذلك الخوف هو ضمان لاستبقاء الجماليات فى الكون ..

ذلك أن المحافظة على جمال الكون كما قلنا سابقا .. أن تتفق المقدمات مع النتائج ..

فإذا طبق أهل القرية ـ أى قرية أو معمورة ـ حدود الله كان الكون منتظما بالأمان والأمن والاطمئنان ... وإذا لم تطبق أى قرية ـ أو معمورة ـ حدود الله .. كان من الجمال أن تحيا فى هذا الجوع والخوف .

ولقد وضع الله حدوده هذه حتى يمنح الإنسان فرصة الترقى

ففى المسائل التى تركها الله لاجتهاد الإنسان .. يستطيع الإنسان أن يطبق حدود الله ليصل إلى انتظام الحياة بأمان واطمئنان.

وفى المسائل التى ليس لانسان حرية الحركة الاختيارية فيها فلسوف تجد أن الكون غاية فى الجمال ..

وكل الفساد ينشأ فى معظم الأحوال من حركة الانسان الاختيارية ..

فعندما يقول الله بمنهجه « افعل » و « لا نفعل » انما كان هذا القول ضرورة لانتظام حركة الحياة ..

وعندما ينشأ الخلل بإرادة الإنسان .. فإن ذلك يعنى أن يتلقى نتيجة عمله ..

وهذه النتيجة هى التى تحدد كيفية عمل الإنسان .. فإن كان العمل خيرا ومراعيا لحدود الله .. كانت النتيجة أمنا واطمئنانا وعملا جادا منتظماً ..

وإذا كانت حركة الإنسان يشوبها الكسل عن التفاعل مع العمل لإستخراج كنوز الأرض والرزق ، أو كانت حركة العمل لإستخراج كنوز الأرض والرزق مشوبة بسوء توزيع فى هذه الثروات .. كان العقاب فى الحالتين .. عقاب الجوع والخوف ..

لذلك أوصانا رسول الله بأن نرعى حق الله :

« إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا فليتقنه »

« حديث شريف »

لأن اتقان العمل ضرورة للحفاظ على انسجام الجمال فى الكون والوجود ..

إذن فالقبح فى الوجود يأتى من عند عدم اتقان العمل .. وتكون النتيجة أن يسخط الإنسان على الوجود

ويتبادل البشر اتهامات السخط والعجز .. مما يجعل السخط يتفشى فى الوجود .

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يعلمنا كيف ينتظم العمل للظواهر التى ليس للإنسان دخل فيها .. فيقول فى سورة الرحمن :

« الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان .
الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان .
والسماء رفعها ووضع الميزان . ألاَّ تطغوا فى الميزان .
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »

« سورة الرحمن . من الآية ١ الى الآية ٩ »

هكذا نرى التسلسل فى المهمة على ظهر الأرض ·

فى البدء كان الله الذى علم الإنسان ـ بعد أن خلقه ـ بالقرآن وتعلم الإنسان البيان الواضح من الحق تبارك وتعالى وتعلمَ الإنسان من الظواهر التى خلقها الله ··· فالشمس تسير بنظام والقمر بحساب · والنجم يسجد لله والشجر يسجد لله ·· والسماء مرفوعة بميزان ـ كل ذلك يجرى بنظام عادل وعلينا أن نقيم نحن البشر ميزان العدل فى الأرض.. لا طغيان فى ميزان حدود الله ·· حتى لا نصاب بالخسران وأن يضع الإنسان أمامه الغايات الواضحة وأن يتبع الوسائل التى حددها الله ··

ولتبسيط ذلك نضرب مثلا ··

إن من يرغب أن يسافر إلى الإسكندرية من القاهرة فهو يتخذ الإسكندرية غاية محددة ثم يسلك للوصول اليها بالوسائل التى سخرها الله للإنسان ·· الطائرة · القاطرة · السيارة · أو أى وسيلة أخرى سخرها الله ··

مثال آخر ··

عندما يقول الأب لابنه ·· « ذاكر لتنجح » ·· إن الأب بهذا القول يحدد الهدف وهو النجاح ويحدد الوسيلة لتحقيق الهدف وهى المذاكرة ··

وهكذا نرى الغاية يمكن أن تتحقق عندما يتقن الانسان الوسيلة لتحويل الهدف إلى واقع ·

هكذا تكون الغاية موجودة قبل الوسيلة ··

وهكذا تكون الوسيلة واضحة فى قدرتها على تحقيق الغاية ··

والذى يرهق الناس أنهم لا يعرفون الغايات إلا بعد أن يسيروا بالوسائل ··

لكن الذين يحددون الغايات ويتعرفون على الوسائل ويستفيدون من التجارب هم الذين يصلون الى روح الجمال فى هذا الكون ·

ان علينا أن نعرف أن الغايات حددها الله وهى موجودة قبل الوسائل ··

فالحق تبارك وتعالى حدد الغاية من خلق الانسان وهى أن نعبد الله ·

وأرسل لنا المنهج الذى نسير به إلى عبادته وهو القرآن ·

وهنا تصبح غاية الإنسان عبادة الله ·· والإنسان نفسه غاية كل الموجودات الأخرى

التى سخرها الله لخدمة الانسان . والكون منتظم لرعاية خليفة الله فى الأرض وهو الإنسان . الشمس لا تتمرد على مهمتها ولا القمر .. ولا اختيار لنا فى خدمة ما خلقه الله لخدمتنا .. أما ما تركه الله لاختيارنا .. فإن المسائل تضطرب إذا لم يقم الإنسان ميزان العدل . لذلك أوصانا الله أن نقيم الوزن بالقسط . ولا نخسر الميزان ..

فإذا كان النجم الذى فى السماء ينفذ مشيئة الله ... وإذا كان النبات فى الأرض ينفذ مشيئة الله ..

إذا كان عدل الله قد أقيم فيما سخره الله لخدمة الانسان .. فلماذا لا نقيم عدل الله فى كل شىء ترك الله لنا حرية الاختيار فيه .

لأن الطغيان فى الميزان يسبب الإفساد فى الكون ..

إن الله يحذرنا ألا نقيم منهج الله لأن هذا معناه أن نتلقى ثمرة أعمالنا .. إن لم نقم منهج الله كان الخسران .. وإذا أقمنا منهج الله كانت النتيجة هى النجاح .

فمثلا ..

نفرض إن الانسان استدعى إلى بيته رجلا يدهن الحائط .. فإذا ما انتهى من عمله .. وقع البياض وتساقطت قطع الطلاء .

أليس ذلك مسببا لسخط الانسان على من قام بهذا العمل .

ثم لنفترض أنك زرت بلدا أخرى ووجدت البيوت فيها منسقة والشوارع نظيفة وكل شىء جميل .. ورغم أنك لا تنتمى إلى تلك البلدة ولا تملك فيها شيئا فيعجبك ويسعدك أن يكون الكون جميلا .

ومثال آخر .. قد يكون هناك انسان يحيا مهموما داخل قصره الجميل وهذا القصر حوله حديقة غناء . ومتسعة .. فصاحب القصر لا يتمتع بهذا الجمال رغم انه ملكه لانه قد يكون مهموما . لكن الذى يتمتع برؤية القصر الجميل هو من يحيا خارج دائرة هذا القصر .. ويراه من بعد ..

فحتى لو لم يملك الإنسان الأشياء الجميلة فإنه يسعد لمجرد أن يرى هذه الأشياء .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك يا ربي حمدا يوافي نعمك .

وأصلي وأسلم على سيد خلقك سيدنا محمد ·

وبعد ·

فقد إنتهينا في اللقاء السابق الى أن الله خلق الكون وسخر كل ما فيه للإنسان · أى لمطلق انسان · مؤمنا به أو كافرا ·

لأن الله قد استدعى الإنسان إلى الوجود ·

ومادام الله هو الذى استدعاه إلى الوجود فمن رحمته أن قدم إليه كل وسائل الاستبقاء في هذا الوجود ·

وذلك كما قلنا كثيرا هو عطاء الربوبية · لأن الرب هو المربى والسيد والمالك ومعنى المربى أن يتعهد من يربيه الى أن يبلغ الكمال المرجو له ·

لذلك كان من رحمة الله أن استجابت الأرض بكل ما فيها للإنسان كل الإنسان لم تفرق الأرض بين مؤمن أو كافر فالذى يتفاعل مع الأسباب تعطيه الأسباب ·

ويتميز المؤمن بأن عقله وقلبه دائما مع الله الذى خلق له كل هذه النعمة ·

والمؤمن بهذا يأخذ حظين ·

- حظ استجابة الأسباب له في دنياه وخروج النعمة إليه بعرقه وعمله
- وحظ إنعام المنعم عليه في أخراه ·

وأما الكافر الذى لا يرى أبعد من الأسباب · ويغفل أنها من خلق المسبب فالأسباب تعطيه · ويأخذ من خير الدنيا ما شاء له كفاحه وما شاء له اجتهاده ·

لكن إذا ما جاء في الآخرة · فما الذى يحدث ؟

إن الله صور هذه المسألة بأن قال ،

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب »

« سورة النور الآية ٣٩ »

وعندما نتأمل قول الرحمن « أعمالهم كسراب بقيعة » فلنا أن نعرف أن السراب هو وهم يتخيله السائر في الصحراء بأنه ماء .. فإذا ذهب إليه التائه في الصحراء فسوف يكتشف أن هذا السراب ما هو الا انعكاس لأشعة الشمس .. وهذا معنى « سراب بقيعة » فالكافرون بالله يقاجئهم وجود السراب .

إنه اليأس بعد الأمل .

إنه الاحباط بعد الرجاء .

هو ظمآن وفي صحراء ثم رأى ماء . كيف يوجد الأمل في نفسه ؟ إن الأمل يتضاعف بقوة .

لكن ليته لم ير ذلك السراب ! لأنه بالحلم سيتخيل بأن ظمأه سيشفى عندما يقترب من الماء وعندما يقترب لا يجد الماء .

وليت الأمر مقتصر عند هذا الإحباط وتلك المرارة .. لكن سيقابل الله .. سيجد الله كمفاجأة له .

ومعنى فوجىء بوجود الله . أنه ساعة كان يزاول أعماله ويعيش حياته في الدنيا وكان يعمل لم يكن يتذكر أن الله هو خالق كل النعم .. لذلك فعندما يجد الله ويلتقى به فإن الله سيوفيه الحساب . لأن الله لم يكن في باله ساعة عمل .

ولنا أن نعرف أن الإنسان يأخذ عمله ممن يعمل من أجله .

فإذا لم يعمل عمله من أجل الله . فإنه سيفاجأ بوجود الله في الآخرة وهو لم يعمل له .

فكيف يعطيه الله شيئا .. وهكذا يصبح عمله كعمل الكافرين أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه .

ولكن .. هل حرم الله إنسانا جزاء العمل في الدنيا ؟

لا .. إن الله يعطى النعمة في الدنيا على قدر العمل والدنيا نفسها تكرم النابغ والمبتكر .. وقد تقام التماثيل لهؤلاء العاملين المجدين .. ويحاول العالم دائما أن يكرم المجتهدين .. لكن في الآخرة حساب آخر .

إن من يعمل في الدنيا يأخذه أجره منها .. ومن يعمل لله في الدنيا فإن الله

يعطيه الأجر في الدنيا والأجر في الآخرة .

فالذين يقولون أن الكفار الذين يقدمون للانسانية كذا وكذا وكذا . نعم قد يقدمون للرئيس كذا وكذا .. ولذلك لا يحرمهم أجرهم فى الدنيا بل يقدرهم العالم الذى عملوا له ، ويعطيهم النياشين ويخلع عليهم الأوسمة .

ولذلك كما يقول الرسل صلى الله عليه وسلم :

« يأتى الإنسان وقد عمل العلم فلا يجازى عليه .
فيقول قد عملت ليقال وقد قيل »

« حديث شريف »

إن من عمل من أجل أن يقال عنه فإنه ينال الأجر في الدنيا فقط .

اذن فالذى يعمل للفانى فجزاؤه فان أيضا والذى يعمل للباقى فالجزاء مع الحى الباقى لذلك فعندما نعجب بحضارة الآخرين نقول أعطتهم الدنيا وحمدهم الناس .

ولكن ألا يليق بالمؤمن بالله أن يترك خير الله فى وجوده ليغتصبه منه الكافر بالله ؟

غيرتنا على الله تقول ، لا .

إن المؤمن بالله عليه أن يكون هو أولى بأسرار الله ليستنبطها في الأرض .. ويعمل ويعمل بحيث لا يجعل الكافر يغلبه على شيء من أسرار الحياة .

اذن فالكون نوعان ..

نوع يفعل لك وان لم تطلب منه حتى وإن كنت غاية في الكسل .

الشمس مثلا .. تعطى الأشعة بالحرارة والدفء والنور لكل إنسان وإن لم يطلب منها الإنسان شيئا .

والهواء والماء تأخذ منه دون مانع أو عائق ..

لكن الأرض لا تعطى إلا من يعمل فيها فاذا حرثتها وبذرت ورويت واخترت المحاصيل المناسبة فإن الأرض تعطيك وتتفاعل معك .. أما غير ذلك فلا تعطى .

اذن فالموجودات المسخرة نوعان :

نوع يفعل لله وان لم تطلب منه .

ونوع يتجاوب معك ومع عملك وتختلف درجة العطاء على حسب درجة وكمية

ونوعية العمل ·
وهناك ارتقاء بأن نتفاعل مع من يتفاعل معك وان لم تطلبة منه · فالشمس تعطى حرارتها وضوءها لكل إنسان ·· لكن الانسان الذى يرغب فى الابتكار والحركة يستطيع أن يتفاعل مع الشمس أكثر وان يأخذ منها مثلا « الطاقة الشمسية »
والمؤمن يجب يجب أن ينظر الى أن حركته في الحياة يجب أن تتواءم مع الجدوى ·
سأضرب مثلا بسيطا ·
هذا المثل هو أننى قد أخرج اليوم من أول النهار فأتحرك في الحياة ··
وحصيلة هذه الحركة نسميتها الجدوى او النتيجة أو الثمرة ·
ولا يجب أن أحسب كم كسبت قط ·· ولكنت لا بد من حساب كم استهلكت أيضا ·· فان كان ما استهلكته فوق ما أنتجته ·
فأعلم أن خرابا ينتظرنى ·
وإن كان ما اكتسبته قدر ما أنفقته فأعلم أن الجمود هو حالى أى أننى لن أتقدم ·
لكن إن كان الذى اكتسبته أكبر مما استهلكته فهذا ارتقاء ينتظرنى ·
هذه قضية في الأفراد وفي الأسر وفي الأمم وفي العالم · فإن الفرد أو الأسرة أو العالم اذا انتجوا مثلما استهلكوا فهناك جمود ولا تقدم وإن كان ينتج أقل مما يستهلك فهناك خراب ينتظره على قدر توزيع الفارق · وان كان العكس فهنا الارتقاء ·
فيجب على المؤمن أن يحاسب نفسه كل يوم · بالإجابة على سؤال ؛
ما جداواك من هذا اليوم ؟
ماذا أنفقت في هذا اليوم ؟
وعليه أن يدخل فى معادلة من هذه المعادلات وحين يدخل نفسه فى معادلة من هذه المعادلات فإنه يبنى حياته على بصيرة وعلى أساس ·
أما أن يترك حياته بلا نظام ·· فلابد أن نقول له ؛
لا ...
·· أعلم أن الحق سبحانه وتعالى ·· حين يريد من حركتك في الوجود ·

استطراقية النفع لك ولسواك · لا يطلب منك هذا وحدك · وإنما طلب منك أن تتقن العمل الذى تعمله لغيرك ·

فعليك أن تفهم أنه يطلب من غيرك أن يتقن العمل الذى يتقنه لك · فان أنت خدعت في العمل الذى تعمله للناس فسيقذف الله في قلوب الناس أن يخدعوك في العمل الذى يعملونه لك ·

وتستطيع أن تعطى نفسك كشفا · في كل جزئية من جزئيات حياتك ·

وتقول أنا فعلت كذا وفعلت كذا باخلاص أو بنصف اخلاص أو بربع اخلاص ·

ولك أن تحسب ذلك بما صرفته ·· كم صرفت على المرض والكوارث

ولو حسبت المسألة بهذا الأسلوب فسوف ترى النتيجة متساوية ·

لا يظن أحد أنه قادر على خداع الله فمن يخدع الله يخدع نفسه ·· ومن يخدع واحدا يخدعه واحد ·

ومن يخدع مجتمعا ·· يخدعه أيضا ·

هذه ارادة الحى القيوم ·· الذى لا يقبل ان يخدع انسان ··

اذن فالمسألة ان الذى يستغفل إنما يستغفل نفسه ·

وإذا أقام أحد رسما بيانيا لما أخذه بغير حق ·· وقارنه بما صرفه في ألم ·· سيجد أن النتيجة متساوية ويزاد فوق ذلك الإثم والذنب ·

وكذلك يعطى الله في حركة الوجود استطراقات · هذه الاستطراقات حتى تمنع الغل والحقد والحسد ·

إن رأيت إنسانا قد تفوق عليك في شىء فأنت لا تحقد عليه لأن تفوقه في صنعته قد لا يفيده هو · وإنما يفيد من صنع له ·

اذن فحين ترى إنساناً له موهبة فاعلم أن موهبته ستعود إليك · لا تحقد عليه

النجار المتميز يستفيد غيره بعمله ·· الطبيب المتميز يستفيد غيره بعمله إن الموهبة لا ينتفع بها صاحبها فقط ولكنها له ولغيره من الناس ··

لقد ضربت مثلا من قبل وقلت ان اليد اليمنى المتحركة الفاعلة فعندما أمسك بمقص الأظافر وأقص أظافر يدى الشمال ·· أقصها بمنتهى الدقة والأناقة وهو ما يحدث عندما أمسك المقص بيدى الشمال لأقص أظافر اليد اليمنى ·

اذن عندما نرى ان إنساناً فيه صفة خير فعلينا ان نعرف أن هذا الخير لا يفيده وحده ولكن يستفيد غيره أكثر منه ·

وهكذا يريد الله الاستطراق المتقن في الكون ··

لهذا فعليك أيها المؤمن اذا قمت بعمل من الأعمال ان تراعى الله فيه لأن الاتقان المطلوب لجهتين ،

الجهة الأولى هى الله خالقْ الكون

الجهة الثانية هى الانسان صاحب العمل ·

وصاحب العمل قد يكون غير ممتلك لمهارة التقدير ولا يدرك الخلل ·· فإياك ان تأخذه بجهله وتخدعه ·· لأن الله يقدر ويفهم ولا يقبل الخداع وصاحب العمل قد لا يراك · لكن الله دائما وأبدا يراك ·

إن كان أمرك هكذا ·· فإن الله سبحانه وتعالى، الذى عملت العمل وقدرت مراقبته لك · سيراقب لك كل أعمالك في يد الآخرين ·

فإذا خدعت أحدا ·· فإن أحدا آخر سيخدعك ·

وهكذا تتبدد منك جدوى حياتك

وانظر إلى حياة الناس لفترة من الزمن فإن وجدت بشرا ترعى الله ·· فالاستقامة تستطرق بهم وستجد من يرعى الله دائما مكتوبا له القبول في كل عمل ومكتوبا له التوفيق في أشياء لا تخطر لك على بال ·

وقد تتعجب انت وتقول كيف يعيش الفقير بهذا الدخل ·

قد لا تتصور أنت ذلك ·· ولكن لك ان تعرف أن يد الله معه وبركته معه ·

لأن هذا الفقير يراقب الله في كل عمل يقوم به ولأنه يقدر قبل أن يعمل لأخيه أنه يعمل لربه ·

اذن فحركة المؤمن في الحياة · يجب أن تكون حركة موصولة بالله · ومادامت الحركة موصولة بالله · فالله سبحانه وتعالى حين يقدر الجزاء يقدر الجزاء على قدر الاتقان مراعاة لحق الله والله يراقبنا جميعا ·· ويرزق كلا منا بقدر مراعاته لذلك ·

نسأل الله أن يجعل نفسه فى بالنا دائما ·

بســم الله الـرحمن الـرحيم

بسم الله .

أحمدك ربى وأستعينك .

وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد .

وبعد ..

فقد قلنا فى اللقاء السابق :

ـ إن حركة الحياة الاختيارية بالنسبة للإنسان .. حركة محكومة بالمنهج الصالح .. وذلك لصالح الانسان نفسه .. لأنه إذا اختلت قاعدة من قواعد المنهج .. فإن الضرر سيلحق بالمجتمع كله ..

وقلنا إن حركة الوجود تهدف إلى استبقاء النفس واستبقاء النوع .. أو إلى جماليات الحياة ..

وجماليات الحياة لون من انسجام الفعل الاختيارى من الإنسان مع الجمال الكونى الأصيل بالنسبة لخالق الأكوان وذلك حتى لا يوجد نشاز فى المجتمع .

وقلنا فى حلقة سابقة :

ـ أن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يربى فى الإنسان المزاج الجمالى قبل أن يشبع احتياجات الإنسان المادية ولذلك يعلمنا الله أن ننظر إلى الثمار قبل أن نأكلها ..

« وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء .. فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه .. أنظروا الي ثمرة اذا أثمر وينعه .. ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » .

« سورة الأنعام ـ الآية ٩٩ »

إن الصورة فى هذه الآية تبدأ من تأمل فى الكون .. الماء الذى ينزل من السماء

فينبت في الأرض ويروى النخل الذى يمتلىء بالثمار ويروى الأعناب والزيتون والرمان .. ان النظر إلى الثمار يعطى الإنسان إحساسا بجمال الكون وفى ذلك آية جديدة للذين يؤمنون بالله .

ويقودنا الله إلى رؤية ثانية للجمال .

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ..
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون »

« سورة النحل ـ الآيتان ٥ ، ٦ »

هكذا يعلمنا الله الإحساس بالجمال ..

اذن فالطاقات الجمالية مطلوبة أيضا للكون .. لأن الكون فى نسقه الأعلى جميل ..

لذلك لا يصح لإنسان يتحرك فى الكون أن يصف ذلك الكون بالقبح ..

وعلى الإنسان عندما يعمل أن يتقن هذا العمل إتقانا يستبقى أصل الجمال فى الكون .. حتى يرضى الموجودين عن الوجود كله ..

فإذا مارضى الموجودون عن الوجود كله استقبل كل إنسان حركة حياته بنفس مطمئنة راضية واثقة لأن غيره من الناس لم يتعبه فيما صنعه له .. لذلك فهو يستكثر على نفسه أن يتعب غيره فيما يصنعه له .

ولا يمكن لإنسان أن « يدلس » فى صنعته التى يصنعها للغير إلا اذا كان قد شرب التدليس من الغير فى صنعة له .

إذن فالذي يصنع شراً لا يقتصر الأمر عند شره ولكنه ينمي ذلك الشر فى الكون ..

ولذلك يضرب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ذلك المثل للناس فيأمرنا ألا نرى واحدا انحرف عن المنهج أن نتركه ينحرف .. ذلك أن الانحراف لا يأتى فى القمة أولا وإنما يأتى فى الشىء البسيط ..

فإذا ضربنا على يد الوليد فى الشىء البسيط لا يصل الأمر إلى تفشي الفساد فى الشىء الكبير .

ومعنى ذلك أنه إذا رأى الرجل فى بيته أو فى ابنه نقيصة بسيطة .. فأرشده .. ثم

عاقبته إذا تكرر الفعل .. وأخذ زمامه من أول الأمر فإذا الطفل يتعلم تمييز الصواب من الخطأ ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل فيقول ،

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكأن الذين فى أسفلها اذا أرادوا الماء صعدوا وأدلوا دلوهم فى الماء وأخذوا منه .. فقالوا لو خرقنا فى نصيبنا خرقا ينفذ إلينا منه الماء ولا نكلف أنفسنا .. فلو أنهم تركوهم لهلكوا وهلكوا جميعا .. ولو ضربوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعا »

(حديث شريف)

وإذا تأملنا الحديث لوجدنا معنى «استهموا» أى أجروا قرعة من يجلس فى قاع السفينة ومن يجلس على سطحها .. فإذا أراد الجالسون فى قاع السفينة بعض الماء صعدوا إلى أعلى السفينة وأدلوا الدلو فى الماء .. فقال أحدهم : لو ثقبنا السفينة لأخذنا الماء دون تعب ..

لكن لو ترك ركاب السفينة حدوث ذلك .. لكان الهلاك ..

ولو ضربوا على أيدى أصحاب هذه الفكرة .. لنجوا جميعا .

ويشاء الله أن يعلمنا الكثير من الأشياء والأخلاق والسلوك .

إن الله يعلمنا أن نقف بمنهج الله صفا واحدا ضد بداية أية جريمة وأول بادرة لأول جريمة .. لأن منهج الله يمنع تفشى الجريمة ..

يعلمنا الله أن كل إنسان منا له ولاية ومسئولية عن عدد من البشر .

وكل ولاية لها دائرة .

الزوج مسئول عن الزوجة والأبناء ..

والرئيس مسئول عن المرءوسين .

لذلك يطالبنا الله أن تكون عيون كل وال فى منتهى اليقظة على من يتولى

مسئوليتهم .. وذلك حتى يرى أى بداية لأى لون من الانحراف .. ويواجهه بحزم وبذلك يبعده عن حياة الأفراد .

ويضرب الله لنا مثلا بسيطا فى الولاية والرعاية .. عندما روى العلاقة بين سيدنا زكريا والسيدة مريم .

« إذ قالت إمرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها .. قالت : ربِّ إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا .. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا .. قال يا مريم أنى لك هذا .. قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه .. قال : ربِّ هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب .. ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ..

« سورة آل عمران ـ من الآية رقم ٣٥ الى الآية رقم ٣٩ »

نتامل تلك القصة فنعرف أن مريم موهوبة من أمها للتقوى .. وأن الله تقبل مريم وأنبتها نباتا حسنا . وجعل من يكفلها فى الحياة هو سيدنا زكريا .. و « يكفلها » أى يتولى رعايتها فيأتى لها بكل ما تحتاج من أمور الحياة .. وعندما دخل سيدنا زكريا على السيدة مريم وجد عندها بعض الرزق .. هنا سألها « أنى لك هذا ؟ » أى .. من أين لك هذا ؟

وكأن معنى ذلك أن الله يريد منا أن نتحرى وأن نتعرف .. وذلك فى أنه ضرب لنا المثل بسؤال سيدنا زكريا للسيدة مريم ..

ولم يكتف سيدنا زكريا بالإجابة عندما قالت « هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »

بل سأل زكريا ربه أن يعطيه ابنا .. وهكذا كانت إجابة الله .

إن رزق مريم من عند الله تماما كما كان رزق سيدنا زكريا بطفل ..

إن تأمل هذه القصة يوحى بأن يسأل الإنسان دائما أفراد الدائرة التى يكفلها ..

فالرجل لابد أن يسأل زوجته لو امتلكت شيئا لم يشتره هو والأم لابد أن تسأل بناتها عن الأشياء التى يمتلكنها وتبدو فوق طاقتهن ..

إن مبدأ «أني لك هذا» هو تشريع قرآنى ليطبقه كل فرد فى دائرة ولايته .. حتى لا يبدأ الانحراف صغيرا ثم يكبر . وحتى لا يأتى طوفان الانحراف .

إن إهمال مبدأ « أنى لك هذا » .. هو السبب فى الفساد الذى أصاب الكون ..

ولو علم كل إنسان أن هناك من سيسأله :

ـ أنى لك هذا ؟

لا ستقام ميزان العمل .. وكان لابد من ذلك حتى تستقيم حركة الحياة فى الكون .. وذلك لينشأ الخير للجميع .

لأن من يهمل مبدأ « أنى لك هذا ؟ » .. فإن الاهمال يبدأ بصمت وتجاهل ثم يستشرى الانحراف لندرك بعد ذلك مصاعب مجمعة وكوارث تتوالى ولا تقوى النفس البشرية على تحملها ..

إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يضع للناس ميزانا .. وهذا الميزان يتلخص فى :

- « كل المسلم على المسلم حرام .. دمه وماله وعرضه »

و . . . . . .

- « المسلم أخو المسلم »

و . . . . ..

- « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

إن النبى صلى الله عليه وسلم يريد أن ينشر المساواة عندما يؤكد هذا الاستطراق الوصائى .. بأحاديثه .

إن النبى صلى الله عليه وسلك يكاد أن يربط كل سكان الدنيا فى حديث واحد عندما قال :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »

« حديث شريف »

وعندما نتأمل هذا الحديث .. نكاد نرى الدنيا كلها تكاد أن تصبح عائلة إنسانية واحدة .. فمن رعاية جار لجار آخر .. ومن حرص « جار » على ألا يعتدى على حق جار .. نجد أن الدائرة الإنسانية تلتحم ..

نجد الكون كله يرتبط فى محبة وانضباط ومسئولية ومساواة وارتباط كل فرد مؤمن بالآخر ارتباط من يحبه لجاره ما يحبه لنفسه ..

وفى هذا استطراق نفعى يحقق الكون السعيد ..

وما دام الكون سعيدا .. فأنت تعمل على سعادة الآخرين .. والآخرون يعملون لسعادتك ..

وينبهنا الله وهو الحق بمنافذ الضعف الإيمانى .

إنه يأتى من أحد منفذين .. من صاحب العمر .. أى الزوج أو الزوجة .. أو من الأبناء ..

إن الله يقول فى كتابه الكريم :

« يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » .

« سورة التغابن ـ الآية ١٤ »

لأن الرجل يريد لزوجته السعادة والراحة فيخطىء لو تسامح ..

وكذلك الزوجة ..

وكذلك الأبناء .

إن تطبيق مبدأ « أنى لك هذا » فى الصغائر يحمى الكل من الكبائر ..

ولهذا فإن الرحمن جل وعلا .. يعلمنا أنه ترفع عن أن يتخيل أحد من البشر .. إن له ما للبشر من زوجة وولد .. وأوضح ذلك بنص قرآنى صريح :

« وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا »

« سورة الجن ـ الآية ٣ »

ولأن الله يعلم أن البشر يعانون أحيانا من زلل الأبناء والزوجات .. فيطمئنهم أنه أعلى من أن يختار لنفسه ما أعطاه للبشر .. الزوجة والولد ..

ويضع الله لنا المنهج الصحيح للرابط الأسرى .. أن تطعم الأهل حلالا ..

وألا نظلم الناس من أجلهم ..

وأن ينشىء كل مسلم أهل بيته على منهج الله .

وعندما يعرف العبد أن له ربا .. وعندما يؤكد العبد أنه يراعى حق الخالق فى مخلوقاته فإن الله يحسن له ولذريته ..

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »

« سورة النساء ـ الآية ٩ »

إن الله يعلم الإنسان أن يرعاه فى أمور الناس حتى يرعى الله أولاده وآل بيته وأبناءه .. ويطمئنه عليهم ولنتأمل أكثر دقة الدرس الإيمانى .. وذلك فى سورة الكهف :

« قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فإن اتبعتنى فلا تسألن عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا .. فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها .. قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى

صبرا .. قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله .. قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك أنك لن تستطيع معى صبرا قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه .. قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك . سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما .. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » .

« سورة الكهف من الآية ٦٦ الى الآية ٨٢ »

إن المؤمن المتأمل لهذه القصة يرى اللقاء بين سيدنا موسى عليه السلام وبين العبد الصالح .. وكان العبد الصالح تقيا وأهل حكمة . وتنبأ بأن فتوة موسى وشبابه ستجعل الأسئلة دائما على فمه عن أى فعل .. وعندما خرق العبد الصالح السفينة .. استنكر موسى هذا الفعل رغم أن العبد الصالح نبه عليه ألاّ يسأل الا عندما يتلقى الإجابة .. وسأل موسى .. لكما العبد الصالح أعاد التحذير .

وعندما التقى العبد الصالح بغلام فى المدينة قتله العبد الصالح واستنكرّ موسى ذلك .. فأعاد العبد الصالح التحذير .. وعندما وصل موسى برفقه العبد الصالح

الى قرية سأل العبد الصالح أهلها طعاما له ولسيدنا موسى لكن أهل اقرية كانوا من الخسة مما جعلهم لا يمدون بساط الطعام لغرباء .. لأن من يطلب طعاما غير الذى يطلب مالا .. إن الذى يطلب الطعام لا يجد معه ما يشترى به الطعام ورغم ذلك أكمل العبد الصالح بناء جدار كان يجب أن يتم بناؤه .. فقال موسى للعبد الصالح ..

ـ انك تستطيع أن تأخذ عليه أجرا .. وهنا يقف العبد الصالح ليؤكد لموسى أنه لا يطيق الصبر .. ويشرح كل الأسباب .. السفينة كانت لفقراء ضعفاء وخلفهم ملك يغتصب السفن.فالخرق يعفى السفينة من المصادرة والاغتصاب .

الغلام الذى قتل .. كان مستقبله هو الوبال والكارثة على أبويه الصالحين .

والجدار كان لطفلين لا عائل لهما فى هذه القرية اللئيمة .. التى رفضت أن تطعم العبد الصالح وموسى .. وكان لابد من بناء الجدار لأنه يخفى كنزا تركه لهما الأب الصالح حتى يبلغ اليتيمان أشدهما ويستطيعا استخراج الكنز .

القصة اذن أن موسى كان لا يعرف الأسباب ..

لا يعرف الا أن العبد الصالح خرق مركبا .

لا يعرف إلا أن العبد الصالح قتل غلاما .

لا يعرف إلا أن العبد الصالح أكرم أهل القرية ببناء الجدار رغم أن الحقيقة أن بناء الجدار كان لحماية ضعفاء ..

هكذا بنى العبد الصالح الجدار بأسلوب يضمن وقوعه عند بلوغ اليتيمين لسن الرشد فيجدا الكنز ..

هكذا نري أن والدى اليتيمين كان عبدا صالحا أيضا ترك لأبنائه كنزا من العمل الصالح ..

إن فى هذا عبرة لنا نحن الذين نرى أن بعضنا يدخر للأبناء المال .. ويظلمهم به .

هذا الصنف من الناس لا يعرف أن الكون مضبوط بدقة.يديره من لا تأخذه سنة ولا نوم .. الحى القيوم ..

فمن يخادع لا يخدع إلا نفسه .

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
1165703
